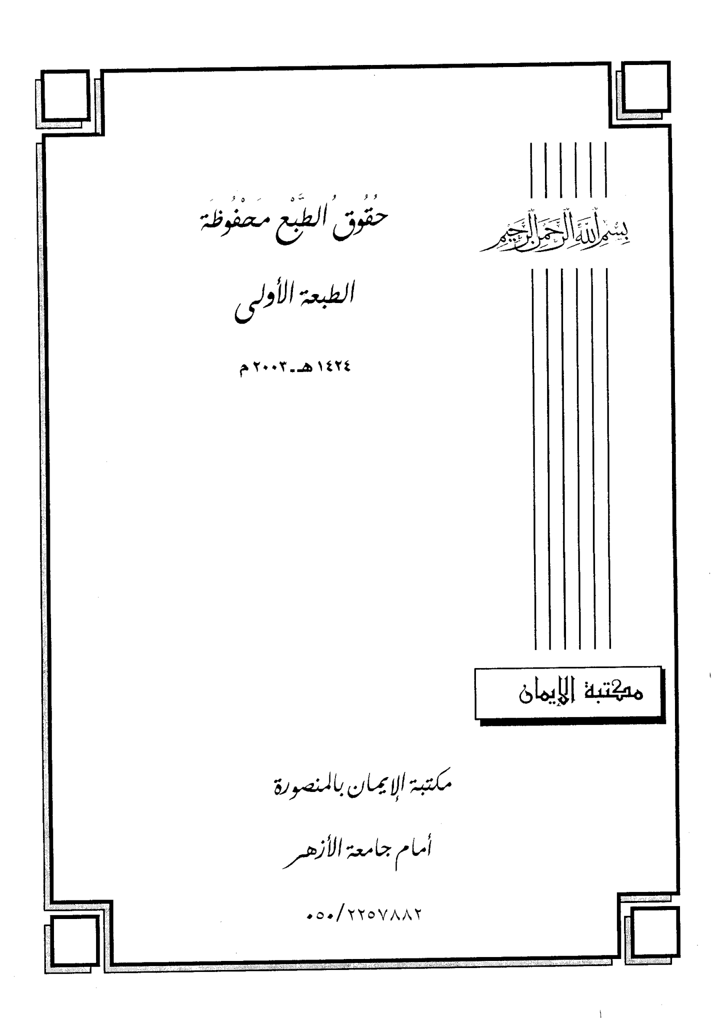
القول الثمين

من قصص ابن عثيمين

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت : ٢٢٥٧٨٨٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

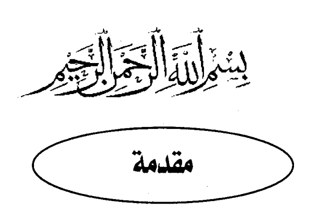
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مكتبة الإيمان

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاته ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلمُونَ ﴾.

«آل عمران:١٠٢»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ منْهُمَا رجَالاً كَثيرًا ونسَاءً واتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلُونَ به والأَرْحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقيبًا ﴾.

«النساء:١»

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وقُولُوا قَوْلاً سَديدًا * يُصْلحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَن يُطعِ الله ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا ﴾.

«الأحزاب: ٧٠، ٧١»

ثم أما بعد...

إن أسلوب القصص من أفضل السبل للتربية وتقويم المسلك وإصلاح النفوس وصقل الضمائر وتهذيب الأخلاق وتنمية الفضائل السامية.

وهذا الكتاب «القول الثمين من قصص ابن عثيمين»، يقدم قصصًا فيها بعض الحكم والأحكام التي يحتاجها المسلم لتدفعه إلى فعل الخير والثبات على الطريق المستقيم وتنفره من الشر، وعواقبه الوخيمة، وهذا الكتاب لفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله)، قد قمت بجمعه وترتيبه وتخريج آياته وأحاديثه.

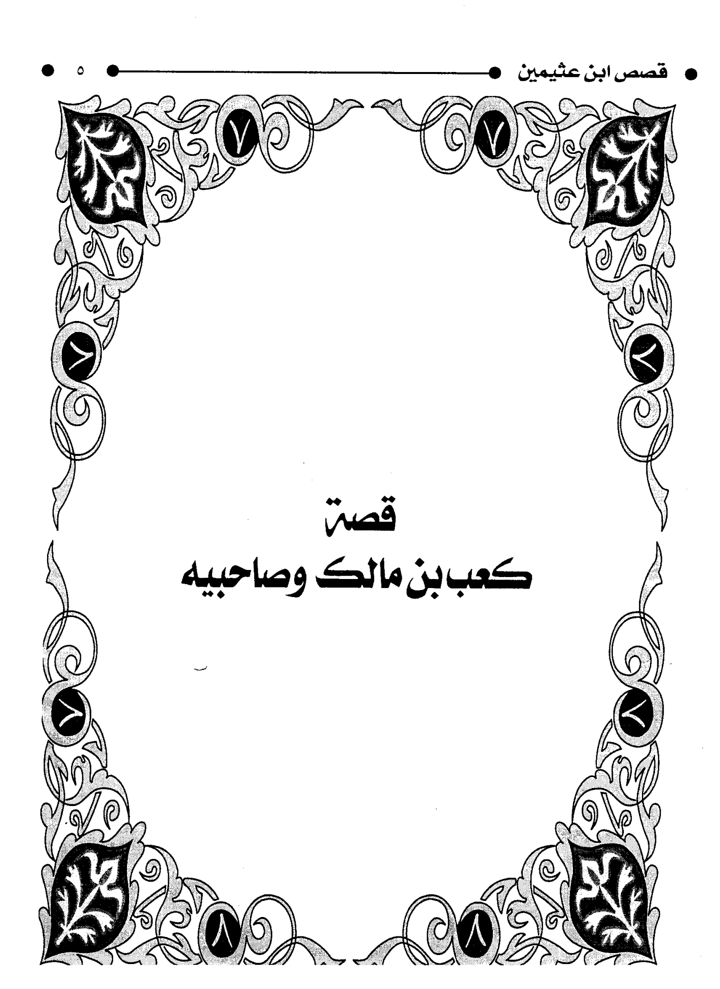
وحسب هذا الكتاب شرفًا أنه يستمد من سنة النبي (ﷺ) ، وفي ضوئها يمضي ومن نورها يقتبس، لذلك أرجو أن تجد - أخي الكريم - علمًا نافعًا وهداية ورشادًا سائلاً الله (عز وجل) أن ينفعني به والمسلمين وأن يجعله في ميزان مؤلفه وجامعه، إنه سميع قريب مجيب الدعوات وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

جمعه ورتبه

صلاح الدين محمود السعيد

مجمع دار السلام

ت.م/ ٠١٢٧٩٥٣٨٩٢



قصة
كعب بن مالك وصاحبيه

عن عبد الله بن كعب بن مـالك، وكان قائد كعب (رضي الله عنه) من بنيـه حين عمي قـال: سمعت كـعب بن مالك (رضي الله عنه) يحـدث بحديثـه حين تخلف عن رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك، قـال كعب: لم أتخلف عن رسول الله (ﷺ) في غـزوة غزاها إلا في غـزوة تبوك غـير أنـي قد تخلفت في غـزوة بدر، ولم يُعَـاتَب أحد تخلـف عنه، إنما خرج رسـول الله (ﷺ) والمسلمـون يريدون عيـر قريش حتى جمع الله (تعـالى) بينهم وبين عدوهم على غير ميعـاد ولقد شهدت مع رسول الله (ﷺ) ليلة العقبـة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر من حين تخلفت عنه في تلك الغـزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حـتى جمعتهمـا في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله (ﷺ) يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كـانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله (ﷺ) في حر شديد واستقبل سـفرًا بعيدًا ومفازًا، واستقبل عددًا كـثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبـوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهـهم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله (ﷺ) كثيـر يجمعهم كـتاب حافظ (يريد بذلك الديوان)، قال كـعب: فقَلَّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحي من الله.

وغزا رسول الله (ﷺ) تلك الغزوة حين طابت الثـمار والظلال، فأنا إليها أصعر ـ أي: أمـيل إليها ـ، فتجـهز رسول الله (ﷺ) والمسلمون مـعه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقض شـيئًا، وأقول ـ في نفسي ـ أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله (ﷺ) غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا ثم غدوت فرجعت ولم

أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فياليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت للناس بعد خروج رسول الله (ﷺ) يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصًا معروفًا ما عليه من النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله (تعالى) من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**».

فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه برداه، والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل (رضي الله عنه): بئس ما قلت ! والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله (ﷺ).

فبينا هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًا يزول به السراب، فقال رسول الله (ﷺ): «**كن أبا خيثمة**»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون، قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله (ﷺ) قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غدًا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله (ﷺ) قد أظل قادمًا زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنجُ منه بشيء أبدًا فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله (ﷺ) قادمًا وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله (تعالى).

حتى جئت فلما سلمت تَبَسَّم تبسم المغضب ثم قال لي: «**تعال**»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خلفك؟ ألم تكن قد اشتريت ظهرًا؟**».

قال قلت: يا رسول الله! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا

لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، وإن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه. إني لأرجو فيه عقبى الله (عز وجل)، والله ما كان لي من عذر، والله! ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

قال: فقال رسول الله (ﷺ): «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**».

فقمت وقام إليَّ رجال من بني سلمة واتبعوني، فقالوا لي: والله! ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا، لقد عجزت إلا أن تكون اعتذرت إلى رسول الله (ﷺ) بما اعتذر إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله (ﷺ) لك. قال: فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله (ﷺ) فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟

قالوا: نعم! لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العمري و هلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا لي فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

فقال: ونهى رسول الله (ﷺ) المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس - أو قال: تغيروا لنا - حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله (ﷺ) فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟

ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ، فإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه، فوالله ما رد عليَّ السلام فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلم أني أُحب الله ورسوله؟ قال: فسكت قال: فعدت له فنشدته فسكت، فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا أنا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاء فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان وكنت كاتبًا، فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وأن الله لم يجعلك في دار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت حين قرأته: وهذا أيضًا من البلاء فتيممت به التنور فسجرته حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله (ﷺ) يأتيني فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا! بل اعتزلها فلا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء.

فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله (ﷺ) فقالت له: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضعيف ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا! ولكن لا يقربك**» ، فقالت: إنه والله! ما به من حركة إلى شيء، والله! مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله (ﷺ) في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله (ﷺ)، وما يدريني ماذا يقول رسول الله (ﷺ) إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال: فلبثنا بذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا.

ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صارخًا أوفى على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء الفرج من الله (عز وجل) بالتوبة علينا فآذن رسول الله (ﷺ) بتوبة الله (عز وجل) علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قِبلَ صاحبي مبشرون.

وركض إليَّ رجل فرسًا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أؤم رسول الله (ﷺ) يتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة ويقولون لي: ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله (ﷺ) جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) يهرول حتى صافحني وهنأني، والله! ما مقام رجل من المهاجرين غيره، فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله (ﷺ) قال (وهو يبرق وجهه من السرور): «**أبشر بخير يوم مر عليك، منذ ولدتك أمك**» فقلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: «**لا، بل من عند الله**» وكان رسول الله (ﷺ) إذا سُر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله (ﷺ): «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**».

فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله! إن الله (تعالى) إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أحدًا من المسلمين أبلاه الله (تعالى) من الصدق في

الحديث منذ ذكرت ذلك لرسـول الله (ﷺ) أحسن مما أبلاني الله (تعالى)، والله ما تعـمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسـول الله (ﷺ) إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيـما بقي، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ لَقَـدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ إِنَّـهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حتى بلغ: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

قال كعب: فـوالله! ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعـد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صـدقي رسول الله (ﷺ) يومئذ أن لا أكون كـذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله (تعالى) قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فـقال الله تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٥ ، ٩٦].

قال كعـب: كنا خلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قـبل منهم رسول الله (ﷺ) حين حلفوا، فبـايعهم واستغفر لهم، وأرجـأ رسول الله (ﷺ) أمرنا حتى قـضى الله (تعالى) فـيه فلذلك قـال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّـلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُـوا ﴾ وليس الذي ذكر مما خلَّـفنا تَخَلُّفُنا عن الغزو، وإنما هو تخليـفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

«متفق عليه»

أما حديث كعب بن مالك:

فهو في قصـة تخلفه عن غزوة تبوك وكانت غزوة تبـوك في السنة التاسعة من الهـجـرة، غزا النـبي (ﷺ) الروم وهم على دين النصـارى حين بلغـه أنهم

يجمعون له فغزاهم النبي (ﷺ) وأقام بتـبوك عشرين ليلة، ولكنه لم ير كيدًا ولم ير عـدوًا فرجع، وكـانت هذه الغزوة في أيام الحـر حين طابت الثمـار والرطب وصار المنافـقون يفضلون الدنيـا على الآخرة فـتخلف المنافقـون عن هذه الغزوة ولجئوا إلى الظل والرطب والتمر وبعدت عليهم الشقة والعياذ بالله.

أما المؤمنون الخلص فإنهم خرجوا مـع الرسول (ﷺ) ولم يثن عزمهم بُعد الشقة ولا طيب الثمار.

إلا أن كعب بـن مالك (رضي الله عنه) تخلف عن غزوة تبـوك بلا عذر وهو من المؤمنين الخلص، ولهـذا قـال: [إنه مـا تخلف عن رسول الله (ﷺ) عن غـزوة غزاها قط].

فهـو من المجاهدين في سبـيل الله، [إلا في غزوة بدر] فـقد تخلف فيـها كـعب وغيـره؛ لأن الرسـول (ﷺ) خرج من المدينة لا يريـد القتـال ولذلك لم يخرج مـعه إلا ثلاثمائة وبضعـة عشر رجلا؛ لأنهم كـانوا لا يريدون أن يأخذوا عيـرًا لقريش: أي حـملة قدمت من الشـام تريد مكة وتمر قرب المدينة، فـخرج النبي (ﷺ) من أجل أن يستقبل هذه العير ويأخذها وذلك لأن أهل مكة أخرجوا النبي (ﷺ) وأصحابه من ديارهم وأموالهم.

فلهذا كانت أموالهم غنيمة للنبي (ﷺ) ويحل له أن يخرج ليأخذها وليس في ذلك عدوان من النبي (ﷺ) وأصحابه بل هذا أخذ لبعض حقهم.

المهم أن الرسول (ﷺ) خرج في ثلاثمـائة وبضعة عشر رجـلاً ليس معهم إلا سبعون بعـيرًا وفرسان فقط وليس معهم عـدة والعدد قليل، ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غـير ميـعاد لينفذ ما أراد (عـز وجل) فسمع أبو سفـيان وهو قائـد العير أن النبـي (ﷺ) خرج إليه ليـأخذ العـير فـعدل عن سـيره إلى الساحل وأرسل إلى قريش صـارخًا يستغيثـهم ويقول: أنقذوا العير، فاجـتمعت

قريش وخرج كبراؤها وزعماؤها وشرفاؤها فيما بين تسعمائة إلى ألف رجل.

خرجوا كما قال الله عنهم، خرجوا بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله.

ولما كانوا في أثناء الطريق وعلموا أن العير نجت تراجعوا فيما بينهم وقالوا: العير نجت فمالنا وللقتال فقال أبو جهل: والله! لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم فيها ثلاثًا ننحر الجزور ونسقي الخمور ونطعم الطعام وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا.

هكذا قالوا. بطرًا واستكبارًا وفخرًا، ولكن الحمد لله صارت العرب تتحدث بهم بالهزيمة النكراء التي لم يذق العرب مثلها لما التقوا بالرسول (ﷺ) وكان ذلك في رمضان في السنة الثانية من الهجرة في اليوم السابع عشر منه.

التقوا فأوحى الله (عز وجل) إلى الملائكة: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

انظر! في الآية تثبيت للمؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، فهو أقرب النصر في هذه الحال؟!

فثبت الله المؤمنين ثباتًا عظيمًا وأنزل في قلوب الذين كفروا الرعب.

قال الله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

أي: كل مفصل فالأمر ميسر لكم.

فجعل المسلمون - ولله الحمد - يجلدون فيهم فقتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين رجلاً، والذين قتلوا ليسوا من أطرافهم، الذين قتلوا كلهم من صناديدهم وكبرائهم، وأُخِذَ منهم أربعة وعشرون رجلاً يسحبون سحبًا وألقوا في قليب من

قلب بدر، سحبوا جثثًا هامدة، ووقف عليهم الرسول (ﷺ) وقال لهم: «يا فلان ابن فلان - يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم - هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا».

«متفق عليه»

فقالوا: يا رسول الله! كيف تكلم أناسًا قد جيفوا؟

قال: «**والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون**».

لأنهم موتى وهذه ـ ولله الحمد ـ نعمة علينا أن نشكر الله عليها كما ذكرناها.

نصر الله نبيه وسمى الله هذا اليوم يوم الفرقان يوم التقى الجمعان هذا اليوم فرق الله فيه بين الحق والباطل تفريقًا عظيمًا وانظر إلى قدرة الله (عز وجل): في هذا اليوم انتصر ثلاثمائة رجل وبضعة عشر رجلاً على نحو ألف رجل أكمل منهم عدة وأقوى وهؤلاء ليس معهم إلا عدد قليل من الإبل والخيل، لكن نصر الله (عز وجل) إذا نزل لقوم لم يقم أمامهم أحد، وإلى هذا أشار الله بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ** ﴾ ليس عندكم شيء ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

ولما كان المسلمون حين فتحوا مكة وخرجوا بإثني عشر ألفًا وأمامهم هوازن وثقيف فأعجب المسلمون بكثرتهم وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، فغلبهم ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، غلبوا إثني عشر ألف رجل بقيادة النبي (ﷺ) لماذا؟

لأنهم أعجبوا بكثرتهم قالوا: لن نغلب اليوم عن قلة فأراهم الله (عز وجل) أن كثرتهم لن تنفعهم.

قال الله (تعالى): ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ التوبة: ٢٥].

المهم أن كعب بن مالك (ﷺ) لم يشهد بدرًا لكن تخلف عنها؛ لأن النبي (ﷺ) لم يخرج لقتال إنما خرج للعير، ولكن الله جمع بينه وبين عدوه على غير ميعاد.

أتدرون ماذا حصل لأهل بدر؟

اطلع الله عليهم وقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، كل معصية تقع منهم فإنها مغفورة؛ لأن الثمن مقدم.

فهذه الغزوة صارت سببًا لكل خير، حتى أن حاطب بن أبي بلتعة (ﷺ) لما حصل منه ما حصل في كتابه لأهل مكة عندما أراد النبي (ﷺ) أن يغزوهم غزوة الفتح كتب هو (ﷺ) إلى أهل مكة يخبرهم، ولكن الله أطلع نبيه على ذلك.

أرسل حاطب بن أبي بلتعة الكتاب مع امرأة، فأُخبِرَ النبيُّ (ﷺ) بذلك عن طريق الوحي.

فأرسل عليّ بن أبي طالب وواحدًا معه حتى لحقوها في روضة تسمى روضة خاخ، فأمسكوها وقالوا لها: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، فقالوا لها: والله ما كذبنا ولا كذبنا أين الكتاب؟ لتخرجنه أو لننزعن ثيابك؟!

فلما رأت الجد أخرجته، فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش فأخذوه، والحمد لله أنه لم يصل إلى قريش فصار بهذا نعمة من الله على المسلمين وعلى حاطب؛ لأن الذي أراد ما حصل.

فلما ردوا الكتاب إلى النبي (ﷺ) قال له: «**يا حاطب! كيف فعلت كذا؟**». فاعتذر، فقال عمر: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؛ فإنه قد نافق؟

قال له النبي (ﷺ): «**أما علمت أن الله اطلع على أهل بدر أو إلى أهل بدر**

فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». وكان حاطب من أهل بدر (رضي الله عنه).

«متفق عليه»

فالمهم أن هذه الغزوة تخلف عنها كعب، لكنها ليست غزاة في أول الأمر إلا في ثاني الحال وكانت غزاة مباركة ولله الحمد.

ثم ذكر بيعته النبي (ﷺ) ليلة العقبة في منى حيث بايعوا النبي (ﷺ) على الإسلام، وقال: إنه لا يحب أن يكون له بدلها بدر أي هي أحب إليه من غزوة بدر؛ لأنها بيعة عظيمة.

لكن يقول: كانت بدر أذكر في الناس منها أي أكثر ذكرًا؛ لأنها غزوة اشتهرت بخلاف البيعة.

على كل حال كأنه يسلي نفسه بأنه إن فاتته بدر فقد حصلت له بيعة العقبة فرضي الله عن كعب وعن جميع الصحابة.

يقول (رضي الله عنه): [إني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة] أي: غزوة تبوك، كان قوي البدن ميسور الحال حتى أنه كان عنده راحلتان في تلك الغزوة وما جمع راحلتين في غزوة قبلها أبدًا وقد استعد وتجهز، وكان من عادة النبي (ﷺ) أنه إذا أراد غزوة - ورى بغيرها - أي: أظهر خلاف ما يريد، وهذا من حكمته وحنكته في الحرب؛ لأنه لو أظهر وجهه تبين ذلك لعدوه، فربما استعد له أكثر وربما يذهب عن مكانه الذي قصده النبي (ﷺ) فيه.

فكان - مثلاً - إذا أراد أن يخرج إلى الجنوب ورى وكأنه يريد أن يخرج إلى الشمال، أو أراد أن يخرج إلى الشرق ورى وكأنه يريد أن يخرج إلى الغرب حتى لا يطلع العدو على أسراره.

إلا في غزوة تبوك فإنه قد بين أمرها ووضحها وجلاها لأصحابه وذلك لأمور:

أولاً: لأنها كانت في شدة الحر حين طابت الثمار والنفوس مجبولة على الركون إلى الكسل وإلى الرخاء.

ثانيًا: إن المدى بعيد من المدينة إلى تبوك ففيها مفاوز ورمال وعطش وشمس.

آخرًا: إن العدو كبير وهم الروم اجتمعوا في عدد هائل حسب ما بلغ النبي (ﷺ).

فلذلك أوضح أمر الغزوة وأخبر أنه خارج إلى تبوك إلى عدو كثير وإلى مكان بعيد حتى يتأهب الناس، فخرج المسلمون مع رسول الله (ﷺ)، ولم يتخلف إلا من خذله الله بالنفاق وثلاثة رجال فقط هم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية (رضي الله عنهم).

هؤلاء من المؤمنين الخلص لكن تخلفوا لأمر أراده الله (عز وجل) أما غيرهم ممن تخلف فإنهم منافقون ومنغمسون في النفاق فخرج النبي (ﷺ) بأصحابه (وهم كثير) إلى جهة تبوك حتى نزل بها هناك ولكن الله لم يجمع بينه وبين عدوه بل بقي عشرين يومًا في ذلك المكان ثم انصرف على غير حرب.

يقول كعب بن مالك: [إن رسول الله (ﷺ) تجهز هو والمسلمون وخرجوا من المدينة]، أما هو (رضي الله عنه) فتأخر وجعل يغدو كل صباح يرحل راحلته ويقول ألحق بهم ولكنه لا يفعل شيئًا، ثم يفعل كل يوم حتى تمادى به الأمر ولم يدرك.

وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا لم يبادر بالعمل الصالح فإنه حري أن يُحرم إياه كما قال الله سبحانه: ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ١١٠].

فالإنسان إذا علم الحق ولم يقبل عليه ولم يعمل به أول مرة فإن ذلك قد يفوته ويحرم إياه ـ والعياذ بالله ـ كما أن الإنسان إذا لم يصبر أول مرة فإنه يحرم أجرها لقول النبي (ﷺ) «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**».

«متفق عليه»

فعليك ـ يا أخي ـ أن تبادر بالأعمال الصالحة ولا تتأخر فتتمادى بك الأيام ثم تعجز وتكسل ويغلب عليك الشيطان والهوى فتتأخر.

كان كعب بن مالك (رضي الله عنه) كل يوم يقول: أخرج، ولكن تمادى به الأمر ولم يخرج، يقول: فكان يحز في نفسي أنه إذا خرج إلى سوق المدينة وإذا المدينة ليس فيها رسول الله (ﷺ) ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا السابقون من المهاجرين والأنصار إلا رجل مغموس في النفاق ـ والعياذ بالله ـ قد غمسه نفاقه فلم يخرج، أو رجل معذور عذره الله (عز وجل) فكان يعتب على نفسه كيف لا يبقى في المدينة إلا هؤلاء وأقعد معهم، ورسول الله (ﷺ) لم يذكره ولم يسأل عنه حتى وصل إلى تبوك.

فبينما هو جالس وأصحابه في تبوك سأل عنه، قال رسول الله (ﷺ): «**أين كعب بن مالك؟**».

فتكلم فيه رجل من بني سلمة وغمزه ولكن دافع عنه معاذ بن جبل(رضي الله عنه)، فسكت النبي (ﷺ) ولم يجب بشيء لا على الذي غمزه ولا على الذي رد عنه.

فبينما هو كذلك إذ رأى رجلاً مبيضًا بياضًا يزول به السراب من بعيد، فقال النبي (ﷺ) : «**كن أبا خيثمة الأنصاري**». فكان أبا خيثمة، وهذا من فراسة النبي (ﷺ) أو من قوة نظره ولا شك أنه أقوى الرجال نظرًا وسمعًا ونطقًا وفي كل شيء، وأعطي قوة ثلاثين رجلاً بالنسبة للنساء.

أبو خيثمة .هذا هو الذي تصدق بصاع عندما حث النبي (ﷺ) على الصدقة، فتصدق الناس كل بحسب حاله، فكان الرجل إذا جاء بالصدقة الكثيرة قال المنافقون: هذا مراء ما أكثر الصدقة ابتغاء وجه الله.

وإذا جاء الرجل الفقير بالصدقة اليسيرة قالوا: إن الله غني عن صاع هذا.

انظر (والعياذ بالله) يلمزون المؤمنين من هنا ومن هنا كما قال الله: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ**﴾ أي إذا تصدقوا بما يستطيعون قالوا: إن الله غني عن صاعك: ﴿**فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧٩].

وهكذا المنافق شر على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لمزهم، وإن رأى المقصرين لمزهم وهو أخبث عباد الله فهو في الدرك الأسفل من النار.

المنافقون في زماننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالوا: هؤلاء متزمتون وهؤلاء متشددون وهؤلاء أصوليون هؤلاء رجعيون وما أشبه من الكلام، فكل هذا موروث عن المنافقين في عهد الرسول (ﷺ) إلى يومنا هذا، لا تقولوا ليس عندنا منافقون، بل عندنا منافقون ولهم علامات كثيرة !!

وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله) في كتابه «مدارج السالكين» في الجزء الأول صفات كثيرة من صفات المنافقين كلها مبينة في كتاب الله (عز وجل).

فإذا رأيت رجلاً يلمز المؤمنين من هنا ومن هنا فاعلم أنه منافق والعياذ بالله فاستفدنا فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: إن الإنسان لا ينبغي له أن يتأخر عن فعل الخير بل لا بد أن يتقدم ولا يتهاون أو يتكاسل.

وأذكر حديثًا: قال النبي (ﷺ) - في الذين يتقدمون إلى المسجد ولكن لا

يتقدمون إلى الصف الأول بل يكونون في مؤخره، قال: «**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**».

«صحيح أبو داود ٦٨٢»

إذا عود الإنسان نفسه على التأخر أخره **الله** (عز وجل)، فبادر بالأعمال الصالحة من حين أن يأتي طلبها من عند **الله** (عز وجل).

الفائدة الأخرى: إن المنافقين يلمزون المؤمنين كما سبق.

وأبو خيثمة هو الذي تصدق بصاع فقال المنافقون: إن **الله** غني عن صاع هذا الرجل ولكنهم منافقون لا يؤمنون.

ثبت عن النبي (ﷺ): «**إن الرجل يتصدق بعدل تمرة** - أي بما يعادل تمرة - **فيأخذها الله (عز وجل) فيربيها كما يربي أحدكم فلوه - أي مهره (الحصان الصغير) حتى تكون مثل الجبل**».

«متفق عليه»

بل قال الرسول (ﷺ): «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**». أي نصف تمرة.

بل قال **الله** (عز وجل): ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. والله لا يضيع أجر المحسنين.

يقول (رضي الله عنه): [إنه لما بلغه أن النبي (ﷺ) رجع قافلاً من الغزو وبدأ يفكر ويشاور ماذا يقول لرسول **الله** (ﷺ) إذا رجع؟].

يريد أن يتحدث بحديث وإن كان كذبًا من أجل أن يعذره رسول **الله** (ﷺ) فيه ويجعل يشاور ذوي الرأي من أهله.

ماذا يقول؟ ولكن يقول (رضي الله عنه): فلما بلغ النبي (ﷺ) المدينة ذهب عنه كل ما جمعه من الباطل وعزم على أن يبين الحق، فقدم النبي (ﷺ) المدينة ودخل

المســجد وكــان من عادته وســنته أنه إذا قــدم بلده فأول مــا يفــعل أن يصلي في المسجد (ﷺ).

وهكذا أمـر جابر (رضي الله عنه)، فدخل المسجد وجلس لـلناس فجاءه المخلفون الذين تخلفـوا من غيـر عـذر من المنافقين وجـعلوا يحلفـون له إنهم معـذورون فيبـايعهم ويستغـفر لهم. ولكن ذلك لا يفيدهم،(والعـياذ بالله). لأن الله قال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٨٠].

فيقول: أما أنا فعزمت أن أصدق النبي (ﷺ).

فدخلت المسجد فسلمت عليه، فـتبسم تبسم المغضب (أي الذي غير راض عني) ثم قال: «**تعال**». فدنوت منه فلما دنوت منه قال لي: «**ما خلفك؟**».

فقـال (رضي الله عنه): يا رسول الله! لم أتخلف لعذر ومـا جمعت راحلتين قبل غزوتي هذه وإني لـو جلست عند أحد من ملوك الدنيـا لخرجت منه بعـذر فلقد أوتيت جدلاً، أي: لو أني جلست عند شخـص من الملوك لعرفت كيف أتخلص منه؛ لأن الله قد أعطاني جدلاً.

ولكني لا أحدثك اليوم حديثًـا ترضى به عني فيوشك أن يسخط الله عليّ في ذلك. انظر إلى الإيمان؟

فأخبر النبي (ﷺ) بالصدق فأجله.

وفي هذا فوائد:

أولاً: أن الله (سبحانه وتعالى) قد يمن على العبد فـيعصمه من المعصية إذا علم من قلبه حسن النية.

فإن كـعبًا لما هم أن يزور على النبي (ﷺ) جـلى الله ذلك عن قلبه وأزاله

عن قلبه وعزم أن يصدق النبي (ﷺ).

ثانيـًا: أن الإنسان إذا قدم بلده أن يعمد إلى المسجد قبل أن يدخل إلى بيته فيصلي فيه ركعتين؛ لأن هذه سنة الرسول (ﷺ) القولية والفعلية.

أما الفعلية: فكما في حديث كعب بن مالك.

وأما القولية: فإن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) حين باع على النبي (ﷺ) جمله في أثناء الطريق واستثنى أن يركبه إلى المدينة وأعطى النبي (ﷺ) شرطه فقدم جابر المدينة وقد قدم النبي (ﷺ) قبله فجاء إلى رسول الله فأمره أن يدخل المسجد ويصلي ركعتين.

وما أظن أحدًا من الناس اليوم إلا قليلاً يستعمل هذه السنة وهذا لجهل الناس بهذا، وإلا فهذا سهل والحمد لله.

وسواء صليت في مسجدك الذي كنت تصلي فيه القريب من بيتك أو صليت في أدنى مسجد من مساجد البلد الذي أنت فيه.

ثالثًا: إن كعب بن مالك قوي الحجة فصيح، ولكن لتقواه وخوفه من الله امتنع أن يكذب وأخبر النبي (ﷺ) بالحق.

رابعًا: إن الإنسان المغضب قد يبتسم، فإذا قال قائل: كيف أعرف أن هذا تبسم رضى أو تبسم سخط؟ قلنا: إن هذا يعرف بالقرائن كتلون الوجه وتغيره، فالإنسان يعرف أن هذا الرجل تبسم رضًا بما صنع أو سخطًا عليه.

خامسًا: إنه يجوز للإنسان أن يسلم قائمًا على القاعد لأن كعبًا سلم وهو قائم فقال له النبي (ﷺ): «**تعال**».

سادسًا: إن الكلام عن قرب أبلغ من الكلام عن بعد؛ فإنه كان بإمكان الرسول (ﷺ) أن يكلم كعب بن مالك ولو كان بعيدًا عنه، لكنه قال له الرسول

(ﷺ): «ادن».

سابعًا: ومنها كمال اليقين لكعب بن مالك (رضي الله عنه) حيث إنه قال: إنني أستطيع أن أخرج بعذر من الرسول ولكن لا يمكن أن أخرج منه بعذر يعذرني فيه اليوم ثم يغضب الله عليّ فيه غدًا.

ثامنًا: إن الله يعلم السر وأخفى فإن كعبًا خاف أن يسمع الله محاورته للرسول (ﷺ) فينزل الله فيه قرآنًا كما أنزل في قصة المرأة المجادلة التي جاءت الرسول (ﷺ) تشكو زوجها حين ظاهر منها فأنزل الله فيها آية من القرآن: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١].

يقول كعب: إنه أتى إلى الرسول (ﷺ) وصدقه القول وأخبره أنه لا عذر له في بدنه ولا في ماله بل إنه لم يجمع راحلتين في غزوة قبل هذه، فقال النبي (ﷺ): «**أما هذا فقد صدق**». ويكفي له فخرًا أنْ وصفه الرسول (ﷺ) بالصدق فاذهب حيث يقضي الله فيك ما شاء فذهب الرجل مستسلمًا لأمر الله (عز وجل) مؤمنًا بالله، وإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فلحقه قومه من بني سلمة وجعلوا يزينون له أن يرجع عن إقراره وقالوا له: إنك لم تذنب ذنبًا قبل هذا.

المعنى: ما تخلفت به عن رسول الله (ﷺ) ويكفيك أن يستغفر لك رسول الله (ﷺ) وإذا استغفر لك رسول الله غفر الله لك.

فارجع كذب نفسك، قل: إني معذور حتى يستغفر لك الرسول (ﷺ) فيمن استغفر لهم ممن جاءوا يعتذرون إليه، فهمَّ أن يفعل (رضي الله عنه) ولكن الله (سبحانه) أنقذه وكتب له هذه المنقبة العظيمة، التي تتلى في كتاب الله إلى قيام الساعة.

فسأل قومه هل أحد صنع مثلما صنعت قالوا: نعم! هلال بن أمية ومرارة ابن الربيع قالا مثلما قلت، وقيل لهما مثلما قيل لك.

يقول: [فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرًا لي فيهما أسوة]، أحيانًا يقيض الله للإنسان ما يجعله يدع الشر اقتداء بغيره وتأسيًا به.

فهو (رضي الله عنه) لما ذكر له هذان الرجلان وهما من خيار عباد الله من الذين شهدوا بدرًا، فقال: [لي فيهما أسوة فمضيت]، أي لم يرجع إلى النبي (ﷺ) فأمر الرسول (ﷺ) الناس أن يهجروهم فلا يكلموهم.

فهجرهم المسلمون ولكنهم بعد ذلك صاروا يمشون وكأنهم بلا عقول قد ذهلوا وتنكرت لهم الأرض فما هي بالأرض التي كانوا يعرفونها؛ لأنهم يمشون إن سلموا لا يرد عليهم السلام، وإن قابلهم أحد لم يبدأهم بالسلام، وحتى النبي (ﷺ) أحسن الناس خلقًا لا يسلم عليهم السلام العادي.

يقول كعب: كنت أحضر وأسلم على النبي فلا أدري أحرك شفتيه برد السلام أم لا. هذا هو النبي (ﷺ)، وما ظنك برجل يهجر في هذا المجتمع الإسلامي الذي هو خير القرون حتى تضيق عليه الأرض وفعلاً ضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه وبقوا على هذه الحال مدة خمسين يومًا، أي شهرًا كاملاً وعشرين يومًا.

والناس قد هجروهم فلا يسلمون عليهم ولا يردون السلام إذا سلموا وكأنهم في الناس جرب لا يقربهم أحد، فضاقت عليهم الأمور وصعبت عليهم الأحوال وفروا إلى الله (عز وجل) ولكن مع ذلك لم يكن كعب بن مالك يدع الصلاة مع الجماعة، فكان يحضر ويسلم على النبي (ﷺ) ولكن في آخر الأمور ربما يتخلف عن الصلوات لما يجد في نفسه من الضيق والحرج، لأنه يخجل أن يأتي إلى قوم يصلي معهم وهم لا يكلمونه أبدًا لا بكلمة طيبة ولا بكلمة تأنيب.

فضاقت عليهم الأرض وبقوا على هذه الحالة خمسين ليلة تامة ولما تمت لهم أربعون ليلة أرسل إليهم النبي (ﷺ) أن يعتزلوا نساءهم، إلى هذا الحد!

وما ظنك بكعب بن مالك ـ وهو شاب ـ يعزل عن امرأته أمر عظيم، ولكن مع ذلك لما جاءهم رسول رسول الله (ﷺ) وقال: [إن النبي (ﷺ) يأمرك أن تعتزل امرأتك]، قال: أطلقها أم لا؟

لأنه لو قال له: طَلِّقْها طَلَّقَها بكل سهولة طاعة لله ورسوله، فقال له رسول الرسول: إن الرسول (ﷺ) يأمرك أن تعتزل أهلك وبقى على ظاهر اللفظ.

حتى الصحابي الذي أرسل ما حَرَّفَ النص لا معنى ولا لفظًا، قال: هكذا قال. ولا أدري.

وهذا من أدب الصحابة (ﷺ) ما قال: أظن أنه يريد أن تطلقها ولا أظن أنه يريد أن لا تطلقها! ما قال شيئًا بل قال: إن النبي (ﷺ) قال هذا، فقال كعب لزوجته، الحقي بأهلك، فلحقت بأهلها ... وسيأتي.

يقول (ﷺ): [فأما صاحباي فاستكانا في بيوتهما يبكيان]، لأنهما لا يستطيعان أن يمشيا في الأسواق والناس قد هجروهم لا يلتفت إليهم أحد، فعجزوا عن تحمل هذه الحال فبقيا في بيوتهما يبكيان.

يقول: [وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم]، أشبهم: أقواهم، وأجلدهم: أصبرهم لأنه أصغر منهم سنًا فكان يشهد الجماعة مع المسلمين، ويطوف بأسواق المدينة لا يكلمه أحد.

يقول: [وكنت آتي المسجد فأصلي وأسلم على النبي (ﷺ) وهو جالس للناس بعد الصلاة، فأقول: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟].

أي: ما يرد عليه ردًا يسمع، هذا مع أن النبي (ﷺ) أحسن الناس خلقًا

ولكن امتثالاً لما أوحى الله إليه أن يهجر هؤلاء القوم؛ هجرهم.

ويقول: كنت أصلي وأسارق النبي (ﷺ) النظر أي: أنظر إليه أحيانًا وأنا أصلي فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا التفت إليه أعرض عني، كل هذا من شدة الهجر.

يقول: [فبينما أنا أمشي ذات يوم في أسواق المدينة وطال عليَّ جفوة الناس تسورت حائطًا لأبي قتادة (رضي الله عنه)]. أي: دخله من فوق الجدار من دون الباب، وكأن الباب مغلق والعلم عند الله.

يقول: [فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام]، وهو ابن عمه وأحب الناس إليه ومع ذلك لم يرد عليه السلام.

ومع أن الرجل كان مجفيًا من الناس منبوذًا لا يكلم ولا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام، ومع ذلك لم يعطف عليه ابن عمه أبو قتادة.

كل هذا طاعة لله ورسوله لأن الصحابة (رضي الله عنهم)لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يحابون أحدًا في دين الله ولو كان من أحب الناس إليه فقلت له: أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فلم يرد عليه.

فقلت: أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فلم يرد عليه مرتين يناشده، وأبو قتادة يدري أن كعب بن مالك يحب الله ورسوله، فلما رد عليه الثالثة وقال أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فقال: الله ورسوله أعلم.

لم يكلمه، فلم يقل: نعم! ولا قال: لا .

قال كلمة لا تعد خطابًا.

يقول: ففاضت عيناي (أي بكى) أن رجلاً ابن عمه وأحب الناس إليه لا

يكلمه مع هذه المناشدة العظيمة.

مع أنها مسألة تعبدية، لأن قوله: أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ شهادة، ومع ذلك لم يشهد له مع أنه يعلم أنه يحب الله ورسوله.

وتسور البستان وخرج إلى السوق فبينما هو يمشي إذا برجل نبطي من أنباط الشام (والنبطي الذي ليس بعربي ولا بعجمي وسموا بذلك لأنهم كانوا يخرجون في البراري يستنبطون الماء)

يقول: من يدلني على كعب بن مالك!

أهل الشر ينتهزون الفرص، فعندما قال: من يدلني على كعب بن مالك قلت: أنا هو، فأعطاني الورقة، وكنت كاتبًا لأن الكتاب في ذلك العهد قليلون جدًا.

يقول: [فقرأت الكتاب فإذا فيه: أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك جفاك (أي الرسول ﷺ) وكان هذا الملك ملك غسان كافرًا) وإنك لست بدار هوان ولا مضيعة (أي: لا تبقى في الدار في ذل وضياع وهوان) فتعال إلينا، الحق بنا نواسك].

أي تعال إلينا نواسك بأموالنا وربما بملكنا.

ولكن الرجل رجل مؤمن بالله ورسوله، ومحب لله ورسوله. قال: هذا من البلاء أي: الامتحان، وصدق (رضي الله عنه).

رجل مجفو لا يكلم مهجور منبوذ حتى من أقرب الناس إليه لو كان في قلبه ضعف إيمان لانتهز الفرصة بدعوة هذا الملك وذهب إليه، ثم ذهب إلى التنور فسجرها - أي الرسالة - فيه. أي: أوقدها.

وإنما أوقدها في التنور ولم يجعلها معه؛ لئلا توسوس له نفسه بعد ذلك أن

يذهب إلى هذا الملك.

فأتلفـها لكي ييأس منها ولا يحـاول أن يجعلها حجـة يذهب بها إلى هذا الملك، ثم بقي على ذلك مدة.

ففي هذه القطعة: من الحديث: دليل على جـواز التخلف عن الجماعة إذا كان الإنسان مـهجورًا منبوذًا وعـجزت نفسه أن تتـحمل هذا كما فـعل صاحب كـعب؛ لأنه لا يشك أنه من الضيـق والحرج أن يأتي الإنسـان إلى المسجـد مع الجماعة لا يسلم عليه ولا يرد سلامه ومهـجور ومنبوذ هذا تضيق به نفسه ذرعًا، هذا عذر كما قال العلماء.

ومن فـوائده: شدة امتثال الصـحابة لأمر النبي (ﷺ) ودليل ذلك ما جرى لأبي قتادة مع كعب.

ومن فـــوائده: أنه يجب التحـرز من أصحاب الشـر وأهل السوء الذين ينتهزون الضعـف في الإنسان والفرص في إضاعته وهلاكه فـإن هذا الملك انتهز الفـرصة في كـعب يدعـوه إلى الضلال لعله يرجـع عن دينه إلى دين هذا الملك بسبب حال كعب.

ومن فـــوائده: قوة كـعب بن مـالك في دين الله وأنه من المؤمنين الخُلص وليس ممن قال الله فيهم: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ** ﴾ [العنكبوت: ١٠].

من الناس من يقـول آمنا بالله ولكن إيمانه ضعـيف، إذا أوذي في الله ارتد والعياذ بالله وفسق وترك الطاعة.

كـعب بن مالك أوذي في الله إذاء أيما إيذاء لكـنه صبـر واحتـسب وانتظر الفرج فـفرج الله له تفريجًـا لم يكن لأحد غـيره وصاحـبيه أنزل الله فـيهم ثناءً عليهم آيات تتلى إلى يوم القيامة.

نحن نقرأ قصتهم في القرآن في صلاتنا، هذا فضل عظيم.

ومن فوائد الحديث:

أنه ينبغي للإنسان إذا رأى فتنة أو خوف فتنة أن يتلف هذا الذي يكون سببًا لفتنته.

فإن كعبًا لما خاف على نفسه أن تميل فيما بعد إلى هذا الملك ويتخذ هذه الورقة وثيقة حرقها (رضي الله عنه).

ومنه أيضًا لما جرى لسليمان بن داود عليهما السلام حينما عرضت عليه الخيل الصافنات الجياد في وقت العصر فغفل - فيما عرض عليه - الصلاة حتى غابت الشمس، فلما غابت الشمس وهو لم يصل العصر وعابها فجعل يضرب أعناقها وسوقها انتقامًا من نفسه لنفسه.

لأنه انتقم من نفسه التي لهت بهذه الصافنات الجياد عن ذكر الله: ﴿ **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ** ﴾ [ص: ٣٢، ٣٣].

فالمهم أنك إذا رأيت شيئًا من مالك يصدك عن ذكر الله فأبعده عنك بأي وسيلة تكون حتى لا يكون سببًا لإلهائك عن ذكر الله.

فإن الذي يلهي عن ذكر الله خسارة كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المنافقون: ٩].

يقول (رضي الله عنه): [فلما تمت لنا أربعين ليلة] أي شهر وعشرة أيام وكان الوحي قد استلبث، أي: لم ينزل كل هذه المدة وهذا من حكمة الله (عز وجل) في الأمور العظيمة يستلبث الوحي كما في هذه القصة وكما في قصة الإفك حين انقطع الوحي عن رسول الله (ﷺ).

وهذا لحكمة الله (عز وجل) حتى يتشوق الناس إلى الوحي ويتشوقوا إلى ما سينزل رب العالمين (عز وجل).

بقي الوحي أربعين ليلة ما نزل فلما تمت أربعون ليلة أرسل الرسول (ﷺ) إلى كعب وصاحبيه أن يعتزلوا نساءهم وقد سبق وجاءت زوجة هلال بن أمية إلى رسول الله (ﷺ) وأخبرته بأنه في حاجة إليها لتخدمه لأنه ليس له خادم فأذن لها النبي (ﷺ) بشرط ألا يقربها، فقالت: إنه ليس له في هذا الأمر من شيء يعني أنه ليس له شهوة في النساء وإنه ما زال يبكي (رضي الله عنه) منذ أمر النبي (ﷺ) بهجرهم إلى يومه هذا؛ لأنه ما يدري ماذا تكون النهاية.

يقول (رضي الله عنه): [فلما مضى عشر ليال بعد هذا وكنت ذات يوم أصلي الصبح على سطح بيت من بيوتنا]؛ لأنهم ـ كما مر ـ كانوا (رضي الله عنهم) قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم يقول: [فسمعت صارخًا يقول وهو على سلعٍ (وهو جبل معروف في المدينة) وصاح بأعلى صوته يقول: يا كعب بن مالك! أبشر].

يقول: فعلمت أن الله أنزل فيَّ فرجي وركب فارس من المسجد يؤم بيت كعب بن مالك يبشره.

وذهب مبشرون إلى هلال بن أمية ومرارة بن الربيع يبشرونهما بتوبة الله عليهما، انظر إلى فرح المسلمين بعضهم مع بعض كل يسعى ويركض من جهة.

يقول: فجاء الصارخ وجاء صاحب الفرس فكانت البشرى للصارخ؛ لأن الصوت أسرع من الفرس، يقول: فأعطيته ثوبي: الإزار والرداء، وليس يملك غيرهما لكنه استعار من أهله أو جيرانه ثوبين فلبسهما وأعطى ثوبيه هذا الذي يبشره. أعطاه كل ما يملك، لكنها والله بشرى عظيمة أن ينزل الله توبتهم ويمن عليهم بالتوبة.

ثم نزل متوجهًا إلى رسول الله (ﷺ) في المسجد وإذا رسول الله (ﷺ) جزاه الله عن أمته خيرًا قد بشر الناس بعد صلاة الصبح بأن الله أنزل توبته على هؤلاء الثلاثة، لأنه يحب من أصحابه وأمته أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله.

يقول: [فذهبت أتأمم الرسول فجعل الناس يلاقونني أفواجًا].

أي: جماعات يهنئونه بتوبة الله عليه.

هؤلاء القوم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم، فلم يحسدوهم على ما أنعم الله به عليهم من إنزال القرآن العظيم بتوبتهم بل جعلوا يهنئونه حتى دخل المسجد.

وفي هذا فوائد:

أولا: شدة هجر النبي (ﷺ) لهؤلاء الثلاثة حتى إنه أمرهم أن يعتزلوا نساءهم والتفريق بين الرجل وامرأته أمر عظيم.

ثانيًا: وفيه قول الرجل لامرأته الحقي بأهلك ليس بطلاق؛ لأن كعبًا فرق بين قوله: الحقي بأهلك وبين الطلاق، فإذا قال الرجل لامرأته: الحقي بأهلك ولم ينو الطلاق فليس بطلاق، أما إذا نوى الطلاق فإن النبي (ﷺ) قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ...» الحديث.**

«متفق عليه»

فإذا نوى بهذه الكلمة وأمثالها الطلاق فله ما نوى.

ثالثًا: شدة امتثال الصحابة لأمر النبي (ﷺ) أنه (رضي الله عنه) ما تردد ولا قال لعلي أراجع الرسول (ﷺ) أو قال للرسول الذي أرسله النبي (ﷺ) ارجع إليه لعله يسمح، بل وافق بكل شيء.

رابعًا: إن النبي (ﷺ) كان رحيمًا بأمته فإنه بعد أن أمر باعتزال النساء لهن

رخص لهلال بن أمية؛ لأنه يحتاج لخدمة امرأته.

خامسًا: جواز حكاية الحال عند الاستفتاء أو الشهادة أو ما أشبه ذلك، وإن كـان المحكي عنه قد لا يحب أن يطلـع عليه الناس؛ لأن امـرأة هلال بن أميـة، ذكرت من حاله أنه ليس له حاجة إلى شيء من النساء.

سادسًا: إن الإنسان إذا حصل له مثل هذه الحال وهجره الناس وصار يتأذى من مشاهدتهم ولا يتحمل، فإنه له أن يتـخلف عن صلاة الجماعة وإن هذا عذر لأنه لو جاء المســجد في هذه الحال سوف يكون مـشوشًا غير مطمـئن في صلاته ولهذا صلى كعب بن مالك صلاة الفجـر على ظهر بيت من بيوته وسبق لنا ذكر هذه الفائدة.

سابعًا: حرص الصحابة على التسابق إلى البشرى؛ لأن البشرى فيها إدخال السرور على المسلم، مما يقـرب إلى الله (عز وجل) لأنه إحسان والله (سـبحانه) يحب المحسنين ولا يضيع أجرهم.

فلذلك ينبغي لك إذا رأيت من أخيك شيئًـا يسره كأن يكون خبرًا سارًا أو رؤيا سارة أو ما أشبه ذلك أن تبشره بذلك؛ لأنك تدخل السرور عليه.

ثامنًا: إنه ينبغي مكافأة من بشرك بهدية تكون مناسبة للحال.

لأن كعب بن مالك أعطى الذي بشره ثوبيه وهذا نظير ما صح به الخبر.

عن عبد الله بـن عباس (ﭫ) أنه كان يأمـر الناس إذا حجوا أن يتمـتعوا بالعمرة إلى الحج، وكان عمر بن الخطاب (ﭬ) ينهى عن المتعة؛ لأنه يحب أن يعتمر الناس في وقت حتى يكون البيت دائمًا مـعمورًا بالزوار، فعل هذا اجتهادًا منه (ﭬ) وهو من الاجتهاد المغفور وسنة الرسول (ﷺ) أولى.

المهم أن رجلاً استفتـى عبد الله بن عباس (ﭭ) في هذه المسألة فأمره أن يتمتع وأن يحرم بالعمرة ويحل منها.

فرأى هذا الرجل في المنام شخصًا يقول له: حج مبرور وعمرة متقبلة فأخبر بذلك عبد الله بن عباس الذي أفتاه، ففرح بذلك ابن عباس وأمره أن يبقى حتى يعطيه من عطائه، أي: يعطيه هدية على ما بشره به من هذه الرؤيا التي تدل على صواب ما أفتاه به ابن عباس.

والمهم أن مَن بشرك بشيء فأقل الأحوال أن تدعو له بالبشارة أو تهدي له ما تيسر وكل إنسان بقدر حاله.

يقول (رضي الله عنه): [حتى دخلت المسجد وإذا رسول الله (ﷺ) جالس وحوله أصحابه فقام إلى كعبٍ طلحةُ بن عبيد الله (رضي الله عنه) فصافحه وهنأه بتوبة الله عليه.

يقول: والله! ما قام لي أحد من المهاجرين رجل غير طلحة فكان لا ينساها له حيث قام ولاقاه وصافحه وهنأه حتى وقف على النبي (ﷺ) وإذا وجهه تبرق أساريره، لأنه (ﷺ) سره أن يتوب عن إيمان وحصل عليهم ما جرى من الأمر العظيم من هجر الناس لهم خمسين يومًا حتى نسائهم بعد الأربعين أمر الرسول (ﷺ) أن يعتزلوهن.

ثم قال له النبي (ﷺ): «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**».

وصدق النبي (ﷺ). لأن الله أنزل توبته وتوبة صاحبيه في قرآن يتلى تكلم به رب العالمين (عز وجل) وأنزله على محمد (ﷺ) محفوظًا بواسطة جبريل ومحفوظًا إلى يوم القيامة.

ولا يوجد أحد سوى الأنبياء أو من ذكرهم الله في القرآن حفظت قصته كما حفظت قصة كعب بن مالك وصاحبيه.

بقيت هذه القصة تتلى في كتاب الله في المحاريب وعلى المنابر وفي كل مكان ومن قرأ هذه القصة فله بكل حرف عشر حسنات.

[فقلت له: أمن عندك يارسول الله؟ أم من عند الله؟ قال: «**لا، بل من عند الله (عز وجل)**»، لأنه إذا كان من عند الله كان أشرف وأفضل وأعظم.

[فقال كعب: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى رسول الله وإلى رسوله]، أي يتخلى عنه ويجعله صدقة إلى الله ورسوله شأنه وتدبيره، فقال النبي (ﷺ): «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**»، فأمسكه (ﷺ).

ففي هذه القطعة من الحديث فوائد:

أولاً: فيها دليل على أن من السنة إذا أتى الإنسان ما يسره أن يهنأ به ويبشر به سواء كان خير دين أو خير دنيا.

ولهذا بشرت الملائكة إبراهيم (عليه السلام) بغلام حليم وبغلام عليم، الغلام الحليم: إسماعيل، والغلام العليم: إسحاق.

ثانيًا: إنه لا بأس بالقيام إلى الرجل لمصافحته وتهنئته بما يسره والقيام إلى الرجل لا بأس به قد جاءت به السنة وكذلك القيام للرجل وأنت باق في مكانك لا تتحرك إليه، فهذا أيضًا لا بأس به إذا اعتاد الناس؛ لأنه لم يرد النهي عنه، وإنما النهي والتحذير من الذي يقام له لا من القائم، فإن من يقام له قال فيه النبي (ﷺ): «**من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»

«أحمد وأبو داود، صحيح الجامع: ٥٩٥٧»

قال أهل العلم: والقيام ثلاثة أقسام:

الأول: قيام إلى الرجل.

الثاني: قيام للرجل.

الثالث: قيام على الرجل.

فالقيام إلى الرجل: لا بأس به، وقد جاءت به السنة أمرًا وإقرارًا وفعلاً.

أما الأمر: فإن النبي (ﷺ) لما أقبل سعد بن معاذ (رضي الله عنه) عند تحكيمه بني قريظة قال الرسول (ﷺ): «**قوموا إلى سيدكم**».

وكان سعد بن معاذ (رضي الله عنه) قد أصيب في غزوة الأحزاب في أكحله (وهو عرق في اليد إذا انفجر مات الإنسان) فدعا الله ألا يميته حتى يقر عينه في بني قريظة، وكانوا حلفاء للأوس وخانوا عهد النبي (ﷺ) وصاروا مع الأحزاب على رسول الله (ﷺ)، فلما طعن سعد قال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة، وكان من علو منزلته عند رسول الله (ﷺ) أنه أمر النبي (ﷺ) أن يضرب له خباء في المسجد (أي خيمة صغيرة) لأجل أن يعوده من قريب، فكان يعوده من قريب، ولما حصلت غزوة قريظة ورضوا أن يحكم فيهم سعد بن معاذ أمر النبي (ﷺ) أن يحضر سعد بن معاذ إلى بني قريظة فجاء راكبًا على حمار؛ لأنه قد أنهكه الجرح، فلما أقبل قال رسول الله (ﷺ): «**قوموا إلى سيدكم**»، فقاموا فأنزلوه فقال الرسول (ﷺ) له: «**إن اليهود من بني قريظة حكموك**».

فقال (رضي الله عنه) حكمي نافذ فيهم؟ قال: «**نعم**» وأقروا به وقالوا: نعم حكمك نافذ.

قال: وفيمن ها هنا - يشير إلى الرسول (ﷺ) والصحابة - قالوا: نعم، فقال: أحكم فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسبى ذريتهم ونساؤهم وتغنم أموالهم، حكم صارم!!

فقال الرسول (ﷺ): «**حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**».

«متفق عليه»

فنفذ النبي (ﷺ) حكمه وقتل منهم سبعمائة رجل وسبى نساءهم وذرياتهم وغنم أموالهم.

الشاهد قوله: «**قوموا إلى سيدكم**».

هذا فعل أمر ولما دخل كعب إلى المسجد قام إليه طلحة بن عبيد الله والنبي (ﷺ) يشاهد ولم ينكر عليه ولما قدم وفد ثقيف إلى رسول الله (ﷺ) بالجعرانة (قبل الغزوة قام لهم) أو (قام إليهم) (ﷺ).

الثاني القيام للرجل: هذا لا بأس به لاسيما إذا اعتاد الناس ذلك.

وصار الداخل إذا لم تقم له يعد ذلك امتهانًا له فإن ذلك لا بأس به، وإن كان الأولى تركه كما في السنة، لكن إذا اعتاده فلا حرج فيه.

الثالث القيام عليه: كأن يكون جالسًا وقوَّمَ واحدًا على رأسه تعظيمًا له، فهذا منهي عنه، قال الرسول (ﷺ): «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا**».

حتى إنه في الصلاة إذا صار الإمام لا يستطيع القيام وصلى جالسًا فإن المأمومين يصلون جلوسًا ولو كانوا يقدرون على القيام لئلا يشبهوا الأعاجم الذين يقومون على ملوكهم.

فالقيام على الرجل منهي عنه، اللهم إلا إذا دعت الضرورة لذلك، كأن خاف على الرجل أن يعتدي عليه أحد فلا بأس أن يقوم القائم، وكذلك إذا قام عليه الرجل إكرامًا في حال يقصد فيه إكرامه وإهانة العدو.

مثل ما حصل من المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) في صلح الحديبية حينما كانت قريش تراسل النبي (ﷺ) للمفاوضة فيما بينهم.

كان المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) واقفًا على رأس رسول الله (ﷺ) وبيده السيف تعظيمًا لرسول الله (ﷺ) وإهانة لرُسل الكفار الذين يأتون للمفاوضة.

وفي هذا: دليل على أنه ينبغي لنا نحن المسلمين أن نغيظ الكفار بالقول وبالفعل؛ لأننا هكذا أمرنا. قال الله (سبحانه): ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ**

والْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾[الفتح: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾[التوبة: ١٢٠].

ومن المؤسف أن منا من يدخل عليهم السرور والفرح وربما يشاركهم في أعيادهم (والعياذ بالله) الكفرية التي لا يرضاها الله بل يسخط عليها والتي يخشى أن ينزل العذاب عليهم وهم يلعبون بهذه الأعياد، يوجد من الناس مَن لا قدر للدين عنده كما قال ابن قيم الجوزية في أحكام أهل الذمة.

«أدخل عليهم ما يحزنهم ويغيظهم ويدخل عليهم أشد ما يكون من الضيق» هكذا أمرنا لأنهم أعداء الله ولدينه وللملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. المهم أن المغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله (ﷺ) وبيده السيف تعظيمًا له حتى أنه في أثناء المراسلة فعل الصحابة شيئًا لا يفعلونه في العادة، كان (ﷺ) إذا تنخم تلقوا نخامته بأيديهم ثم يمسحون بها وجوههم وصدورهم، مع أنهم كانوا ما يفعلون هذا لكن لأجل إذا ذهب رسول الكفار إلى الكفار بين لهم حال الصحابة مع نبيهم (ﷺ).

ولذلك لما رجع رسول المشركين إلى قريش قال: والله لقد دخلت على الملوك وكسرى وقيصر والنجاشي، فلم أر أحدًا يعظمه أصحابه مثلما يعظم أصحاب محمد محمدًا (ﷺ) وأرضاهم، وجزاهم الله عنا خيرًا.

المهم أن القيام على الرجل إذا كان المقصود به حفظ الرجل أو كان المقصود به إغاظة العدو فإن هذا لا بأس به.

ثالثًا: إن مَن أنعم الله عليه بنعمة فإن من السنة أن يتصدق بشيء من ماله فإن النبي (ﷺ) أقر كعب بن مالك على أن يتصدق بشيء من ماله توبة إلى الله

(عز وجل) لما حصل له من هذا الأمر العظيم الذي كان فخرًا له يوم القيامة.

ذكر كعب بن مالك أن من توبته ألا يتحدث بحديث كذب بعد أن نجاه الله تعالى بالصدق، وما زال كذلك ما حدث بحديث كذب أبدًا بعد أن تاب الله عليه فكان (رضي الله عنه) مضرب المثل في الصدق حتى إن الله أنزل فيه وفي صاحبيه: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

أنزل الله (تعالى) الآيات في بيان منته عليهم بالتوبة من قوله تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ**﴾ [التوبة: ١١٧].

ففي هذه الآية أكد الله توبته على النبي والمهاجرين والأنصار، أكدها بقوله: ﴿**لَقَد تَّابَ اللَّهُ**﴾ [التوبة: ١١٧].

فأما النبي فهو محمد رسول الله (ﷺ) خاتم النبيين الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وأما المهاجرون فهم الذين هاجروا من بلادهم من مكة إلى المدينة هاجروا إلى الله ورسوله فجمعوا في ذلك بين الهجرة ومفارقة الوطن ومفارقة الديار وبين نصرة النبي (ﷺ) لأنهم إنما هاجروا إلى الله ورسوله.

أما الأنصار فهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أهل المدينة (رضي الله عنهم) الذين آووا النبي (ﷺ) ونصروه ومنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وقدم الله المهاجرين لأنهم أفضل من الأنصار لجمعهم بين الهجرة والنصرة. وقوله: ﴿**الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ [التوبة: ١١٧].

وذلك في الخروج معه إلى غزوة تبوك إلى بلاد بعيدة والناس في أشد ما يكونون في الحر والناس في أطيب ما يكونون لو بقوا في ديارهم؛ لأن الوقت وقت قيظ والوقت وقت طيب الثمار وحسن الظلال ولكنهم (رضي الله عنهم) خرجوا في

هذه الساعة الحرجة في ساعة العسرة: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧].

فإن بعضهم كاد يتخلف بدون عذر فيزيغ قلبه ولكن الله (عز وجل) مَنَّ عليهم بالاستقامة حتى خرجوا مع النبي (ﷺ). وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٧]. أكد ذلك مرة أخرى: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

شملهم بالرأفة والرحمة والرأفة أرق من الرحمة لأنها رحمة ألطف وأعظم من الرحمة العامة.

ثم قال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

والثلاثة هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وخلفوا أي خلف البَتُّ في أمرهم وليس المراد تخلفوا عن الغزوة بل خلفهم الرسول (ﷺ) لكي ينظر في أمرهم ماذا يكون حكم الله (تعالى) فيهم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨] ضاقت عليهم الأرض مع سعتها، والرحب: السعة.

حتى قال كعب بن مالك: [لقد تنكرت لي الأرض حتى قلت: لا أدري هل أنا في المدينة أم في غيرها] من شدة الضيق عليهم.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] نفس الإنسان ضاقت عليه فهي لا تتحمل أن تبقى، ولكنهم صبروا حتى فرج الله عنهم.

وقوله: ﴿وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

الظن هنا بمعنى اليقين، أي: أيقنوا أن لا ملجأ من الله. أي: أنه لا أحد ينفعهم ولا ملجأ من الله إلا إلى الله، فالله بيده كل شيء (عز وجل).

وقوله ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة:١١٨].

تاب الله عليهم؛ لينالوا مراتب التوبة التي لا ينالها إلا أحباب الله.

كما قال الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

أما أولئك الـذين اعتذروا من المنافـقين إلى الرسول (ﷺ) واسـتغـفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فإن الله أنزل فيهم شر ما أنزل في بشر.

فـقـال: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٥].

فلا تلومونهم: ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ [التوبة: ٩٥].

أعوذ بالله رجس، الخـمر رجس، القذر الذي يخـرج من الإنسان رجس، روث الحمير رجس، هؤلاء مثلهم: ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩٥].

بئس المأوى - والعـياذ بالله - إنهم ينتقـلون من الدنيا إلى جهـنم نسأل الله العافية، نار حامية تطلع على الأفئدة مؤصدة عليهم في عمد ممددة.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٦].

إذا رضي الناس عنك كلهم، والله لم يرض عنك فإنه لا ينفعك.

إذا رضي الله عنك أرضى عنك الناس وأمـال قلوبهم إليك كـما جـاء في الحديث: «**إن الله (عز وجل) إذا أحب شخصًا نادى جبريل: يا جبريل! إني أحب فلانًا فأحبه**».

«رواه مسلم»

يعين الله الرجل له؛ فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فيكون مقبولاً لدى أهل الأرض.

كما قال (عز وجل): ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ [مريم: ٩٦].

لكن إذا التمس الإنسان رضى الناس بسخط الله فالأمر بالعكس يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس.

ولهذا لما تولى معاوية (رضي الله عنه) الخلافة كتبت له عائشة (رضي الله عنها) قالت: «**سمعت النبي (ﷺ) يقول: من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**».

«رواه الترمذي، السلسلة الصحيحة: ٢٣١١»

وما أكثر الذين يطلبون رضى الناس بسخط الخالق (عز وجل).

هؤلاء في سخط الله ولو رضي عنهم الناس، فلا ينفعهم رضى الناس.

قال الله هنا: ﴿ **فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة: ٩٦].

حتى لو رضي عنهم النبي (ﷺ) أشرف الخلق ما نفعهم؛ لأن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين.

وفي هذه الآية تحذير من الفسق وهو: ارتكاب المعاصي التي أعظمها الكفر وكل فسق فإنه ينقص من رضى الله عن الإنسان بحسبه.

لأن الحكم المعلق بالوصف يزداد بزيادته، وينقص بنقصانه، ويقوى بقوته ويضعف بضعفه.

الفسق سبب عدم رضى الله وهو أنواع كثيرة ومراتب عظيمة.

مثلاً عقوق الوالدين من الفسوق، وقطيعة الرحم من الفسوق وغش الناس من الفسوق، والغدر بالعهد من الفسوق، والكذب من الفسوق، فكل معصية من الفسوق.

لكن صغائر الذنوب تكفرها حسنات الأعمال إذا أصلح الإنسان الحسنات كما قال الله: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقال: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود: ١١٤].

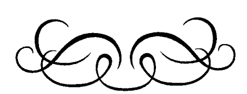
أما الكبائر فلا ينفع فيها إلا التوبة.

على كل حال الفسق من أسباب انتفاء رضَى الله عن العبد والطاعة من أسباب الرضا.

فعليك يا أخي التزام طاعة الله إن كنت تريد رضاه، وإن كنت تريد رضى الناس فأرض الله.

ذكر (ﷺ) أنه خرج من المدينة في يوم الخميس وكان يحب أن يخرج فيه، ولكن ذلك ليس بدائم، أحيانًا يخرج يوم السبت كما خرج في آخر سفرة سافرها في حجة الوداع وربما يخرج في أيام أخر لكن غالب ما يخرج فيه هو يوم الخميس. وذكر أن النبي (ﷺ) عاد إلى المدينة ضحى، وأنه دخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان هذا من سنته (ﷺ) أنه إذا قدم بلده لم يبدأ بشيء قبل المسجد وقد تقدم.

وهاتان الركعتان تشمل كل الوقت حتى أوقات النهي؛ لأنها صلاة سببية فليس عنها نهي في أي وقت وجد سببها حل فعلها.





قصة
الغلام والساحر

عن صهيب (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «كان ملك فيمن قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهبًا، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجر فقال: اللهم! إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا أكثر فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، وإنما يشفي الله (تعالى) فإن آمنت بالله (تعالى) دعوت الله فشفاك، فآمن بالله (تعالى) فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني! قد بلغ من سحرك ما تبريء الأكمه والأبرص وتفعل، وتفعل فقال: لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله (تعالى) فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء

بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله (تعالى) فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله (تعالى) فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع في صدغه، فوضع يده في صدغه فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست، أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري! فإنك على حق».

«ذروة الجبل: أعلاه» وهي بكسر الذال المعجمة وضمها، و«القرقور: بضم القافين، نوع من السفن» و«الصعيد هنا: الأرض البارزة» و«الأخدود: الشقوق في الأرض كالنهر الصغير» و «أضرم: أوقد» و «انكفأت: أي انقلبت» تقاعست: توقفت وجبنت.

الشرح:

هذا الحديث فيه قصة عجيبة: وهي أن رجلاً من الملوك فيمن سبق كان عنده ساحر وهذا الساحر اتخذه الملك بطانة من أجل أن يستخدمه في مصالحه ولو كان على حساب الدين؛ لأن هذا الملك لايهتم إلا بما فيه مصلحته وهو ملك مستبد قد عبَّد الناس لنفسه كما سيأتي في آخر الحديث.

هذا الساحر لما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر .

واختار الغلام؛ لأن الغلام أقبل للتعليم؛ ولأن التعليم للغلام الشاب هو الذي يبقى ولا ينسى ولهذا كان التعليم في الصغر فيه فائدتان عظيمتان بل أكثر:

الفائدة الأولى: إن الشاب في الغالب أسرع حفظًا من الكبير؛ لأن الشاب فارغ البال ليس عنده مشاكل توجب انشغاله.

الفائدة الثانية: إن ما يحفظه الشاب يبقى وما يحفظه الكبير ينسى ولهذا كان من الحكمة الشائعة بين الناس «إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر» لا يزول.

الفائدة الثالثة: وهي أن الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر صار العلم كالسجية له والطبيعة له وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشيب عليه.

فهذا الساحر ساحر قد تقدمت به السن وجرب الحياة وعرف الأشياء فطلب من الملك أن يختار له شابًا غلامًا يعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا، فعلمه ما علمه، ولكن الله (تعالى) قد أراد بهذا الغلام خيرًا!

مر هذا الغلام يومًا براهب، فسمع منه فأعجبه كلامه؛ لأن هذا الراهب ـ يعني العابد ـ عابد لله (عز وجل)، لا يتكلم إلا بالخير، وقد يكون راهبًا عالمًا لكن تغلب عليه العبادة فسمى بما يغلب عليه من الرهبانية .

المهم! أنه أعجبه وصار إذا خرج هذا الغلام من أهله جلس عند الراهب فتأخر على الساحر.

فجعل الساحر يضربه، لماذا تتأخر؟ فشكا الغلام إلى الراهب ما يجده من الساحر من الضرب إذا تأخر.

فلقنه الراهب أمرًا يتخلص به، قال: إذا ذهبت إلى الساحر وخشيت أن يعاقبك فقل: إن أهلي حبسوني، أي تأخر عند أهله، وإذا أتيت عند أهلك، فقل إن الساحر حبسني، حتى تنجو من هذا ومن هذا.

وكأن الراهب ـ والله أعلم ـ أمره بذلك مع أنه كذب لعله رأى أن المصلحة في هذا تربو على مفسدة الكذب مع أنه يمكن أن يتأول!!

ففعل فصار الغلام يأتي إلى الراهب ويسمع منه ثم يذهب إلى الساحر فإذا أراد أن يعاقبه على تأخره، قال: إن أهلي أخروني وإذا رجع إلى أهله وتأخر عند الراهب قال: إن الساحر حبسني، فمر ذات يوم بدابة عظيمة ولم يُعَيَّن في الحديث ما هذه الدابة؟ قد حبست الناس عن التجاوز، فلا يستطيعون أن يتجاوزوها فأراد هذا الغلام أن يختبر هل الراهب خير له أم الساحر؟ فأخذ حجرًا ودعا الله (سبحانه وتعالى) إن كان أمر الراهب خيرًا أن يقتل هذا الحجر هذه الدابة، فرمى بالحجر فقتل الدابة فمشى الناس.

فعرف الغلام أن أمر الراهب خيرٌ من أمر الساحر وهذا أمر لا شك فيه؛ لأن الساحر إما معتد ظالم وإما كافر مشرك، فإن كان يستعين على سحره بالشياطين يتقرب إليهم ويعبدهم ويدعوهم ويستغيث بهم فهو كافر مشرك، وإن كان لا يفعل هذا لكن يعتدي على الناس بأدوية فيها سحر فهذا ظالم معتد.

أما الراهب فإن كان يعبد الله على بصيرة فهو مهتد، وإن كان عنده شيء من الجهل والضلال فنيته طيبة.

المهم ! إن هذا الغلام أخبر الراهب بما جرئ فقال له الراهب: أنت اليوم خير مني، وذلك؛ لأن الغلام دعا الله فاستجاب الله له.

وهذا من نعمة الله على العبد أن الإنسان إذا شك في الأمر ثم طلب من الله آية تبين له شأن هذا الأمر فبينه الله له فإن هذا من نعمة الله عليه.

ومن هنا شرعت الاستخارة للإنسان إذا هم بالأمر وأشكل عليه هل في إقدامه خيرٌ أم في إحجامه خير؟ فإنه يستخير الله وإذا استخار الله بصدق وإيمان فإن الله يعطيه على ما يستدل به على أن الخير في الإقدام أو في الإحجام، إما بشيء يلقيه في قلبه ينشرح له صدره لهذا أو لهذا أو إما بمشورة أحد من الناس وإما بغيره.

المهم! إن هذا الغلام كان من كرامته أن يبرئ الأكمه والأبرص، يعني أنه يدعو لهم فيبرءون، وهذا من كرامات الله له.

وليس كقصد عيسى ابن مريم يمسح صاحب العاهة فيبرأ بل هذا يدعو الله فيستجيب الله دعاءه، فيبرأ بدعائه الأكمه والأبرص.

وقد أخبر الراهب الغلام بأنه سيبتلى، يعني سيكون له محنة واختبار وطلب منه ألا يخبر به إن هو ابتلى بشيء.

وكان هذا الغلام مستجاب الدعوة إذا دعا الله قبل منه.

وكان للملك جليس أعمى ـ لا يبصر ـ فأتى بهدايا كثيرة لهذا الغلام حين سمع عنه ما سمع وقال: لك ما هاهنا أجمع ـ أي كله ـ إن أنت شفيتني، فقال: إنما يشفيك الله.

انظر إلى الإيمان لم يغتر بنفسه وادعى أنه هو الذي يشفي المرضى بل قال: إنما يشفيك الله (عز وجل).

يشبه هذا من بعض الوجوه ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ

حينما جيء إليه برجل مصروع قد صرعه الجني فقرأ عليه الشيخ ولكنه لم يخرج فجعل شيخ الإسلام يضربه على رقبته ضربًا شديدًا حتى أن يد الشيخ أوجعته من الضرب، فتكلم الجني الذي في الرجل وقال: أخرج كرامة للشيخ!!

فقال له الشيخ: لا تخرج كرامة لي؛ ولكن اخرج طاعة لله ورسوله.

لا يريد أن يكون له فضل بل الفضل لله أولاً وأخيرًا، فخرج الجني وعندما استيقظ الرجل فقال: ما الذي جاء بي إلى حضرة الشيخ؟! لأنه حين صرع يمكن أنه كان في بيته أو سوقه، فقالوا: سبحان الله! ألم تحس بالضرب الذي كان يضربه لك، قال: ما أحسست به ولا أوجعني، فأخبروه فبرئ الرجل.

الشاهد أن أهل العلم والإيمان لا ينسبون نعمة الله إليهم وإنما ينسبونها إلى مولاهم (عز وجل) وهو الله.

وقال له: «إن أنت آمنت دعوت الله لك» فآمن الرجل، فدعا الغلام له ربه أن يشفيه فشفاه الله فأصبح مبصرًا.

فجاء هذا الجليس إلى الملك وجلس عنده على العادة وأتى بالغلام وأخبره بالخبر وعذبه تعذيبًا شديدًا قال: من الذي علمك هذا الشيء؟ وكان الراهب قد قال له: إنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تخبر عني ولكن لعله عجز عن الصبر فأخبر عن الراهب.

وكان هذا الملك الجبار ـ والعياذ بالله ـ قد عذب هذا الجليس الأعمى الذي آمن بدعوة هذا الغلام، عذبه تعذيبًا شديدًا حيث قال: آمنت بالله، قال: أولك رب غيري ـ نعوذ بالله.

لما دلوا على الراهب، جيء بالراهب ـ والراهب عابد يعبد الله ـ فدعاه إلى أن يقول: هذا الملك هو ربه ولكنه أبى أن يرجع عن دينه.

فأتوا بالمنشار فنشروه من مفرق رأسه ـ نصف الجسم ـ فبدءوا بالرأس ثم

الرقبة ثم الظهر حتى انقســم قسمين - شقين شق هنا وشق هناك - ولكنه لم يثنيه ذلك عن دينه، أبى أن يرجع ورضي أن يقـتل هذه القتلة ولا يرجع عــن دينه ما شاء الله!!

ثم جيء بالرجل الأعــمى الذي كان جليـسًا عند الملك وآمن وكفـر بالملك فدعاه أن يرجع عن دينــه، فأبى ففعل به كمـا فعل بالراهب، فلم يرده ذلك عن دينه، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يصبر وأن يحتسب.

ولكن هل يجب على الإنسان أن يصبر على القـتل أو يجوز أن يقول كلمة الكفر ولا تضره إذا كان مكرهًا؟

هذا فيه تفصيل إن كانت المسألة تتعلق به نفسه فله الخيار إن شاء قال كلمة الكفر دفعًا للإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان، وإن شاء أصر وأبى ولو قتل، هذا إذا كان الأمر عائدًا إلى الإنسان بنفسه.

أما إذا كان الأمر يتعلق بالدين بمعنى أنه لو كفر ولو ظاهرًا أمام الناس لكفر الناس فإنه لا يجوز له أن يقول كلمة الكفر بل يجب أن يصبر ولو قتل، كالجهاد في سبيل الله. المجـاهد يقاتل ولو قتل؛ لأنه يريد أن تكون كلمــة الله هي العليا فإذا كــان إمامًا للناس وأجـبر على أن يقول كلمــة الكفر فإنه لا يجــوز أن يقول كلمة الكفر لاسيما في زمن الفتنة بل عليه أن يصبر ولو قتل.

ومثل ذلك ما وقع للإمام أحمــد بن حنبل - رحمه الله - حين امتحن المحنة العظيمة المشــهورة على أن القرآن مخلوق وليس كلام الله فـأوذي وعذر حتى أنه يجر بالبغلة بالأسواق - أمام أهل السنة - يجـر بالبغلة بالأسواق ويضرب بالسوط حتى يغشى عليه!! ولكنه كلما أفاق قال: القرآن الكريم كلام ربي غير مخلوق .

وإنما لم يجز لنفسه أن يقول كلمة الكفر مع الإكراه؛ لأن الناس ينتظرون ما يقول الإمــام أحمــد فلو قال: القــرآن مخلوق لصــار كل الناس يقولــون القرآن

مـخلوق وفسـد الدين، ولكنه (ﷺ) جعل نفـسه فداءً للدين ومع هذا صـبر واحتسب وكانت العاقبة له ولله الحمد.

مات الخليفة ومـات الخليفة الثاني الذي بعده وأتى الله بخليـفة صالح أكرم الإمام أحمـد إكرامًا عظيمًـا فما مات الإمـام أحمد حتى أقر الله عـينه بأن يقول الحق عاليًا مرتفع الصوت ويقول للناس الحق معه.

وخـذل أعداءه ولله الحـمد. وهذا دليل على أن الـعاقـبة للصـابرين وهو كذلك، والله الموفق.

فأبى الـغلام أن يرجع عن دينه فـدفعه الملـك إلى نفر من أصـحابه - أي: جمـاعة من الناس - وقـال لهم: اذهبوا به إلى جبل كـذا وكذا مـعروف عندهم شاهق رفيـع وقال لهم: إذا بلغوا ذروته فاطرحـوه يعني على الأرض، ليقع من رأس الجـبل فيـموت بعـد أن تعـرضوا عليـه أن يرجع عن دينه فـإن رجع وإلا فاطرحوه.

فلما بلغوا به قمة الجبل فطلبوا منه أن يرجع عن دينه فأبى؛ لأن الإيمان قد وقر في قلبه ولا يمكن أن يتحول أو يتزحزح، فلما هموا أن يطرحوه قال: «اللهم اكفنيهم بما شئت».

دعوة مـضطر مـؤمن: «اللهم اكفنيـهم بما شئت»، أي: بالذي تشـاء ولم يعين، فرجف الله به الجبل فـسقطوا وهلكوا، وجاء الغلام إلى الملك فـقال: ما الذي جاء بك؟ أين أصحابك؟ فقال: قد كـفانيهم الله (عز وجل)، ثم دفعه إلى جماعـة آخرين وأمرهم أن يركبوا البحـر في قرقور - أي سفينة - فـإذا بلغوا لجة البحر عرضوا عليه أن يرجع عن دينه فإن لم يفعل رموه في البحر.

فلما توسطوا من البـحر عرضوا عـليه أن يرجع عن دينه وهو الإيمان بالله (عز وجل) فقال: لا ! فقال: «اللهم اكفنيـهم بما شئت» فانقلبت السفينة وغرقوا

ونجاه الله ثم جاء إلى الملك فقال له: أين أصحابك؟ فأخبره بالخبر ثم قال له: إنك لست قاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، كل أهل البلد، ثم تصلبني على جذع ثم تأخذ سهمًا من كنانتي فتضعه في كبد القوس ثم ترميني به وتقول: بسم الله رب الغلام، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الملك الناس في صعيد واحد وصلب الغلام وأخذ سهمًا من كنانته فوضعه في كبد القوس ثم رماه وقال: بسم الله رب الغلام ثم رماه فأصابه السهم في صدغه فوضع يده عليه ومات فأصبح الناس يقولون: آمنا برب الغلام وآمنوا بالله وكفروا بالملك وهذا الذي كان يريده هذا الغلام.

ففي هذه القصة من الحديث دليل على مسائل:

أولاً: على قوة إيمان هذا الغلام وأنه لم يتزحزح عن إيمانه ولم يتحول.

ثانيًا: فيه آية من آيات الله حيث أكرمه الله (عز وجل) بقبول دعوته فزلزل الجبل بالقوم الذين يريدون أن يطرحوه من رأس الجبل حتى سقطوا.

ثالثًا: إن الله (عز وجل) يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فإذا دعى الإنسان ربه في حال الضرورة موقنًا أن الله يجيبه فإن الله (تعالى) يجيبه حتى الكفار إذا دعوا الله في حال الضرورة أجابهم الله حتى وأنه يعلم أنهم سيعودون إلى الكفر. إذا غشيهم موج كالظلل في البحر دعوا الله مخلصين له الدين فإذا نجاهم أشركوا، فينجيهم؛ لأنهم صدقوا في الرجوع إلى الله عند دعائهم وهو سبحانه يجيب المضطر ولو كان كافرًا.

رابعًا: إن الإنسان يجوز أن يضر بنفسه في مصلحة عامة المسلمين فإن هذا الغلام دل الملك على أمر يقتله به ويهلك به نفسه وهو أن يأخذ سهمًا من كنانته... إلخ.

قال شيخ الإسلام: «لأن هذا جهاد في سبيل الله، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئًا؛ لأنه مات وسيموت آجلاً أو عاجلاً».




قصة
وفاة ابن أبي طلحة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: «كان ابن لأبي طلحة (رضي الله عنه) يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن مما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى النبي (ﷺ) فأخبره فقال: «**أعرستم الليلة؟**» قال: نعم! قال: «**اللهم بارك لهما**» فولدت غلامًا فقال لي أبو طلحة: احملوه حتى نأتي به إلى النبي (ﷺ) وبعث معه بتمرات فقال: «**أمعه شيء؟**» قال: نعم! تمرات، فأخذها النبي (ﷺ) فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في فيّ الصبي ثم حنّكه وسماه عبد الله».

«متفق عليه»

وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود.

وفي رواية لمسلم: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء وأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. فقالت: احتسب ابنك قال: فغضب، ثم قال: تركتني حتى إذا تطلخت ثم أخبرتني بابني فانطلق حتى أتى رسول الله (ﷺ) فأخبره بما كان، وقال رسول الله (ﷺ): «**بارك الله في ليلتكما**»، قال: فحملت، قال: وكان رسول الله (ﷺ) في سفر وهي معه وكان رسول الله (ﷺ) إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا فدنوا من المدينة، فضربها المخاض ، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق إلى رسول الله (ﷺ)،

قال: يقول أبو طلحة إنك لتعلم يارب أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله (ﷺ) إذا خرج وأدخل إذا دخل، وقد احتبست بما ترى.

تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد، انطلق، فانطلقنا وضربها المخاض حين قدومنا فولدت غلامًا فقالت لي أمي: يا أنس! لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله. وذكر تمام الحديث.

الشرح:

حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة أنه كان له ابن يشتكي يعني مريضًا، وأبو طلحة كان زوج أم أنس بن مالك (رضي الله عنه) وكان هذا الصبي يشتكي فخرج أبو طلحة لبعض حاجاته فقُبض الصبي يعني مات. فلما رجع سأل أمه عنه فقال: كيف ابني، قالت: «هو أسكن ما يكون» وصدقت في قولها «هو أسكن ما يكون»؛ لأنه مات وما سكون أعظم من الموت.

وأبو طلحة (رضي الله عنه) فهم أنه أسكن ما يكون من المرض وأنه في عافية فقدمت له العشاء فتعشى على أن ابنه برئ وطيب ثم أصاب منها يعني جامعها، فلما انتهى قالت لهم: «واروا الصبي» أي: ادفنوا الصبي فإنه قد مات.

فلما أصبح أبو طلحة (رضي الله عنه) وواروا الصبي وعلم بذلك الرسول (ﷺ) فسأل: «**هل أعرستم الليلة؟**» قال: نعم! فدعا لهما بالبركة «**اللهم! بارك لهما في ليلتهما**» فولدت غلامًا أسماه عبد الله وكان لهذا الولد تسعة أولاد كلهم يقرءون القرآن ببركة دعاء الرسول (ﷺ).

ففي هذا الحديث دليل على قوة صبر أم سليم (رضي الله عنها) وأن ابنها الذي مات بلغ بها الحال إلى أن تقول لزوجها هذا القول وتواري هذه التورية وقدمت له العشاء ونال منها ثم قالت: ادفنوا الولد.

وفي هذا دليل على جواز التورية يعني: أن يتكلم الإنسان بكلام يخالف

نيته ما في ظاهر هذا الكلام، فله ظاهرٌ هو المتبادر إلى ذهن المخاطب وله معنى آخر مرجوح لكن هو المراد في نية المتكلم فيظهر خلاف ما يريد.

وهذا جائز ولكنه لا ينبغي إلا للحاجة، إذا احتاج الإنسان إليه لمصلحة أو دفع مضرة فليوار وأما مع عدم الحاجة فلا ينبغي أن يواري؛ لأنه إذا وارى وظهر الأمر على خلاف ما يظنه المخاطب نُسب هذا المواري إلى الكذب وأساء الظن به لكن إذا دعت الحاجة فلا بأس.

ومن التورية المفيدة التي يحتاج إليها الإنسان: لو أن شخصًا ظالمًا يأخذ أموال الناس بغير حق وأودع إنسان عندك مالاً قال: هذا مالي عندك وديعة أخشى أن يطلع عليها هذا الظالم فيأخذه فجاء الظالم إليك وسألك هل عندك مال فلان فقلت: والله ما عندي شيء، المخاطب يظن أن هذا نفي وأن المعنى ما عندي له شيء لكن أنت تنوي بما: «الذي» أي: الذي عندي له شيء، فيكون هذا الكلام مثبتًا لا منفيًا ، هذا من التورية المباحة بل المطلوبة إذا دعت الحاجة إليها.

وفي هذا الحديث: أن الرسول (ﷺ) لما جاء أنس بن مالك بأخيه من أمه ابن طلحة جاء به إلى النبي (ﷺ) ومعه تمرات فأخذه النبي (ﷺ) ومضغ التمرات ثم جعلها في فيّ الصبي أي أدخلها في فمه وحنكه أي أدخل أصبعه وأداره في حنكه وذلك تبركًا بريق الرسول (ﷺ) ليكون أول ما يصل إلى بطن هذا الصبي ريق الرسول (ﷺ) وكان الصحابة يفعلون هذا إذا ولد لهم أولاد بنين وبنات وجاءوا بهم إلى رسول الله، وجاءوا بالتمرات معهم من أجل أن يحنكه، وهذا التحنيك هو لبركة ريق النبي (ﷺ) أو من أجل أن يصل التمر إلى معدة الصبي قبل كل شيء؟ إن قلنا بالأول صار التحنيك من خصائص الرسول (ﷺ) فلا يحنك أحد صبيًا لأنه لا أحد يتبرك بريقه وعرقه إلا رسول الله (ﷺ) وإن قلنا الآخر أنه من أجل التمرات يكون هو أول ما يصل إلى معدة الصبي؛ لأنه

يكون لها بمنزلة الدباغ فإننا نقول كل مولود يحنك.

وفي هذا الحديث آية من آيات الله (عز وجل) حيث دعا لهذا الصبي فبارك الله فيه وفي عقبه وكان له كما ذكرنا تسعة من الولد كلهم يقرءون القرآن ببركة دعاء الرسول (ﷺ).

الحديث الصحيح: «**أحب الأسماء إلى الله عبد الرحمن وعبد الله وأصدقها حارث وهمام**».

«مسلم»

لأنها مطابقة للواقع كل واحد من بني آدم فهو حارث يعمل، وكل واحد من بني آدم فهو همام يهم وينوي ويقصد وله إرادة.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾ [الانشقاق: ٦].

كل إنسان يعمل ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار لأبنائه وبناته أحسن الأسماء لينال بذلك الأجر وليكون محسنًا لأبنائه وبناته.

أما أن يأتي بأسماء غريبة للمجتمع فإن هذا قد يوجب مضايقات نفسية للأبناء والبنات في المستقبل ويكون كل هم ينال الولد من هذا الاسم فعليك إثمه ووباله؛ لأنك أنت المتسبب لمضايقته بهذا الاسم الغريب الذي يشار إليه ويقال: انظر هذا الاسم انظر هذا الاسم!!

ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار أحسن الأسماء ويحرم أن يسمي الإنسان أسماء من أسماء الكفار مثل«چورج - وما أشبه ذلك من الأسماء التي يختص بها الكفار؛ لأن هذا من باب التشبه بهم وقد قال النبي (ﷺ): «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

«أبو داود - صحيح الجامع - (٦١٤٩)»

ويجب علينا نحن ـ المسلمين ـ أن نكره الكفار كرهًا عظيمًا وأن نعاديهم وأن نعدهم أعداءً لنا مهما تزينوا لنا وتقربوا لنا فهم أعداؤنا حقًا وأعداء الله (عز وجل) وأعداء الملائكة وأعداء الأنبياء وأعداء الصالحين فهم أعداء ولو تلبثوا بالصداقة أو زعموا أنهم أصدقاء فإنهم والله هم الأعداء، فيجب أن نعاديهم ولا نفرق بين الكفار الذين لهم شأن وقيمة في العالم أو الكفار الذين ليس لهم شأن!!

حتى الخدم والخادمات يجب أن نكره في بلدنا خادمًا أو خادمة من غير المسلمين لاسيما وأن نبينا محمدًا (ﷺ) يقول: «**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب**».

«مسلم»

ويقول: « **لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا**» ويقول في مرض موته، وفي آخر حياته وهو يودع الأمة: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**».

«البخاري»

وبعض الناس يخير بين عامل مسلم وعامل كافر فيختار الكافر.

نسأل الله العافية لقلوب زائغة ضالة، ليست إلى الحق مائلة، يزين لهم الشيطان أعمالهم يقولون كذبًا وزورًا وبهتانًا، إن الكافر أخلص في عمله من المسلم! أعوذ بالله!

يقولون: إن الكافر لا يصلي بل يستغل وقته في العمل في وقت الصلاة، ولا يطلب الذهاب إلى العمرة أو الحج ولا يصوم، وهو دائمًا في عمل ولا يهمهم هذا الشق مع أن خالق الأرض والسموات يقول: ﴿ **وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ**

بإذنه﴾ .[البقرة: ٢٢١].

فيجب عليكم - أيها الإخوة - يا من استمعتم إلى قولنا هذا أن تناصحوا إخوانكم الذين اغتروا وزين لهم الشيطان جلب الكفار إلى بلادنا خَدَمًا وعمالاً وما أشبه ذلك يجب أن يعلموا أن في ذلك إعانة كبيرة للكفار على المسلمين.

لأن هؤلاء الكفار يؤدون ضرائب لحكوماتهم لتقويتها على المسلمين والشواهد على هذا كثيرة فالواجب علينا أن نتجنب الكفار بقدر ما نستطيع فلا نتسمى بأسمائهم ولا نوادهم ولا نحترمهم ولا نقرئهم السلام ولا نفسح لهم الطريق؛ لأن الرسول (ﷺ) يقول: «**لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لاقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه**».

«أحمد ومسلم»

أين نحن من هذه التعليمات؟! أين نحن من كلام الرسول (ﷺ) الذي لا ينطق عن الهوى؟ لماذا لا نحذر إذا كثر فينا الخبث من الهلاك؟

استيقظ النبي (عليه السلام) ذات ليلة ضجرًا وجهه فقال: «**لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب**»، - إنذار وتحذير ويلٌ للعرب: حملت لواء الإسلام من شر قد اقترب - «**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» قالت زينب: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم! إذا كثر الخبث**».

«متفق عليه»

• الخبث العملي والخبث البشري!

إذا كثر الخبث في أعمالنا؛ فنحن عرضة للهلاك، إذا كثر البشر النجس في بلادنا؛ فنحن عرضة للهلاك، والواقع شاهد بهذا نسأل الله أن يحمي بلادنا من أعدائنا الظاهرين والباطنين، وأن يكبت المنافقين والكفار ويجعل كيدهم في

نحورهم، إنه جواد كريم.

قولها: «أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت ثم طلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا ،فقالت: فاحتسب عند الله ابنك».

يعني: أن الأولاد عندنا عارية وهم ملك لله (عز وجل) متى شاء أخذهم، فضربت له هذا المثل؛ من أجل أن يقتنع ويحتسب الأجر عند الله (تعالى).

وهذا يدل على ذكائها (﵂) وعلى أنها امرأة عاقلة صابرة محتسبة وإلا فإن الأم كالأب ينالها من الحزن على ولدها مثل ما ينال الأب وربما تكون أشد حزنًا لضعفها وعدم صبرها.

وفي هذا الحديث بركة دعاء النبي (ﷺ) حيث إنه كان له تسعة من الولد كلهم يقرءون القرآن وفيه كرامة لأبي طلحة (﵁) لأن أبا طلحة كان قد خرج مع النبي (ﷺ) في سفر وكانت معه أم سليم بعد أن حملت فلما رجع النبي (ﷺ) من السفر أتاها المخاض؛ أي: جاءها الطلق قبل أن يصلوا إلى المدينة وكان الرسول (ﷺ) لا يحب أن يطرق أهله طروقًا أي: لا يحب أن يدخل إليهم ليلاً دون أن يخبرهم بالقدوم.

فدعا أبو طلحة (﵁) ربه وقال: اللهم! إنك تعلم أنني لا أحب ألا يخرج النبي مخرجًا إلا وأنا معه وألا يرجع مرجعًا إلا وأنا معه وقد أصابني ما ترى - يناجي ربه (سبحانه وتعالى) - تقول أم سليم: فما وجدت الذي كنت وجدته - تعني: هان عليها الطلق ولا كأنها تطلق -.

قالت أم سليم لزوجها أبي طلحة: انطلق. فانطلق ودخل المدينة مع رسول الله (ﷺ) ولما وصلوا المدينة وضعت ففي هذا كرامة لأبي طلحة (﵁) حيث خفف الله الطلق على امرأته بدعائه ثم لما وضعت قالت أم سليم لابنها أنس بن مالك - وهو أخو هذا الحمل الذي ولد من أمه - قالت: احمله إلى رسول الله

(ﷺ) أي: اذهب به، كما هي عادة أهل المدينة إذا ولد لهم ولد، يأتون به إلى رسول الله (ﷺ) ومعهم تمر فيأخذ الرسول (ﷺ) التمرة فيمضغها بفمه ثم يحنك بها الصبي؛ لأن في ذلك فائدتين:

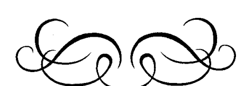
الأولى: بركة ريق النبي (ﷺ) وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يتبركون بريق النبي (ﷺ) وبعرقه حتى أنه من عادتهم أنه إذا كان في الصباح وصلوا الفجر أتوا بآنية فيها ماء فغمس الرسول (ﷺ) يديه في الماء، فيأتي الصبيان بهذا الماء ثم ينطلقون به إلى أهليهم يتبركون بأثر النبي (ﷺ) وكان الصحابة إذا توضأ النبي (ﷺ) كادوا يقتتلون على وضوئه، أي: فضل الماء يتبركون به وكذلك من عرقه وشعره.

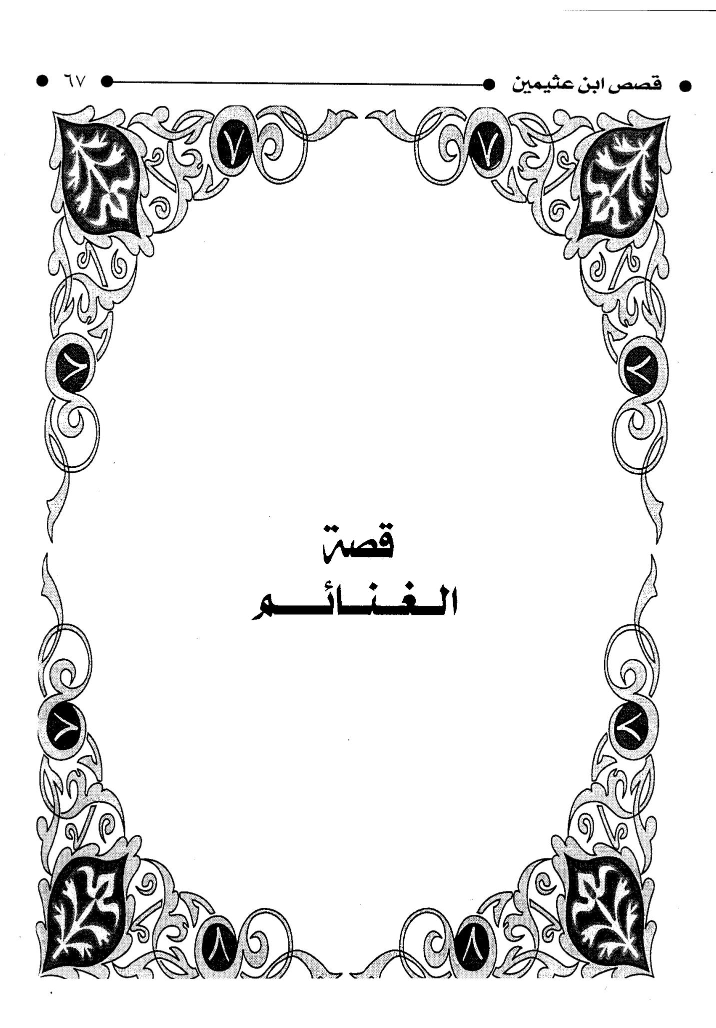
حتى كان عند أم سلمة ـ إحدى زوجات الرسول (ﷺ) وإحدى أمهات المؤمنين ـ عندها جلجل من فضة أي مثل «الطابون» فيه شعرات من شعرات النبي (ﷺ) يستشفون بها أي: يأتون بشعرتين أو ثلاث فيضعونها في الماء ويحركونها من أجل أن يتبركوا بهذا الماء، لكن هذا خاص بالنبي (ﷺ).

الأخرى: من التمر الذي يحنكه الصبيان أن التمر فيه خير وبركة وفيه فائدة للمعدة فإذا كان أول ما يصيب الطفل مما يصل إلى معدته من التمر كان خيرًا للمعدة، فحنكه الرسول (ﷺ) ودعا له بالبركة.

والشاهد من هذا الحديث

إن أم سليم قالت لأبي طلحة، احتسب ابنك أي اصبر على ما أصابك من فقده، واحتسب الأجر على الله **والله الموفق**.





قصة
الغنائم

عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): «غزا نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولما يبني بها، ولا أحد بنى بيوتًا لم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنمًا أو خلافات وهو ينظر أولادها، فغزا فدنى من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله فجمع الغنائم، فجاءت - يعني: النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها فلم تحل الغنائم؛ لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».

«متفق عليه»

الشرح:

هذا الحديث فيه آيات عظيمة فإن النبي (ﷺ) حدث عن نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه غزا قومًا. أمر بجهادهم لكنه عليه السلام منع كل إنسان عقد على امرأة ولم يدخل بها وكل إنسان بنى بيتًا ولم يرفع سقفه وكل إنسان اشترى غنمات خلفات وهو ينتظر أولادها، وذلك لأن هؤلاء يكونون مشغولين بما أهمهم، الذي رفع بيتًا ولم يرفع سقفه هو أيضًا مشتغل بذلك البيت الذي يريد أن يسكنه هو وأهله وكذلك صاحب الخلفات والغنم مشغول بها ينتظر أولادها، والجهاد ينبغي أن يكون الإنسان فيه متفرغًا ليس لديهم إلا الجهاد ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[الشرح: ٧].

أي: إذا فرغت من شئون الدنيا بحيث لا تشتغل بها فانصب للعبادة.

وقال النبي (ﷺ): «**لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان**».

«مسلم»

فدل ذلك على أنه ينبغي للإنسان إذا أراد طاعة أن يفرغ قلبه وبدنه لها حتى يأتيها وهو مشتاق إليها وحتى يؤديها على مهل وطمأنينة وانشراح صدر.

ثم إنه غزا فنزل بالقوم بعد صلاة العصر وقد أقبل الليل وخاف إن أظلم الليل ألا يكون هناك انتصار فجعل يخاطب الشمس ويقول: أنت مأمورة وأنا مأمور لكن أمر الشمس أمر كوني وأما أمره فأمر شرعي.

فهو مأمور بالجهاد والشمس مأمورة أن تسير حيث أمرها الله (عز وجل)، قال الله: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [يس: ٣٨].

منذ خلقها الله (عز وجل) وهي سائرة حيث أمرت لا تتقدم ولا تتأخر ولا تنزل ولا ترتفع قال: «**اللهم فاحبسها عنا**» فحبس الله الشمس ولم تغب في وقتها حتى غزا هذا النبي وغنم غنائم كثيرة ولما غنم الغنائم وكانت الغنائم في الأمم السابقة لا تحل للغزاة بل حل الغنائم من خصائص هذه الأمة ولله الحمد.

أما الأمم السابقة فكانوا يجمعون الغنائم فتنزل عليها نار من السماء فتحرقها فجمعت الغنائم فلم تنزل النار وتأكلها فقال: «**فيكم الغلول**».

ثم أمر من كل قبيلة أن يتقدم واحد يبايعه على أنه لا غلول، فلما بايعوه على أنه لا غلول لزقت يد أحد منهم بيد النبي (ﷺ) فلما لزقت قال: «**فيكم الغلول**» - أي: القبيلة هذه - ثم أمر أن يبايعوا كل واحد على حدة من هذه القبيلة فلزقت يد رجلين أو ثلاثة منهم فقال: «**فيكم الغلول**» فجاءوا به والغلول هو السرقة من الغنيمة بأن تخفي شيئًا منها فإذا هم قد أخفوا مثل رأس الثور من الذهب فلما جيء به ووضع مع الغنائم أكلتها النار، وهذه من آيات الله (عز وجل).

ففي هذا الحديث دليل على فوائد عديدة منها:

إن الجهاد مشروع في الأمم السابقة كما هو مشروع في هذه الأمة وقد دل على هذا كتاب الله في قوله: ﴿**وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وكذلك قصة طالوت وجالوت وداود (ﷺ) في سورة [البقرة الآيات من ٢٤٦ ـ ٢٥٢].

وفيها دليل على عظمة الله (عز وجل) وأنه هو مدبر الكون وأنه (سبحانه وتعالى) يُجري الأمور على غير طبائعها إما بتأييد الرسول وإما بدفع شر عنه وإما لمصلحة في الإسلام.

المهم! إن آيات الأنبياء فيها تأييد لهم بأي وجه كانت وذلك؛ لأن الشمس حسب طبيعتها التي خلقها الله عليها تجري دائمًا ولا تقف ولا تتقدم ولا تتأخر إلا بأمر الله لكن الله هنا أمرها أن تنحبس فطال وقتها ما بين صلاة العصر إلى المغرب حتى فتح الله على يد النبي وفيها رد على أهل الطبيعة الذين يقولون: إن الأفلاك لا تتغير، سبحان الله من الذي خلق الأفلاك؟ الله (عز وجل) فالذي خلقها قادر على تغييرها لكن هم يرون أن هذه الأفلاك تجري بحسب الطبيعة ولا أحد يتصرف فيها ـ والعياذ بالله ـ لأنهم ينكرون الخالق.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الأفلاك تتغير بأمر الله فهذا النبي دعا الله ووقفت الشمس.

ومحمد رسول الله (ﷺ) طلب منه المشركون آية تدل على صدقه فأشار الرسول (ﷺ) إلى القمر فانشق شقين وهم يشاهدونه شقة على الصفا وشقة على المروة وفي هذه يقول الله (عز وجل): ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾ [القمر: ١، ٢].

قالوا: هذا محـمد سحرنا والقـمر لم ينشق بل أفسد نظرنـا وعيوننا؛ لأن الكافر ـ والعيـاذ بالله ـ الذي حقت عليه كلمة الله لا يؤمن كمـا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾ [يونس: ٩٦ ، ٩٧].

والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهـا كيف يشاء ويصرفها كيف يشاء، فـالذي حقت عليـه كلمة العذاب لا يؤمن أبدًا ولو جـئتـه بكل آية ولهذا طلبوا من الرسول آية وأراهم هذه الآية العجيبـة التي لا يقدر أحد عليها وقالوا: ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ٢ ، ٣].

وفيها بيان نعمة الله على هذه الأمة، حيث أحل لها المغانم التي تغنمها من الكفار. كانت حرامًا على من سبقنا؛ لأن هذه الغنائم فـيها خير كثير على الأمة الإسلامية تساعدها على الجهاد وتعينها عليه.

فهم يغنمون من الكفار أموالاً يقـاتلونهم بها مرة أخرى وهذا من فضل الله كما قال النبي (ﷺ): «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي وذكر أنه أحلت له الغنائم ولم تحل لأحد قبله**».

«متفق عليه»

وفي الحـديث من آيات الله أن الذين غلوا لزقت أيديـهم بأيدي النبي وهذا خلاف العـادة ولكن الله على كل شيء قدير؛ لأن العـادة إذا صافـحت اليد يدًا أخـرى أنها تنطلق، ومنهـا أن الأنبـياء لا يعلمـون الغيب، وهو واضح إلا مـا أطلعهم عليـه الله وأما هم فلا يعلمون الغيب، وشـواهد ذلك كثيرة فـما يجري لنبينا محمد (ﷺ) يخفى عليه أشياء كثيرة كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

أما هو فلا يعلم الغيب وأصحابه يكونون مـعه يخفون عليه فكان معه ذات يوم أبو هريرة فانخنس وكـان عليه جنابة فقال له عندمـا رجع من غسل الجنابة: «**أين كنت يـا أبا هريرة؟**» إذن فالرسول لا يعلم الغـيب ولا أحد من الخلق يعلم الغيب.

كما قال الله (عز و جل): ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

ومنها دليل علـى قدرة **الله** من جهة أن هـذه النار لا يدرى من أين جاءت بل تنزل من السماء لا هي من أشجار الأرض ولا من حطب الأرض بل هي من السماء يأمرها الله فتنزل فتأكل هذه الغنيمة التي جمعت **والله الموفق**.





قصة
الأبرص والأقرع والأعمى

عن أبـي هريـرة (رضي الله عنه) أنه سـمع النبي (ﷺ) يقـول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص ، وأقرع ، وأعـمى، أراد الله أن يبتليهم فبعـث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قـال له: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قـال: الإبل ـ أو قـال: البـقـر، شك الراوي ـ فـأعطي ناقـة عُشـراء، فقال: بارك الله لك فيـها. فأتى الأقرع فـقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شـعر حـسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فـمسحـه عنه وأعطي شعرًا حسنًا قال: فأي المال أحب إليك؟ قال البـقر فأعطى بقرة حاملاً وقال بارك لك الله فيها.

فأتى الأعـمى فقـال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلـيَّ بصري فأُبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطى شاة والدًا فأنتج، هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقـر ولهذا واد من الغنم ثم إنه أتى الأبـرص في صورته وهيئـته فـقال: رجل مسكـين قد انقطعت بي الحـبال في سفـري فلا بلاغ لي اليـوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعـيرًا أتبلغ به في سفري فقال: الحـقوق كثيرة، فـقال: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فـقيرًا فـأعطاك الله فقـال: إنما ورثت هذا المال كابـرًا عن كابر فـقال: إن كنت كـاذبًا فصيرك الله على ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له: مثلما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيـئته فقال: رجل مـسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فـلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك

بصرك شاة أتبلغ بها في سفري؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري فخذ ماشئت فوالله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله (عز وجل) فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» .

«متفق عليه»

والناقة العشراء بضم العين وبالمد وهي الحامل قوله: أنتج وفي رواية فنتج معناه توالى نتاجها والناتج للناقة كالقابلة للمرأة وقوله «ولد هذا» هو بتشديد اللام أي توالي ولادتها وهو بمعنى أنتج في الناقة فالمولد والناتج والقابلة بمعنى لكن هذا للحيوان وذاك لغيره.

وقوله انقطعت بي الحبال هو بالحاء المهملة والميم والباء الموحدة أي الأسباب وقوله لا أجهدك معناه: لا أشق عليك في رد أي شيء تأخذه أو تطلبه من مالي وفي رواية البخاري لا أحمدك بالحاء المهملة والميم ومعناه لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه كما قالوا: ليس على طول الحياة ندم. أي: على فوات طولها.

الشرح:

قوله: «ثلاثة من بني إسرائيل» وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم (ﷺ) أخو إسماعيل. وموسى وهارون وعيسى وجميع بني إسرائيل، كلهم من ذرية إسحاق (ﷺ).

وإسماعيل أخو إسحاق فهم والعرب أبناء عم، وقد جاءت أخبار كثيرة عن بني إسرائيل.

وهي ثلاثة أقسام:

الأول: ما جاء في القرآن.

والثاني: ما جاء في صحيح السنة.

والآخر: ما جاء عن أخبارهم وعن علمائهم.

فأمـا الأول والثاني فلا شك في أنه حـق، ولا شك في قبوله، مـثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ومن السنة مثل الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي (ﷺ).

ما روي عن أخبارهم وعلمائهم فإنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما شهد الشرع ببطلانه، فهذا باطـل يجب رده وهذا يقع كثيرًا فيما نقل من الإسرائيليـات في تفسير الـقرآن، فإنه ينقل في تفسـير القرآن كثـير من الأخبار الإسرائيلية التي يشهد الشرع ببطلانها.

والثـــاني: ما شــهد الشرع بصدقــه، فهذا يقبل، لا لأنه من أخـبار بني إسرائيل، ولكن لأن الشرع شهد بصدقه وأنه حق.

والثـالـث: ما لم يكن في الشرع تصديقه ولا تكذيبــه، فهذا يتوقف فيه لا يُصَدَّقون ولا يُكَذَّبون، لأنـنا إن صدقناهم فقد يكون باطلاً فيـكون قد صدقناهم بباطل، وإن كذبناهم فقد يكون حقًا فـقد كذبناهم بحق، ولهذا نتوقف فيه، ولا حرج من التحديث به، فيما ينفع في ترغيب أو ترهيب.

ذكر النبي (ﷺ): فـي هذا الحديث أن ثلاثة من بني إسرائـيل ابتلاهم الله (عز وجل) بعاهات في أبدانهم، أحدهم أبرص، والثاني أقرع، والثالث أعمى لا يبصر، فأراد الله (سبحانه وتعالى) أن يبتليـهم ويختبرهم؛ لأن الله سبحانه يبتلي العبـد بما شاء يبلوه هل يصبر أم يـضجر، إذا كان ابتـلاه بضراء؟ وهل يشكر أم يقتر، إذا كان قد ابتلاه بسراء؟

فبعث الله إليهم ملـكًا من الملائكة، وأتاهم يسألهم: أي شيء أحب إليهم

فبدأ بالأبرص فقال: «أي شيء أحب إليك؟» «قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به»؛ لأن أهم شيء عند الإنسان أن يكون معافى من العاهات ولاسيما العاهات المكروهة عند الناس، فمسحه الملك فبرأ بإذن الله وزال عنه البرص وأعطى لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا.

ثم قال له: «أي المال أحب إليك؟» قال: «الإبل - أو قال - البقر».

والظاهر أنه قال: الإبل، لأنه في قصة الأقرع أعطى البقر، ناقة عشراء، وقال له: بارك الله لك فيها، فذهب عنه البرص، وذهب عنه العيب البدني ودعا له الملك بأن يبارك الله له في هذه الناقة.

ثم أتى الأقرع وقال: «أي شيء أحب إليك؟» قال: «شعر حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس به» فمسحه فأعطى شعرًا حسنًا، وقيل له: «أي المال أحب إليك؟» قال: البقر، فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها. أما الأعمى فجاء فقال له: «أي شيء أحب إليك؟» قال: «أن يرد الله عليَّ بصري فأبصر به الناس» وتأمل قول الأعمى هذا .

فإن لم يسأل إلا بصرًا يبصر الناس به فقط، أما الأبرص والأقرع فإن كل واحد منهما تمنى شيئا أكبر من الحاجة، لأن الأبرص قال جلدًا حسنًا ولونًا حسنًا، وذاك قال: شعرًا حسنًا.

فليس مجرد جلد أو شعر أو لون، بل تمنيا شيئًا أكبر أما هذا فإن عنده زهدًا، لذا لم يسأل إلا بصرًا يبصر به فقط.

ثم سأله: «أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم» وهذا من زهده فلم يتمن الإبل ولا البقر بل الغنم ونسبة الغنم إلى الإبل والبقر قليلة فأعطاه شاة والدًا، وقال: بارك لك الله فيها.

فبارك الله للأول في إبله، والثاني في بقره، والثالث في غنمه، وصار لكل واحد منهم واد مما أعطي.

ثم إن هذا الملك أتى الأبرص في صورته وهيئته، صورته البذيئة وهيئته الرثة، ولباسه لباس الفقير، وقال له: «إني رجل فقير وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك».

فتوسل إليه بذكر حاله أنه فقير وأنه ابن سبيل، أي: مسافر وأن الحبال، أي: الأسباب التي توصله إلى أهله قد انقطعت به، وأنه لا بلاغ له إلا بالله ثم به.

وقال له: «أسألك بالذي أعطاك الجلد الحسن، والمال بعيرًا، أتبلغ به في سفري» لكنه قال: الحقوق كثيرة، وبخل بذلك مع أن له واديًا من الإبل، لكنه قال: الحقوق كثيرة، وهو فيما يظهر، والله أعلم، أنه لا يؤدي شيئًا منها؛ لأن هذا أحق من يكون؛ لأنه مسافر وفقير وانقطعت به الحبال ومن أحق ما يكون استحقاقًا للمال، ومع ذلك اعتذر له، فذكره بما كان عليه من قبل، فقال له: ألم تكن أبرصًا يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله المال وأعطاك اللون الحسن والجلد الحسن.

ولكنه - والعياذ بالله - قال: «إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر» وأنكر نعمة الله.

فقال له الملك: «إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت» أي: إن كنت كاذبًا فيما تقول فصيرك الله إلى ما كنت عليه من الفقر والبرص والذي يظهر أن الله استجاب دعاء الملك وإن كان دعاءً مشروطًا. إن كان كاذبًا بلا شك فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط.

وأتى الأقـرع فقـال له مثلمـا قال للأبرص ورد عليـه مثلمـا رد الأبرص، فقال: «إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت».

وأتى الأعمى وذكـره بنعمة الله عليـه: «فقال له: قد كنت أعـمى فرد الله عليَّ بصري، وكنت فقيرًا فأعطاني الله المال» فأقر بنعمة الله عليه وقال: «فخذ ما شئت ودع ما شئت من الغنم، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله».

أي: لا أمنعك ولا أشق عليك بالمنع بشيء أخذته لله (عز وجل) انظر إلى الشكر والاعتراف بالنعمة.

فـقال له الملك: «أمـسك عليك مـالك، إنما ابتليـتم فقـد رضي الله عنك وسخط على صاحـبيك»، وهذا دليل على أن القصة كانت مـشهورة بين الناس، ولهذا قال: «سخط على صاحبيك».

فأمسك ماله وبقي .قد أنعم الله عليه بالبصر، وأما الآخران فإن الظاهر أن الله ردهما إلى ما كانا عليه من الفقر والعاهة والعياذ بالله.

وفي هذا دليل: على أن شكر نعمة الله على العبد من أسـباب بقاء النعمة وزيادتها كـما قـال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وفي قصتهم آيات من آيات الله (عز وجل):

منهـا: إثبات الملائكة، والملائكة هم عالم غـيبي خلقهم الله (عز وجل) من نور وجعـل لهم قوة في تنفـيذ أمر الله وجـعل لهم إرادة في طاعـة الله فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومنهـا: إن الملائكة قد يكونون على صورة بني آدم، فإن الملك أتى لهؤلاء الثلاثة في المرة الثانية بصورة وهيئة.

ومنهـا أيضًا : أنهم يتكيفون بصورة الشـخص المعين كما جاء إلى الأبرص والأقرع والأعمى في المرة الثانية بصورة وهيئة .

ومنهـــا: إنه يجوز الاختبار للإنسان في أن يأتـي الشخص في هيئة معينة ليختبره، فإن هذا الملك جاء على صـورة الإنسان المحتاج المصاب بالعاهة؛ ليرق له هؤلاء الثلاثة مع أن الملك فـيما يبـدو (والعلم عند الله) لا يصاب في الأصل بالعاهات ولكن الله (سبحانه وتعـالى) جعلهم يأتون على هـذه الصورة من أجل الاختبار .

ومنهـا: إن الملك مسح الأقرع والأبرص والأعمى مـسحة واحدة فأزال الله عيبـهم بهذه المسحة؛ لأن الله إذا أراد شـيئًا قال له: كن، فـيكون، ولو شاء الله لأذهب عنهم العاهة، ولكن الله جعل هذا سببًا للابتلاء والامتحان .

ومنهـــا: إن الله قد يبارك للإنسان بالمال حـتى ينتج منه الشيء الكثير، فإن هؤلاء النفر الثلاثـة صار لواحد واد من الإبل وللثاني واد من البـقر وللثالث واد من الغنم، وهذا من بركة الله (عز وجل).

وقد دعى الملك لكل منهما بالبركة .

ومنهـــا: تفاوت بني آدم في شكر نعـمة الله ونفع عبـاد الله فإن الأبرص والأقرع قد أعطاهما الله المال الأهم والأكبـر، ولكن جحدا نعمة الله، قالا: إنما ورثناه كابرًا عن كابر، وهم كذبة في ذلك فإنهم كانوا فقراء وأعطاهم الله المال .

أما الأعمى فقد شكر نعمة الله واعترف بالفضل لذلك وفق وهداه الله وقال للملك: «خذ ما شئت ودع ما شئت» .

ومنهـــا أيضًـــا : إثبات الرضى والـسخط لله (سبـحانه وتعـالى) وهما من الصفات التي يجب أن نثبتها لربنا (سبحانه وتعالى)؛ لأنه وصف نفسه بها .

ففي القرآن الكريم الرضا ﴿**رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وفي القرآن الكريم: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وفي القرآن الكريم: الغضب، : ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وهذه والصفات وأمثالها يؤمن بها أهل السنة والجماعة بأنها ثابته لله على وجه الحقيقة لكنها لا تشبه صفات المخلوقين كما أن الله لا يشبه المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه المخلوقين.

ومن فوائد هذا الحديث:

إن في بني إسرائيل من العجب والآيات ما جعل النبي (ﷺ) ينقل لنا من أخبارهم حتى نتعظ، ومثل هذا الحديث قصة النفر الثلاثة الذين لجؤا إلى غار فانطبقت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار وعجزوا عن زحزحتها وتوسل كل واحد منهم إلى الله بصالح أعماله.

فالنبي (ﷺ) يقص علينا من أنباء بني إسرائيل ما فيه العبرة والموعظة فعلينا أن نأخذ من هذا الحديث عبره بأن الإنسان إذا شكر نعمة الله واعترف لله بالفضل، وأدى ما يجب عليه في ماله فإن ذلك من أسباب البقاء والبركة في ماله، **والله الموفق.**





قصة
امرأة من أهل الجنة

عن عطاء ابن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس (رضي الله عنهما) ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي (ﷺ) فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله (تعالى) لي قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله (سبحانه وتعالى) على أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها».

«متفق عليه»

الشرح:

قوله «ألا أريك امرأة من أهل الجنة» يعرض عليه!

وذلك لأن أهل الجنة ينقسمون إلى قسمين: قسم نشهد لهم بالجنة بأوصافهم وقسم نشهد لهم بالجنة بأعيانهم.

١ ـ أما الذين نشهد لهم بالجنة بأوصافهم فكل مؤمن لله متقي فإننا نشهد له أنه من أهل الجنة.

كما قال الله (سبحانه وتعالى) في الجنة: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾ [البينة: ٧، ٨].

فكل مؤمن متقي يعمل الصالحات فإننا نشهد إنه من أهل الجنة ولكن لا نقول هو فلان وفلان لأننا لا ندري ما يختم له ولا ندري هل باطنه كظاهره ولذلك لا نشهد له بعينه.

نقول مثلاً: إذا مات رجل مشهود له بالخير قلنا نرجوا أن يكون من أهل الجنة لكن لا نشهد أنه من أهل الجنة.

٢ ـ قسم آخر نشهد له بعينه وهم الذين شهد لهم النبي (ﷺ) بأنهم في الجنة، مثل العشرة المبشرون بالجنة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌ وسعيد ابن زيد وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام.

ومثل: ثابت بن قيس بن شماس ومثل: سعد بن معاذ (رضي الله عنه) ومثل: عبد الله بن سلام ومثل بلال بن رباح وغيرهم ممن بينهم الرسول (ﷺ).

هؤلاء نشهد لهم بأعيانهم: نشهد أن أبا بكر في الجنة ونشهد بأن عمر في الجنة وهكذا.

ومن ذلك هذه المرأة التي قال ابن عباس لتلميذه عطاء بن رباح: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت: بلى! هذه المرأة السوداء».

امرأة سوداء لا قيمة لها في هذا المجتمع، كانت تصرع وتتكشف فأخبرت الرسول (ﷺ) وسألته أن يدعو الله لها فقال لها: «**إن شئت دعوت الله وإن شئت صبرت ولك الجنة؟**».

قالت: أصبر، وإن كانت تتألم وتتأذى من الصرع لكنها صبرت من أجل أن تكون من أهل الجنة، ولكنها قالت: يا رسول الله! إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعى الله أن لا تتكشف فصارت تصرع ولا تتكشف، والصرع نعوذ بالله منه نوعان:

١ ـ صرع بسبب تشنج الأعصاب: وهذا مرض عضوي يمكن أن يعالج من قبل الأطباء بإعطاء العقاقير التي تسكنه أو تزيله بالمرة.

٢ ـ وقسم آخر بسبب الشياطين والجني: يتسلط الجني على الإنسي فيصرعه ويدخل فيه ويضرب به على الأرض ويغمس عليه من شدة الصرع ولا يحس.

ويتلبس الشيطان أو الجني بنفس الإنسان ويبدأ يتكلم على لسانه، الذي يسمع الكلام يقول إن الذي يتكلم الإنسي ولكنه الجني ولهذا تجد في بعض كلامه الاختلاف لا يكون كلامه وهو مستيقظ ككلامه حال الصرع لأن الجني يتغير نطقه. هذا النوع من الصرع (نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منه ومن غيره من الآفات) علاجه بقراءة القرآن من أهل العلم والخير.

أحيانًا يخاطبهم الجني ويتكلم معهم ويبين السبب الذي جعله يصرع هذا الإنسي.

وأحيانًا لا يتكلم وقد ثبت هذا!! أعني صرع الجني للإنسي بالقرآن والسنة والواقع، ففي القرآن قال الله (سبحانه): ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وهذا دليل على أن الشيطان يتخبط الإنسان من المس وهو الصرع.

وفي السنة: روى الإمام أحمد في مسنده: «**أن الرسول (ﷺ) كان في سفر من أسفاره فمر بامرأة معها صبي يصرع فأتت به النبي (ﷺ) وخاطب الجني وتكلم معه وخرج الجني فأعطت أم الصبي الرسول (ﷺ) هدية على ذلك**».

وكان أهل العلم أيضًا يخاطبون الجني في المصروع ويتكلمون معه ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)!

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ هو وتلميذه ـ أنه جيء إليه برجل مصروع فجعل يقرأ وخاطبه ويقول لها: اتقي الله اخرجي ـ لأنها امرأة ـ فتقول له: إني أريد هذا الرجل وأحبه فقال لها: شيخ الإسلام لكنه لا يحبك اخرجي، قالت:

إني أريد أن أحج به، قال: هو لا يريد أن تحجي به، اخرجي، فأبت فجعل يقرأ عليها ويضرب الرجل ضربًا عظيمًا حتى أن يد شيخ الإسلام أوجعته من شدة الضرب، فقالت الجنية: أنا أخرج كرامة للشيخ قال: لا تخرجي كرامة لي اخرجي طاعة لله ورسوله فما زال بها حتى خرجت.

لما خرجت استيقظ الرجل فقال: ما الذي جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ قالوا: سبحان الله! ما أحسست بالضرب الذي كان يضربك أشد ما يكون؟ قال: ما أحسست بالضرب ولا أحسست بشيء! والأمثال على هذا كثيرة:

هذا النوع من الصرع له علاج يدفعه.

فهو نوعان:

١ ـ أما دفعه: فبأن يحرص الإنسان على الأوراد الشرعية الصباحية والمسائية، وهي معروفة في كتب أهل العلم منها: أية الكرسي فإن من قرأها في ليله لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

ومنها: سورة الإخلاص والفلق والناس ومنها: أحاديث عن الرسول (ﷺ) فليحرص الإنسان عليها صباحًا ومساءً.

٢ ـ وأما الرفع: فإنه يقرأ عليه آيات من القرآن فيها تخويف وتذكير واستعاذة بالله (عز وجل). الشاهد من الحديث قول رسول الله (ﷺ) لهذه المرأة: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، فقالت أصبر**» ففيه دليل على فضيلة الصبر وأنه سبب في دخول الجنة **والله الموفق.**





قصة
قاتل المائة نفس

عن أبي سعيد سعد بن مالك الخدري (رضي الله عنه) أن نبي الله (ﷺ) قال: «كان فيمن كان من قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا ، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم! ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله (تعالى) فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا على الله مقبلاً بقلبه إلى الله (تعالى) وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـ أي حكمًا ـ فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».

«متفق عليه»

وفي رواية في الصحيح: «فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها».

وفي رواية في الصحيح: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له».

وفي رواية: «فنأى بصدره نحوها».

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «كان فيمن كان من قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا». ثم إنه ندم وسأل عن أعلم أهل الأرض يسأله هل له من توبة فدُل على رجل، فإذا هو راهب يعني عابدًا ولكن لا علم

عنده، فلما سأله قال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟

فاستعظم الراهب هذا الذنب وقال: ليس لك توبة! فغضب الرجل وانزعج وقتل الراهب فأتم مائة نفس ثم إنه سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم! ومن الذي يحول بينه وبين التوبة، باب التوبة مفتوح ولكن اذهب إلى القرية الفلانية فإن فيها قومًا يعبدون الله، والأرض التي كان فيها كأنها (والله أعلم) دار كفر، فأمره هذا العالم أن يهاجر بدينه إلى القرية التي يعبد فيها الله (عز وجل) فخرج تائبًا نادمًا مهاجرًا بدينه إلى الأرض التي فيها القوم الذين يعبدون الله (عز وجل)، وفي منتصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. لأن الكافر (والعياذ بالله) تقبض روحه ملائكة العذاب، والمؤمن تقبض روحه ملائكة الرحمة فاختصموا، ملائكة العذاب تقول: إنه لم يعمل خيرًا قط أي بعد توبته ما عمل خيرًا.

وملائكة الرحمة تقول: إنه تائب وجاء نادمًا تائبًا، فحصل بينهما خصومة فبعث الله إليهم ملكًا ليحكم بينهم. فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أقرب فهو له أي فهو من أهلها إن كانت أرض الكفر أقرب إليه فملائكة العذاب تقبض روحه وإن كان إلى بلد الإيمان أقرب فملائكة الرحمة تقبض روحه.

فقاسوا بينهما فإذا البلد التي اتجه إليها وهي بلد الإيمان أقرب من البلد التي هاجر منها بنحو شبر، مسافة قريبة فقبضته ملائكة الرحمة.

ففي هذا دليل على فوائد كثيرة:

منها: إن القاتل له توبة: ودليل ذلك في كتاب الله قوله (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

يعني ما دون الشرك فإن الله يغفره إذا شاء، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم، وذكر ابن عباس (رضي الله عنهما) أن القاتل ليس توبة لأن الله يقول: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣].

ولكن ما ذهب إليه الجمهور هو الحق، وما رُوي عن ابن عباس فإنه يمكن أن يحمل على أنه ليس له توبة بالنسبة للمقتول، وذلك لأن القاتل إذا قتل تعلق فيه ثلاثة حقوق:

الحق الأول: لله. والثاني: للمقتول. والثالث: لأولياء المقتول.

أما حق الله فلا شك أن الله يغفره بالتوبة لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

وأما حق المقتول فإن توبة القاتل لا تنفعه ولا تؤديه حقه؛ لأنه مات ولا يمكن الوصول إلى استحلاله أو التبرؤ من دمه فهذا هو الذي يبقى مطالبًا به القاتل ولو تاب، وإذا كان يوم القيامة فالله يفصل بينهم.

وأما حق أولياء المقتول: فإنها لا تصح توبة القاتل حتى يسلم نفسه إلى أولياء المقتول ويقر بالقتل ويقول: أنا القاتل وأنا بين أيديكم إن شئتم خذوا الدية وإن شئتم سامحوا. والله أعلم.



قصة
المراءون الثلاثة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به، فعرفه نعمته، فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل: ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أُمر به، فسحب على وجهه ثم ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**».

«رواه مسلم»

«جَرِيء» بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد أي: شجاع حاذق.

الشرح:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في ذكر أول من يقضى عليه يوم القيامة وهم ثلاثة أصناف: متعلم ومقاتل ومتصدق، المتعلم تعلم العلم وتعلم القرآن وعلم ثم إن الله (سبحانه وتعالى) أتى به إليه (سبحانه وتعالى) يوم القيامة فعرفه الله نعمته فعرفها وأقر واعترف، فسأله ماذا صنعت؟ يعني في شكر هذه النعمة، فقال: تعلمت العلم وقرأت القرآن فيك، فقال الله له: كذبت، ولكن تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: قارىء، ليس لله، بل لأجل الرياء، ثم أُمر به فسحب على وجهه في النار، وهذا دليل على أنه يجب على طالب العلم في

طلب العلم أن يخلص نيته لله (عز وجل) وألا يبالي أقال الناس: أنه عالم أم شيخ أم أستاذ أم مجتهد أم ما أشبه ذلك، لا يهمه هذا الأمر، لا يهمه إلا رضا الله (عز وجل) حفظ الشريعة وتعليمها ورفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن عباد الله حتى يكتب من الشهداء الذين مرتبتهم بعد مرتبة الصديقين.

﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ﴾ [النساء: ٦٩]

وأما من تعلم لغير ذلك، ليقال: إنه عالم وإنه مجتهد وإنه علامة وما أشبه ذلك من الألقاب فهذا عمله حابط (والعياذ بالله) وهو أول من يقضى عليه ويسحب على وجهه في النار ويكذب يوم القيامة ويوبخ.

أما الثاني فهو رجل مقاتل، قاتل في سبيل الله وقتل، فلما كان يوم القيامة أتي به إلى الرب (عز وجل) فعرفه نعمه فعرفها (يعني النعم) إنه (سبحانه وتعالى) مده وأعده ورزقه وقواه حتى وصل إلى هذه المرتبة إلى أن قاتل، ثم سُئل ماذا صنعت فيها؟ قال: يارب قاتلت فيك، فيقال: كذبت، قاتلت من أجل أن يقال فلان شجاع جريء، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه للنار (والعياذ بالله) وهكذا أيضًا المقاتل في سبيل الله، المقاتلون في سبيل الله، لهم نوايا متعددة مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، كما قال النبي (ﷺ).

ومن قاتل وطنية فهو في سبيل الطاغوت ، ومن قاتل حمية على قومية فهو في سبيل الطاغوت، ومن قاتل لينال دنيا فهو في سبيل الطاغوت.

لأن الله يقول: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ [النساء: ٧٦].

لكن لو قاتل الإنسان قومية أو وطنية، لا من أجل القومية أو الوطنية، ولكن من أجل حماية وطنه المسلم أن يعتدي عليه الكفار فهذا في سبيل الله، لأن حماية بلاد المسلمين ثمرتها أن تكون كلمة الله هي العليا. ولكن لو أن الإنسان قاتل ليقتل فقط في القتال، هل يكون في سبيل الله؟ الجواب: لا، وهذا نية كثير من الشباب ، يذهبون لأجل أن يقتلوا ويقولون نحن نقتل شهداء فيقال: لا، أنتم ذهبتم لتقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ولو بقيتم، لا تذهبون لأجل أن تقتلوا،لكن لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا وحينئذ إن قتلتم في هذا السبيل فأنتم في سبيل الله.

أما الثالث: فرجل أنعم الله عليه بالمال وصار يتصدق ويعطي وينفق فإذا كان يوم القيامة فأتي به إلى الله وعرفه نعمه فعرفها ثم سأله ماذا صنعت فيها؟ فيقول تصدقت وفعلت وفعلت، فيقال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: فلان جواد (يعني كريمًا) وقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه في النار. هذا أيضًا من الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة.

وفي هذا دليل على أنه يجب على الإنسان أن يخلص النية لله في جميع ما يبذله من مال أو بدن أو علم أو غيره، وأنه إذا فعل شيئًا مما يبتغى به وجه الله (تعالى) وصرفه إلى غير ذلك، فإنه آثم به.





قصة
أصحاب الغار

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله (تعالى) بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم! كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً، أو مالاً، فلبثت - والقدح على يدي - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه

قال الثاني: «اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ - وفي رواية كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء» فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية: «فلما قعدت بين رجليها» قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الآخر: اللهم! إني كنت استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر

والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستقله فلم يترك منه شيئًا، اللهم! إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

«متفق عليه»

الشرح:

قوله «انطلق ثلاثة نفر» أي: ثلاثة رجال.

«فآواهم المبيت فدخلوا في غار» يعني: ليبيتوا فيه، والغار ما يكون في الجبل مما يدخله الناس يبيتون فيه أو يتظللون فيه عن الشمس وما أشبه ذلك، فهم دخلوا حين آواهم المبيت إلى هذا الغار فتدحرجت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار، ولم يستطيعوا أن يزحزحونها؛ لأنها صخرة كبيرة فرأوا أن يتوسلوا إلى الله (تعالى) بصالح أعمالهم. فذكر أحدهم بره التام بوالديه، وذكر الثاني عفته التامة، وذكر الثالث ورعه ونصحه.

أما الأول: يقول إنه كان له أبوان شيخان كبيران «وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً» الأهل مثل الزوجة والأولاد والمال مثل الأرقاء وشبهه.

وكان له غنم فكان يسرح فيها ثم يرجع آخر النهار فيحلب الغنم ويعطي أبويه الشيخين الكبيرين ثم يعطي بقية أهله وماله.

يقول: «فنأى به طلب الشَّجَرُ ذات يوم» أي أبعد بي طلب الشجر الذي يرعاه، فرجع فوجد أبويه قد ناما فنظر هل يسقي أهله وماله قبل أبويه أم ينتظر حتى يستيقظ الأبوان، فرجح الثاني يعني: إنه بقي فأمسك الإناء بيده حتى برق الفجر، أي: حتى طلع الفجر وهو ينتظر أبويه فلما استيقظا وشربا اللبن أسقى أهله وماله.

قال: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه» والمعنى: إن كنت مخلصًا في عملي هذا وفعلته من أجلك ففرج عنا ما نحن فيه.

وفي هذا: دليل على الإخلاص لله (عز وجل) في العمل، وأن الإخلاص عليه مدار كبير في قبول العمل، فتقبل الله من هذه الوسيلة وانفرجت الصخرة لكن انفراجًا لا يستطيعون الخروج منه.

الثاني: توسل إلى الله (عز وجل) بالعفة التامة، وذلك أنه كان له ابنة عم وكان يحبها حبًا شديدًا كأشد ما يحب الرجال النساء «فأرادها عن نفسها» أي: بالزنا ليزني بها ولكنها لم توافق وأبت، فألمت بها سنة من السنين، أي: أصابها فقر وحاجة فاضطرت أن تجود بنفسها في الزنا من أجل الضرورة وهذا لا يجوز، ولكن هذا الذي حصل؛ فجاءت إليه فأعطاها مائة وعشرين دينارًا أي: مائة وعشرين جنيهًا من أجل أن تمكنه من نفسها.

ففعلت من أجل الحاجة والضرورة، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته على أنه يريد أن يفعل بها قالت: ـ هذه الكلمة العظيمة العجيبة ـ «اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه».

فخوفته بالله (عز وجل) وأشارت إليه إلا أنه إن أراد هذا بالحق فلا مانع عندها، لكن كونه يفض الخاتم بغير الحق، وهي لا تريده، ترى أن هذا من المعاصي، ولهذا قالت: اتق الله، فلما قالت هذه الكلمة التي خرجت من أعماق قلبها ودخلت في أعماق قلبه وقام عنها وهي أحب الناس إليه، يعني مازالت رغبته عنها ولا كرهها بل حبها باق في قلبه، لكن أدركه خوف الله (عز وجل) فقام عنها وترك لها الذهب الذي أعطاها مائة وعشرين دينارًا، ثم قال: «اللهم! إن كنت فعلت هذا لأجلك فافرج عنا ما نحن فيه» فانفرجت الصخرة إلا أنهم

لا يستطيعون الخـروج، وهذا من آيات الله لأن الله على كل شيء قدير، لو شاء الله (تعالى) لانفرجت عنهم لأول مرة.

لكنه (سبحانه وتعالى) أراد أن يبقي هذه الصخرة حتى يتم لكل واحد منهم ما أراد أن يتوسل به لصالح الأعمال.

أما الآخر: فتوسل إلى الله (عز وجل) بالأمانة والإصلاح والإخلاص في العمل، فإنه يذكر إنه استأجر أجـراء، على عمل من الأعمال فأعطاهم أجورهم إلا رجلاً واحـدًا ترك أجره فلم يأخذه، فـقام هـذا المستأجر فـثمر المال فـصار يتكسب به بالبيع والشراء وغير ذلك حتى نما وصار منه إبل وبقـر وغنم ورقيق وأموال عظيمة.

فجاءه بعد حين فقال له: يا عبد الله! أعطني أجري، فقال له: كل ما ترى فهو لك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: لا تستهزئ بي، الأجرة التي لي عندك قليلة كيف لي كل ما أرى من البقر والغنم والرقيق لا تستهزئ بي، فقلت له: «هو لك فأخذه واستاقه كله ولم يترك منه شيئًا، اللهم! إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وانفتح الباب فخرجوا يمشون» لأنهم توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم التي فعلوها إخلاصًا لله (عز وجل).

ففي الحديث من الفوائد والعبر:

فضيلة بر الوالدين، وأنه من الأعمال الصالحة التي يفرج بها الكربات ويزال بها الظلمات.

وفيه: فضيلة العفة عن الزنا وأن الإنسان إذا عفا عن الزنا مع قدرته عليه فإن ذلك من أفضل الأعمال وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أن هذا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال**

فقال: إني أخاف الله». «متفق عليه»

فهذا الرجل مكنته هذه المرأة التي يحبها من نفسها فقام خوفًا من الله (عز وجل) فحصل عنده كمال العفة فيرجى أن يكون ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وفي هذا الحديث: دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير فإن هذا الرجل بإمكانه لما جاءه الأجير أن يعطيه أجره ، ويبقي هذا المال له، ولكن لأمانته وثقته وإخلاصه لأخيه ونصحه له أعطاه كل ما أثمر من أجره.

ومن فوائد هذا الحديث:

بيان قدرة الله (عز وجل) حيث إنه (تعالى) أزال عنهم الصخرة بإذنه لم تأت سيارة تزيلها ولم يأت رجال يزحزحونها وإنما الأمر لله (عز وجل).

أمر الله هذه الصخرة أن تنحدر فتنطبق عليهم ثم أمرها أن تنفرج عنهم والله (سبحانه) على كل شيء قدير.

وفيه من العبر:

إن الله سميع الدعاء فإنه سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم.

وفيه من العبر:

إن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات؛ لأن كل واحد منهم يقول: اللهم! إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه».

أما الرياء - والعياذ بالله - والذي لا يعمل الأعمال إلا رياء وسمعة حتى يمدح عند الناس فإن هذا كالزبد يذهب جفاء لا ينتفع منه صاحبه، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص له».

الإخلاص هو كل شيء، لا تجعل نصيبًا من عبادتك لأحد اجعلها كلها لله (عز وجل) حتى تكون مقبولة عند الله لأنه ثبت عن النبي، فيما يرويه عن الله أنه قال: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».

«أحمد ومسلم»

والله الموفق.



قصة
المرأة التائبة

عن عمران بن الحصين الخزاعي (رضي الله عنه) ـ أن امرأة من جهينة أتت رسول الله (ﷺ) وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله! أصبت حدًا فأقمه عليَّ، فدعا نبي الله (ﷺ) وليها فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها**» ففعل فأمر بها نبي الله (ﷺ)، فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله! وقد زنت؟! قال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله (عز وجل) ؟!**».

«رواه مسلم»

الشرح:

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عمران بن حصين (رضي الله عنه) أن امرأة جاءت إلى النبي (ﷺ) «وهي حبلى من الزنا» يعني: حاملاً قد زنت (رضي الله عنها).

فقالت: «يا رسول الله! إني قد أصبت حدًا فأقمه عليَّ» أي: أصبت شيئًا يوجب الحد فأقمه عليَّ.

فدعا النبي (ﷺ) وليها وأمره أن يحسن إليها، فإذا وضعت فليأت بها إلى رسول (ﷺ).

فلما وضعت أتى بها وليها إلى النبي (ﷺ) «فأمر فشدت عليها ثيابها»

أي: لفت ثيابها وربطت، لئلا تنكشف «ثم أمر بها فرجمت» أي: بالحجارة ـ وهي ليست كبيرة ولا صغيرة ـ حتى ماتت ثم صلى عليها النبي (ﷺ).

ودعا لها دعاء الميت «فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟»

أي: والزنا من كبائر الذنوب ـ فقال: «**لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم**» يعني: توبة واسعة لو قسمت على سبعين كلهم مذنب لوسعتهم ونفعتهم.

«**وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله (عز وجل)**» أي: هل وجدت أفضل من هذه الحال: امرأة جاءت فجادت بنفسها أي سلمت نفسها من أجل التقرب إلى الله (عز وجل) والخلوص من إثم الزنا، ما هناك أفضل من هذا؟!

ففي هذا الحديث دليل على فوائد كثيرة:

منها: إن الزاني إن زنى وهو محصن ـ يعني: قد تزوج ـ فإنه يجب أن يرجم وجوبًا وقد كان هذا في كتاب الله (عز وجل) آية قرأها المسلمون وحفظوها ووعوها ونفذوها، رجم النبي (ﷺ)، ورجم الخلفاء من بعده، ولكن الله بحكمته نسخها من القرآن لفظًا وأبقى حكمها في هذه الأمة، فإذا زنى المحصن ـ وهو الذي قد تزوج ـ فإنه يرجم حتى يموت ـ يوقف في مكان واسع ويجتمع الناس ويأخذون من الحصى يرمونه به حتى يموت.

وهذه من حكمة الله (عز وجل)، أي: إنه لم يأمر الشرع بأن يذبح بالسيف وينتهي أمره، بل يرجم بهذه الحجارة حتى يتعذب ويذوق ألم العذاب في مقابل ما وجده من لذة الحرام؛ لأن هذا الزاني تلذذ جميع جسده بالحرام فكان من الحكمة أن ينال هذا الجسد من العذاب بقدر ما نال من اللذة.

ولهذا قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: أنه لا يجوز أن يرجم بالحجارة الكبيرة لأن الحجارة الكبيرة تجهز عليه ويموت سريعًا فيستريح ولا بالصغيرة جدًا لأن هذه تؤذيه وتطيل موته. ولكن بحصى متوسط حتى يذوق الألم ثم يموت.

فإذا قال قائل أليس قد قال النبي (ﷺ): «**إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا**

ذبحتم فأحسنوا الذبحة». **«مسلم»**

والقتلة بالسيف أريح للمرجوم من الرجم بالحجارة؟

قلنا: بلى قد قاله الرسول (ﷺ) لكن إحسان القتلة يكون بموافقتها للشرع.

فالرجم إحسان؛ لأنه موافق للشرع، ولذلك لو أن رجلاً جانيًا جنى على شخص فقتله عمدًا وغرر به أن يقتله فإننا نغرر بهذا الجاني إذا أردنا قتله قبل أن نقتله.

مثلا لو أن رجلا جانيًا قتل شخصًا فقطع يديه ثم رجليه ثم لسانه ثم رأسه فإننا لا نقتل الجاني بالسيف!! بل نقطع يديه ثم رجليه ثم لسانه ثم نقطع رأسه مثلما فعل ويعتبر هذا إحسانًا في القتلة؛ لأن إحسان القتلة أن يكون موافقًا للشرع على أي وجه كان.

وفي هذا الحديث دليل على جواز إقرار الإنسان على نفسه بالزنى من أجل تطهيره بالحد لا من أجل فضح نفسه فالإنسان الذي يتحدث عن نفسه أنه زنى عند الإمام أو نائبه من أجل إقامة الحد عليه هذا لا يلام ولا يذم.

وأما الإنسان الذي يخبر عن نفسه أنه زنى يخبر بذلك عامة الناس فهذا فاضح نفسه وهو من غير المعافين لأن الرسول (ﷺ) يقول: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، قالوا: من المجاهرون؟ قال: الذي يفعل الذنب ثم يستره الله عليه ثم يصبح يتحدث به**».

«متفق عليه»

هناك قسم ثالث فاسق مارد ماجن!! يتحدث بالزنا افتخارًا والعياذ بالله! يقول إنه سافر إلى البلد الفلاني وإلى البلد الفلاني وفجر وفعل وزنى بعدة نساء وما أشبه ذلك يفتخر بهذا!!

هذا يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأن الذي يفتخر بالزنا مقتضى حاله أنه استحل الزنا ـ والعياذ بالله ـ ومن استحل الزنا فهو كافر.

ويوجد بعض الناس الفسقة يفعل ذلك، الذين أصيب المسلمون بالمصائب من أجلهم ومن أجل أفعالهم.

يوجد من يتبجح بهذا الأمر، إذا سافر إلى بلد معروف بالفسق والمجون مثل «بانكوك» وغيرها من البلاد الخبيثة التي كلها زنى ولواط وخمر وغير ذلك رجع إلى أصحابه يتبجح بما فعل.

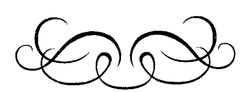
هذا كما قلت يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأن من استحل الزنا أو غيره من المحرمات الظاهرة المجمع عليها فإنه يكفر.

إذا قال قائل هل الأفضل للإنسان إذا زنى أن يذهب إلى القاضي ليقر عنده فيقام عليه الحد أم الأفضل أن يستر نفسه؟

فيه تفصيل:

قد يكون الإنسان تاب توبة نصوحًا وندم وعرف من نفسه أنه لن يعود فهذا الأفضل أن لا يذهب ولا يخبر عن نفسه بل يجعل الأمر سرًا بينه وبين الله ومن تاب تاب الله عليه.

وأما من خاف أن لا تكون توبته نصوحًا وخاف أن يعود ويرجع إلى الذنب مرة أخرى فهذا الأفضل في حقه أن يذهب إلى ولي الأمر ـ القاضي أو غيره ـ ليقر عنده فيقام عليه الحد.





قصة
جريج العابد

وعن أبي هـريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قـال: «لم يتكلـم في المهـد إلا ثلاثة: عـيسى ابن مـريم، وصـاحب جريج، وكـان جريـج رجلا عـابدًا، فاتخـذ صومعة فكان فـيها، فأتته أمه (وهو يصلي) فقـالت: يا جريج، فقال: يارب! أمي وصـلاتي، فأقـبل على صـلاته فانصـرفت فلمـا كان من الغـد أتتـه وهو يصلي، فقالـت: يا جريج! فقال: أي ربي! أمي وصـلاتي، فأقبل على صلاته، فلـما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج! فقال: أي رب! أمي وصلاتي، فأقبل على صلاتـه، فقالت: اللهم لا تمـته حتى ينظر إلى وجـه المومسـات، فتـذاكر بنو إسرائيل جـريجًا وعبـادته، وكانت امرأة بغي يتـمثل بحسنهـا، فقالت: إن شـئتم لأفتنـنه، فتعـرضت له فلم يلتـفت إليها، فـأتت راعيًـا كان يأوي إلى صـومعـته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدمـوا صومعته، وجـعلوا يضربونه، فقال: مـا شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك، قال: أين الصبي؟ فـجاءوا به فقال: دعوني حتى أصلي فصلى، فلما انصرفت أتى الصبي فطعنه في بطنه وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فـلان الراعي، فـأقـبلوا على جـريج يقـبلونه ويتـمـسـحـون به وقـالوا: نبني لك صومـعتك من ذهب قـال: لا، أعيدوها من طين كـما كـانت، ففعلوا وبـينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه: اللهم! اجعل ابني مـثل هذا، فتـرك الثدي، فأقـبل إليه فنظر إليـه فقال: اللهـم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع».

فكأني أنظر إلى رسول الله (ﷺ) وهو يحكي ارتضاعه بإصـبعه السبابة في فيـه، فجعل يمصهـا، قال: «ومروا بـجارية وهم يضـربونها، ويقـولون: زنيت سرقـت، وهي تقول: حـسبي الله ونعم الوكـيل، فقـالت أمه: اللهم لا تجـعل ابني

مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا ... » الحديث .

فقالت: مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم! اجعل ابني مثله فقلت: اللهم! لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها! قال: إن ذلك الرجل كان جبارًا فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زنيت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها».

«والمومسات» بضم الميم الأولى، وإسكان الواو وكسر الميم الثانية والسين المهملة وهن الزواني، والمومسة: الزانية.

وقوله: «دابة فارهة» بالفاء: أي حاذقة نفيسة، «الشارة» بالشين المعجمة وتخفيف الراء: وهي الجمال الظاهر في الهيئة والملبس، ومعنى «تراجعا الحديث» أي: حدثت الصبي وحدثها، والله أعلم.

الشرح:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن نبينا (ﷺ) أنه قال «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة»

أولاً: عيسى ابن مريم (عليه السلام)، وعيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل، بل آخر الأنبياء، قبل محمد (ﷺ) فإنه لم يكن بينه وبين النبي (ﷺ) نبي، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف: ٦].

فليس بين محمد (ﷺ) وبين عيسى ابن مريم نبي.

وأما ما يذكر عند المؤرخين من وجود أنبياء في العرب كالخالد بن سنان، فهذا كذب، ولا صحة له.

وعيسى ابن مريم كان آية من آيات الله (عز وجل) كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] كان آية في منشئه، وآية في وضعه.

أما في منشئه فإن أمه مريم (عليها السلام) حملت به من غير أب، حيث أرسل الله (عز وجل) جبريل إليها فتمثل لها بشرًا سويا، ونفخ في فرجها فحملت بعيسى (عليه السلام).

والله على كل شيء قدير فالقادر على أن يخلق الولد من المني قادر على أن يخلقه من هذه النفخة، كما قال وتعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]. لا يستعصي على قدرة الله شيء، إذا أراد شيئًا قال له: كن؛ فيكون فحملت وولدت، وقيل إنه لم يبق في بطنها كما تبقى الأجنة، ولكنها حملته وشب سريعًا، ثم وضعته.

وكان آية في وضعه، حيث جاء مريم المخاض إلى جذع النخلة، فقالت: ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣]. هي لم تتمن الموت لكنها تمنت أنه لم يأتها هذا الشيء حتى الموت: ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤]. أي: عين تمشي تحت النخلة.

ثم قال: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥] تهز الجذع وهي امرأة قد أتاها المخاض، فتتساقط من هزها الرطب، رطبًا جنيا لا يفسد إذا وقع على الأرض، وهذا خلاف العادة فالعادة أن المرأة عند النفاس، تكون ضعيفة، والعادة عند هز النخلة ألا تهز إلى أسفل، بل تهز من فوق، فمن الجذع ألا تهتز لو هزها الإنسان، والعادة أيضًا أن الرطب إذا سقط

فإنه يسقط على الأرض ويتفرق لكن الله تعالى قال: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٥ ، ٢٦]، الله أكبر! من آيات الله (عز وجل) الله على كل شيء قدير.

ولما وضعت الولد أتت به قومها تحمله طفلاً وهي لم تتزوج، فقالوا لها يعرضونها بالبغاء، وقالوا: يا أخت هارون! ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا، يعني كأنهم يقولون: من أين جاءك الزنا - نسأل الله العافية - وأبوك ليس امرأ سوء وأمك ليست بغيًا، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان إذا زنى فقد يبتلى نسله بالزنا (والعياذ بالله)، كما جاء في الحديث في الأثر: «**من زنى زنى أهله**».فهؤلاء قالوا: ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا، فألهمها الله (عز وجل) فأشارت إلى الطفل فكأنهم سخروا بها، قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيا؟ هذا غير معقول!.

ولكنه التفت إليهم، وقال هذا الكلام البليغ العجيب، قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾مريم: ٣٠ - ٣٣]. سبع جمل - الله أكبر - من طفل في المهد.

ولا تتعجب فإن قدرة الله فوق كل شيء، أليست جلودنا وأيدينا وأرجلنا وألسنتنا يوم القيامة تشهد علينا بما فعلنا؟ بلى، تشهد، أليست الأرض تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها؟ بلى، الأرض تشهد بما عملت عليها من قول أو فعل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[الزلزلة: ٤ ، ٥].

إذا كان هذا كلام عيسى ابن مريم، تكلم بهذه الكلمة العظيمة، سبع جمل وهو في المهد.

أمـا الثـاني: فـهـو صـاحب جـريج، وجـريـج رجل عـابد، انعـــزل عن الناس، والعــزلة خيــر إذا كــان في الخلطة شر، أمــا إذا لم يكن في الخلطة شــر فالاختلاط بالناس أفضل، قال النبي (ﷺ): «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**»

«أحمد والترمذي - صحيح الجامع - (٦٦٥١)»

لكن إذا كانت الخلطة ضررًا عليك في دينك، فـانج بدينك، كما قال النبي (ﷺ) : «**يوشك أن يكون خيـر مال الرجل غنم يتبع بهـا شعف الجبـال ومواقع القطر**».

«البخاري»

يعني بدينه من الفتن.

فهنا جريج انعزل عن الناس، وبنى صومعة - يعني مكانًا يتعبد فيه لله (عز وجل) فجاءته أمه ذات يوم (وهو يصلي) فنادته، فـقال في نفسه: أي ربي! أمي وصلاتي: هل أجـيب أمي وأقطع الصلاة، أم أسـتمـر في صلاتي؟ فـمضى في صلاته.

وجاءته مرة ثانية، وقالت له مثل الأولى، فقال مثل ما قال، ثم استمر في صلاته فجاءته مرة ثالثة فدعته، فقال مثل ما قال، ثم استمر في صلاته، فأدركها الغضب، وقـالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومـسات، أي الزواني، حتى ينظر في وجوه الزواني، والعياذ بالله.

والإنسان إذا نظر في وجوه الزواني افـتتن؛ لأن نظر الرجل إلى المرأة فتنة، فكيف إذا كانت - والعياذ بالله - زانية بغية؟! فأشد فتنة؛ لأنه ينظر إليها على أنها تمكنه من نفسها فيفتتن، فدعت عليه أمه بذلك.

يستفاد من هذه الجملة من هذا الحديث أن الوالدين إذا ناداك وأنت تصلي، فإن الواجب إجابتهما، لكن بشرط ألا تكون الصلاة فريضة، فإذا كانت فريضة فلا يجوز أن تجيبهما، لكن إذا كانت نافلة فأجبهما.

إلا إذا كانا ممن يقدرون الأمور قدرها، وإنهما إذا علما أنك في صلاة عذراك، فهنا أشر إليهما بأنك في صلاة، إما بالنحنحة إما بقول: سبحان الله، أو برفع صوتك في آية تقرؤها، أو دعاء تدعو به، حتى يشعر المنادي بأنك في صلاة فإذا علمت أن هذين الأبوين الأم والأب عندهما مرونة، يعذرانك إذا كنت تصلي ألا تجيب، فنبههم على أنك تصلي.

فمثلاً ، إذا جاء أبوك وأنت تصلي سنة الفجر، قال: يا فلان! وأنت تصلي فإن كان أبوك رجلاً مرنًا يعذرك فتنحنح له، أو قل سبحان الله، أو ارفع صوتك بالقراءة أو بالدعاء أو بالذكر الذي أنت فيه، حتى يعذرك.

وإن كان من الآخرين الذين لا يعذرون، و يريدون أن يكون قولهم هو الأعلى فاقطع صلاتك وكلمهم، وكذلك يقال في الأم.

أما الفريضة فلا تقطعها لأحد إلا عند الضرورة، كما لو رأيت شخصًا تخشى أن يقع في هلكة، في بئر، أو في بحر، أو في نار، فهنا اقطع صلاتك للضرورة، وإما لغير ذلك فلا يجوز قطع الفريضة.

ويستفاد من هذه القطعة: إن دعاء الوالدين إذا كان بحق فإنه حري بالإجابة، فدعاء الوالد ولو كان على ولده إذا كان بحق فهو حري أن يجيبه الله، ولهذا ينبغي لك أن تحترس غاية الاحتراس من دعاء الوالدين، حتى لا تعرض نفسك لقبول الله دعاءهما فتخسر.

وفي الحديث أيضًا: دليل على أن الشفقة التي أودعها الله في الوالدين، قد يوجد ما يرفع هذه الشفقة، لأن هذه الدعوة من هذه المرأة عظيمة، أن تدعو على

ولدها أن لا يموت حتى ينظر في وجوه المومسات، لكن شدة الغضب ـ والعياذ بالله ـ أوجب لها أن تدعو بهذا الدعاء.

وذكرنا أن أمه لما نادته ثلاثًا وهو يصلي فيقبل على صلاته وتنصرف، دعت عليه في الثالثة فقالت: اللهم! لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات، فتكلم فيه بنو إسرائيل وفي عبادته، فقالت امرأة منهم: أنا أكفيكم وأفتنه إن شئتم.

وفي قصته من الفوائد غير ما سبق: إن الإنسان إذا تعرف إلى الله (تعالى) في الرخاء عرفه في الشدة، فإن هذا الرجل كان عابدًا يتعبد لله (عز وجل) فلما وقع في الشدة العظيمة أنجاه الله منها، لما جاء إليه هؤلاء الذين كادوا له هذا الكيد العظيم، ذهبت هذه المرأة إلى جريج لتفتنه لكنه لم يلتفت إليها، فإذا راعي غنم يرعاها ثم يأوي إلى صومعة هذا الرجل، فذهبت إلى الراعي فزنى بها (والعياذ بالله) فحملت منه.

ثم قالوا: إن هذا الولد ولد زنى من جريج، رموه بهذه الفاحشة العظيمة، فأقبلوا عليه يضربونه وأخرجوه من صومعته وهدموها، فطلب منهم أن يأتوا بالغلام الذي من الراعي، فلما أتوا به، ضرب في بطنه، وقال: من أبوك؟ (وهو في المهد) فقال: أبي فلان، يعني ذلك الراعي.

فأقبلوا إلى جريج يقبلونه، ويتمسحون به، وقالوا له: هل تريد أن نبني صومعتك من ذهب؟ لأنهم هدموها ظلمًا، قال: لا، ردوها على ما كانت عليه من الطين، فبنوها له.

ففي هذه القصة أن هذا الصبي تكلم وهو في المهد، وقال: إن أباه فلان الراعي، واستدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ولد الزنى يلحق الزاني، لأن جريجًا قال: من أبوك؟، قال: أبي فلان الراعي، وقد قصها النبي(ﷺ) علينا للعبرة، فإذا لم ينازع الزاني في الولد فإنه يلحقه، وإلى هذا ذهب طائفة

يسيرة من أهل العلم.

وأكثر العلماء على أن ولد الزنا لا يلحق الزاني، لقول النبي (ﷺ)«**الولد للفراش، وللعاهر الحجر**».

«متفق عليه»

ولكن الذين قالوا بلحوقه قالوا: هذا إذا كان له منازع، كصاحب الفراش، فإن الولد لصاحب الفراش، وأما إذا لم يكن له منازع واستلحقه فإنه يلحقه، لأنه ولده قدرًا، فإن هذا الولد لا شك أنه خلق من ماء الزاني فهو ولده قدرًا، ولم يكن له أب شرعي ينازعه، وعلى هذا فيلحق به.

قالوا: وهذا أولى من ضياع نسب هذا الولد؛ لأنه إذا لم يكن له أب ضاع نسبه، وصار ينسب إلى أمه.

وفي هذا الحديث دليل على صبر هذا الرجل - جريج - حيث إنه لم ينتقم لنفسه، ولم يكلفهم شططًا، فيبنون له صومعته من الذهب، وإنما رضي به من القناعة وأن تبنى من الطين.

أما الثالث: الذي تكلم في المهد: فهو هذا الصبي الذي مع أمه يرضع، فمر رجل على دابة فارهة وعلى شارة حسنة، وهو من أكابر القوم، وأشراف القوم، فقالت أم الصبي: اللهم! اجعل ابني هذا مثله، فترك الصبي الثدي وأقبل على أمه بعد أن نظر إلى هذا الرجل، فقال: اللهم لا تجعلني مثله.

وحكى النبي (ﷺ) ارتضاع الطفل من ثدي أمه بأن وضع إصبعه السبابة في فمه يمصه تحقيقًا للأمر (ﷺ).

فقال: اللهم! لا تجعلني مثله، ثم أقبلوا بجارية، امرأة يضربونها ويقولون لها: زنيت سرقت، وهي تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقالت المرأة أم الصبي: اللهم! لا تجعل ابني مثلها، فأطلق الثدي، وجعل ينظر إليها، وقال:

اللهم! اجعلني مثلها.

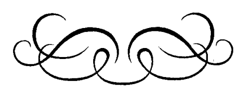
فتراجع الحديث مع أمه، طفل قام يتكلم معها، قالت: إني مررت أو مر بي هذا الرجل ذو الهيئة الحسنة فقلت: اللهم! اجعل ابني مثله، فقلت أنت: اللهم! لا تجعلني مثله، فقال: نعم! هذا رجل كان جبارًا عنيدًا فسألت الله ألا يجعلني مثله.

أما المرأة فإنهم يقولون: زنيت سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقلت: اللهم! اجعلني مثلها، أي: اجعلني طاهرًا من الزنى والسرقة، مفوضًا أمري إلى الله، في قولها: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي هذا آية من آيات الله، أن يكون هذا الصبي يشعر وينظر ويتأمل ويفكر، وعنده شيء من العلم، يقول: هذا كان جبارًا عنيدًا، وهو طفل، وقال لهذه المرأة: اللهم اجعلني مثلها، علم أنها مظلومة وأنها بريئة مما اتهمت به، وعلم أنها فوضت أمرها إلى الله (عز وجل)، فهذا أيضًا من آيات الله أن يكون عند هذا الصبي شيء من العلم.

والحاصل أن الله (سبحانه وتعالى) على كل شيء قدير، فقد يحصل من الأمور المخالفة للعادة ما يكون آية من آياته، إما تأييدًا لرسوله أو تأييدًا لأحد من أوليائه.

والله الموفق.





قصة
الأعرابي الذي بال في المسجد

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي (ﷺ): «**دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوبًا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**».

«رواه البخاري»

والسَّجْلُ: هو الدلو الممتلئة ماء كذلك الذنوب.

الشرح:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن أعرابيًا بال في المسجد، أعرابي: يعني بدوي، والبدوي في الغالب لا يعرف أحكام الشرع، لأنه يعيش في البادية في إبله أو في غنمه، وليس له علم بشريعة الله، كما قال الله تعالى: ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ**﴾ [التوبة: ٩٧]. يعني أقرب ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لأنهم في باديتهم بعيدون عن الناس وعن العلم والشرع.

فهذا الأعرابي دخل المسجد واحتاج إلى أن يتبول، فبال في المسجد، أي تنحى وبال في المسجد، فهم الناس أن يقعوا فيه وزجروه، ولكن النبي (ﷺ) قال لهم: «دعوه» أي يقضي بوله، «وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» فتركه الناس.

فلما قضى بوله صبوا عليه ذنوبًا من الماء، يعني دلوًا من الماء، فطهر المحل وزال المحذور، ثم دعا بالأعرابي وقال له: «**إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر، وإنما هي للصلاة، وقراءة القرآن والتكبير**» كما قال الرسول (ﷺ).

ففي هذا الحديث فوائد كثيرة:

منها العذر بالجهل: وأن الإنسان الجاهل لا يعامل كما يعامل العالم لأن العالم معاند والجاهل متطلع للعمل، فيعذر بجهله، ولهذا عذره النبي (ﷺ) ورفق به.

ومنها: أن الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، يعني إذا كان هناك مفسدتان لابد من ارتكاب إحداهما، فإنه يرتكب الأسهل، فهنا أمامنا مفسدتان:

الأولى: استمرار هذا الأعرابي في بوله وهذه مفسدة.

الأخرى: إقامته من بوله وهذه مفسدة أيضًا لكن هذه أكبر، لأن هذه يترتب عليها:

أولاً: الضرر على هذا البائل لأن البائل إذا منع البول المتهيء للخروج ففي ذلك ضرر فربما تتأثر مجاري البول ومسالك البول.

ثانيًا: أنه إذا قام فإما أن يقطع رافعًا ثوبه، لئلا تصيبه قطرات البول وحينئذ تكون القطرات منتشرة في المكان، وربما تأتي على أفخاذه ويبقى مكشوف العورة. أمام الناس في المسجد، وإما أن يدلي ثوبه وحينئذ يتلوث الثوب ويتلوث البدن وهذه أيضًا مفسدة.

فلهذا ترك النبي (ﷺ) هذا الرجل يبول حتى انتهى ثم أمر بأن يُصَبَّ عليه ذنوب من الماء.

وعلى هذا فيكون لدينا قاعدة: إذا اجتمعت مفسدتان ولابد من ارتكاب إحداهما، فإنه يرتكب الأسهل والأخف دفعًا للأعلى، كما أنه إذا اجتمعت مصالح ولا يمكن فعل جميعها فإنه يؤخذ الأعلى فالأعلى ففي المصالح يقدم الأعلى وفي المفاسد يقدم الأسهل والأدنى.



قصة
فضل المشي إلى المساجد

عن أبي المنذر أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال: كان رجلاً لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له، أو فقلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء؟ فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**قد جمع الله لك ذلك كله**».

«أخرجه البخاري»

وفي رواية: «**إن لك ما احتسبت**».

«أخرجه مسلم»

«الرمضاء»: الأرض التي أصابها الحر الشديد

الشرح:

هذا الحديث يتعلق بما قبله من الأحاديث الدالة على كثرة الخير، وأن طرق الخير كثيرة، ومنها الذهاب إلى المساجد، وكذلك الرجوع منها، إذا احتسب الإنسان ذلك عند الله تعالى.

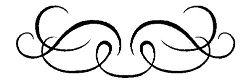
ففي هذا الحديث قصة الرجل الذي كان له بيت بعيد من المسجد وكان يأتي إلى المسجد من بيته ويحتسب الأجر على الله قادمًا إلى المسجد وراجعًا منه، فقال له بعض الناس: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء والرمضاء، يعني في الليل حين الظلام، في صلاة العشاء وصلاة الفجر، أو الرمضاء: أي في أيام الحر الشديد، ولاسيما في الحجاز، فإن جوها حار، فقال (رضي الله عنه): ما يسرني أن بيتي إلى جنب المسجد - يعني أنه مسرور بأن بيته بعيد عن المسجد.

يأتي إلى المسجد بخطى ويرجع بخطى، وهو لا يسره أن يكون بيته قريبًا

من المسجد، لأنه لو كان قريبًا لم تكتب له تلك الخطى، وبين أنه يحتسب أجره على الله (عز وجل) قادمًا إلى المسجد وراجعًا منه فقال (ﷺ): «**إن له ما احتسب**».

ففي هذا دليل على أن كثرة الخطى إلى المساجد من طرق الخير، وأن الإنسان إذا احتسب الأجر على الله كتب الله له الأجر حال مجيئه إلى المسجد وحال رجوعه منه.

ولا شك أن للنية أثرًا كبيرًا في صحة الأعمال، وأثرًا كبيرًا في ثوابها، وكم من شخصين يصليان جميعًا بعضهما إلى جنب بعض، ومع ذلك يكون بينهما في قدر الثواب مثل ما بين السماء والأرض، وذلك بصلاح النية وحسن العمل، فكلما كان الإنسان أصدق إخلاصًا لله وأقوى اتباعًا لرسول الله (ﷺ) كان أكثر أجرًا وأعظم مثوبة عند الله (عز وجل).





قصة أبي إسرائيل

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: بينما النبي (ﷺ) يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي (ﷺ): «**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**».

«رواه البخاري»

الشرح:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الاقتصاد في العبادة هذا الحديث الذي نذر فيه رجل يقال له: أبو إسرائيل ، أن يقوم في الشمس ولا يقعد، وأن يصمت ولا يتكلم، وأن يصوم وكان النبي (ﷺ) يخطب، فرأى هذا الرجل قائمًا في الشمس، فسأل عنه فأخبر عن قصته، فقال النبي (ﷺ): «**مروه فليتكلم وليستظل وليتكلم وليتم صومه**».

وهذا النذر قد يتضمن أشياء محبوبة إلى الله (عز وجل) وأشياء غير محبوبة، أما المحبوبة إلى الله فهي الصوم، لأن الصوم عبادة، والنبي (ﷺ) قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**» وأما وقوفه قائمًا في الشمس من غير أن يستظل، وكونه لا يتكلم فهذا غير محبوب إلى الله (عز وجل) فلهذا أمر النبي (ﷺ) هذا الرجل أن يترك ما نذر.

وليعلم أن النذر أصله مكروه، بل قال بعض العلماء: محرم، وأنه لا يجوز للإنسان أن ينذر، لأن الإنسان إذا نذر كلف نفسه ما لم يكلفه الله، ولهذا نهى النبي (ﷺ) عن النذر ، قال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**».

«متفق عليه»

ولكن إذا قدر أن الإنسان نذر نذرًا فالنذر أقسام: قسم حكمه حكم اليمين، وقسم آخر نذر معصية، وقسم ثالث نذر طاعة.

أما الذي حكمه حكم اليمين، فهو الذي قصد الإنسان به تأكيد الشيء، نفيًا أو إثباتًا أو تصديقًا أو تأكيدًا، ومثاله إذا قيل للرجل: أخبرتنا بكذا وكذا، ولكنك لم تصدق، فقال: إن كنت كاذبًا فلك علي نذر أن أصوم سنة، فلا شك أن غرضه من ذلك أن يؤكد قوله ليصدقه الناس، هذا حكمه حكم اليمين؛ لأنه قصد بذلك تأكيد ما قال، وكذلك أيضًا إذا قصد الحديث مثل أن يقول: إن لم أفعل كذا فلك عليَّ نذر أن أصوم سنة، فهذا أيضًا قصد الحث وأن يفعل ما ذكر، حكمه حكم اليمين أيضًا ودليل هذا قول النبي (ﷺ): «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى**».

«متفق عليه»

وهذا نوى اليمين فله ما نوى.

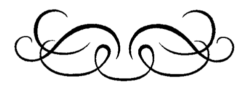
أما القسم الثاني فهو المحرم، فالمحرم إذا نذره الإنسان فإنه يحرم عليه الوفاء، مثل أن يقول: لله عليه نذر أن يشرب الخمر، فهذا نذر محرم فلا يحل له أن يشرب الخمر، ولكن عليه كفارة يمين على القول الراجح، وإن كان بعض العلماء قال: إنه لا شيء عليه ، لأنه نذر غير منعقد ولكن الصحيح أنه نذر منعقد، ولكن لا يجوز الوفاء به، ومثل ذلك أن تقول المرأة: لله عليها نذر أن تصوم أيام حيضها فهذا حرام، ولا يجوز أن تصوم أيام الحيض، وعليها كفارة يمين .

أما القسم الثالث: فهو نذر الطاعة، أن ينذر الإنسان نذر طاعة، مثل أن يقول لله علي نذر أن أصوم الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فيلزمه أن يوفي بنذره، لقول النبي (ﷺ): «**من نذر أن يطيع الله**

فليطـعـه»أو يقول: **لله** عليَّ نذر أن أصلي ركعتين فـي الضحى فيلزمه أن يوفي بنذره؛ لأنه طاعة، وقد قال النبي (ﷺ) : «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**».

«**البخاري**»

فإن اشتمـل نذره على طاعة وغير طاعة، وجب أن يوفي بالطاعـة أما غير الطاعة فـلا يوف، ويكفر كـفارة يمين، مـثل قصة هذا الرجل فنـذر أن يقوم في الشمس، وألا يستظل وألا يتكلم وأن يصوم، فأمره النبي (ﷺ) أن يصوم؛ لأنه طاعة ، ولكنه قال في القـيام وعدم الاستظلال وعدم الكلام: «مـروه فليستظل، وليقعد ، وليتكلم» وكثير من الناس واليوم إذا استبعد الأمر أو أشفق عليه ينذر، فمثلاً: إذا مرض له إنسان، قـال: **لله** عليَّ نذر إن شفى الله مريضي لأفعلن كذا وكذا، فهـذا منهي عنه إما نهي كراهة أو نهي تحريم، اسأل الله العـافية لمريضك بدون نذر، لكن لو فـرضنا أنه نذر: إن شفى **الله** مـريضي أن أفعل كـذا وكذا، فشفاه الله، واجب عليه أن يوفي بالنذر.





قصة
زينب (رضي الله عنها)

عـن أنـس (رضي الله عنه) قال: دخل النبي (ﷺ) المـسجد فـإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي (ﷺ): «**حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**».

«متفق عليه»

الشرح:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ فيما نقله أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه دخل المسجـد يعني المسجد النبـوي، فإذا حبل مـربوط بين ساريتين، أي بين عمودين، فقال: «ما هذا؟»قالوا: هذا حبل لزينب، تربطه فإذا تعبت من الصلاة تعلقت به من أجل أن تنشط فقال النبي (ﷺ): «**حلوه**» أي: أخروه وأزيلوه،

ثم قال: «**ليصل أحدكم نشاطه فإذا تعب فليرقد**».

ففي هذا الحديث دليل أنه لا ينبغي للإنسان أن يتعمق وأن يتنطع في العبادة وأن يكلف نفسه ما لا تطيق، وأن يصلي ما دام نشيطًا، فإذا تعب فليرقد ولينم، لأنه إذا صلى مع التعب تشوش فكره وسـئم ومل وربما كره العبادة، وربما ذهب ليدعو لنفسه فإذا به يدعو عليها، فإذا سجد وأراد النعاس ربما أراد أن يقول: رب اغفر لي، قـال: رب لا تغفر لي؛ لأنه نائم، فلهـذا أمر النبي (ﷺ) بحل هذا الحبل، وأمرنا أن يصلي الإنسان نشاطه، فإذا تعب فليرقد.

وهذا وإن ورد في الصلاة فإنه يشمل جميـع الأعمال فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، بل عامل نفـسك بالرفق واللين، ولا تتعجل في الأمـور، فالأمور ربما تتعطل لحكـمة يريدها الله (عز وجل) ولا تقل: إني أريد أن أتـعب نفسي، بل انتظر واعط نفسك حقها ثم بعد ذلك يحصل لك المقصود.

ومن ذلك مـا يفعله بعض الطلبـة حيث يطالع فـي دروسه وهو نعـسان، فيتعب نفسه ولا يحصل شيئًـا؛ لأن الذي يراجع وهو نعسان لا يستفيد إذا أصابه النعاس وهو يراجع كـتبًا سـواء كتبًـا منهجيـة أو غير ذلك، ينـبغي له أن يغلق الكتاب، وأن ينام ويستريح.

وهذا يعم جميع الأوقات حتى ولو بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر، طالما أراد أن يرقـد ويستـريح فلا حـرج، فكلمـا أتاك النوم فنم، وكلما صـرت نشيطًا فاعمل: ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ** ﴾ [الشرح: ٧، ٨]. كل الأمور اجعلها بالتيسير إلا ما فرض عليك، فلابد أن يكون في الوقت المحدد له وأما الأمور التطوعية: فالأمر فيها واسع، فلا تتعب نفسك في شيء.



قصة
حديقة أبي طلحة الأنصاري

عن أنس (رضي الله عنه) قال: كان أبو طلحة (رضي الله عنه) أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله (ﷺ) يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، جاء أبو طلحة إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله! إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أحب مالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله (تعالى) فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله (ﷺ): «**بخ! ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه.

«متفق عليه»

الشرح:

قال المؤلف رحمه الله (تعالى): «باب الإنفاق مما تحب ومن الجيد».

لما ذكر (رحمه الله) وجوب الإنفاق على الزوجة وعلى الأقارب ذكر أنه ينبغي أن يكون الإنسان ذا همة عالية، وأن ينفق من أطيب ماله، ومما يحب من ماله، وهناك فرق بين الأطيب وبين الذي يحب، الغالب أن الإنسان لا يحب إلا أطيب ماله، لكن أحيانًا يتعلق قلبه بشيء من ماله وليس أطيب ماله، فإذا أنفق من الطيب الذي هو محبوب لعامة الناس ومما يحبه هو بنفسه وإن لم يكن من الطيب، كان ذلك دليلاً على أنه صادق فيما عامل الله به.

ولهذا سميت الصدقة صدقة؛ لدلالتها على صدق باذلها، فالإنسان لابد له من أن ينفق من أطيب ماله، وينبغي له أن ينفق مما يحب، حتى يصدق في تقديم ما يحبه الله (عز وجل) على ما تهواه نفسه.

ثم استدل المؤلف - رحمه الله تعالى - بآيتين من كتاب الله (تعالى) فقال: قال الله تعالى: ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ البر يعني الخير الكثير، ومنه سمي البر للخلاء الواسع، فالبر هو الخير الكثير، يعني لن تنال الخير الكثير ولن تنال مرتبة الأبرار حتى تنفق مما تحب.

والمال كله محبوب لكن بعضه أشد محبة من بعض، فإذا أنفقت مما تحب كان ذلك دليلاً على أنك صادق، ثم نلت بذلك مرتبة الأبرار.

وقال تعالى: ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، الخبيث من كل شيء بحسبه، فالخبيث من المال يطلق على الرديء، ويطلق على الكسب الرديء، ويطلق على الحرام.

فمن إطلاقه على الرديء قوله تعالى: ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ هذه بقية الآية التي أولها: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** ﴾ والخارج من الأرض فيه الطيب وفيه الرديء، قال: ﴿ **ولا تيمموا الخبيث** ﴾، أي لا تقصدوا الخبيث وهو الرديء تنفقون منه ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ يعني لو كان الحق لكم ما أخذتم الرديء إلا على إغماض وعلى كره، فكيف ترضون لغيركم أن تعطوه الرديء وأنتم تأبون أن تأخذوه؟!

وهذا من باب الاستدلال على الإنسان بما يقر ويعترف به؛ لأنه لا يرضى أن يأخذ الرديء، بدلاً من الطيب فكيف يرضى أن يعطي الرديء بدلاً عن الطيب؟!

فـالخبـيث مـعنى الرديء، ومن ذلك أيضًـا تسـميـة النبي (ﷺ) البـصل والكرات الشجرة الخبيثة؛ لأنها خبيثة منتنة كريهة، حتى إن الإنسان إذا أكل منها وبقيت رائحتهـا في فمه فإنه يحرم عليه أن يدخل المسجـد، لا للصلاة ولا لغير الصلاة؛ لأن المسجـد معمور بالملائكة فإذا دخل المسـجد آذى الملائكة، والملائكة طيبون، والطيـبون للطيبات، تكره الخـبائث من الأعمال والأعـيان، فإذا دخلت المسجد وأنت ذو رائحة كريهة أذيت الملائكة.

وكان الرجل في عـهد الرسول (ﷺ) إذا دخـل المسجد وقـد أكل كراثًا أو بصلاً طرد إلى البقـيع، والبقيع تعرفـون المسافة بينه وبين المسجـد النبوي، وإنها بعيدة، يطرده إلى البقيع ولا يقرب المسجد.

وللأسف إن بعض الناس ـ نسأل الله لنـا ولهم الهداية والعصمـة ـ يشرب الدخان أو الشيشة ويأتي إلى المسجد ورائحة الدخان أو الشيشة في فمه، أو على ثيابه، على أن هـذه رائحة كريهـة كل يكرهها، حتى إن بعض الناس لا يستطيع أن يصلي جنب مثل هـؤلاء، وهـؤلاء يحـرم عليهم أن يدخلوا المسجد والروائح الكريهة بفيهم.

وكذلك من به إصنان ـ والإصنان: رائحـة كريهة تفـوح من إبطيه، أو من أذنيـه، أو تفوح من رأسـه وتؤذي ـ فـإنه لا يجوز أن يصـلي ما دامت الرائحـة المؤذية فيه، لا يجوز أن يدخل المسجد بل يبتعد.

والحمد لله، فإن هـذه من المصائب والبلاوي، فإن ابتلي بمثل هـذا لا يقول كيف أحرم نفسي من المسـجد، فهـذا من الله (عز وجل) فاحـرم نفسك المسجد ولا تؤذي الناس والملائكة، وحـاول بقـدر مـا تسـتطيع أن تتـخلص من هـذه الرائحة، إمـا بالتنظيف التام، أو بأن تضع رائحـة طيبة تغطي الرائحـة الكريهة، وبهـذا يمكن أن تعالج هـذه الروايح فلا يشم منك إلا الرائحة الطيبة.

من إطلاق الخبيث على الكسب الرديء قوله (ﷺ): «**كسب الحجام خبيث**».

«مسلم»

الحجام: الذي يخرج الدم بالحجامة، هذا كسبه خبيث، يعني رديء، وليس المراد أنه حرام، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): لو كان كسب الحجام حرامًا ما أعطاه النبي (ﷺ) أجرته، فقد احتجم النبي (ﷺ) وأعطى الحجام أجره، ولو كانت حرامًا ما أعطاه؛ لأن للإنسان أن يتنزه عنه، وأن يحجم الناس إذا احتاجوا إلى حجامته تبرعًا وتطوعًا.

ومن إطلاق الخبيث على المحرم قوله تعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، يعني يحرم عليها الخبائث، وهي ضد الطيبات، مثل الميتة، لحم الخنزير، المنخنقة، الخمر، وما أشبه ذلك.

ومعنى الآية أنه لا يحرم إلا الخبائث، وليس معناها أن كل خبيث يحرمه؛ لأننا عرفنا الآن أن الخبيث يطلق على أوصاف متعددة، لكن المعنى أنه (ﷺ) لا يحرم إلا الخبائث.

فالحاصل أن الله (عز وجل) نهى أن يقصد الإنسان الرديء من ماله فيتصدق به، وحث على أن ينفق مما يحب وما هو خير.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي طلحة زوج أم أنس (رضي الله عنه) وأبو طلحة أكثر الأنصار حقلاً يعني أكثرهم مزارع، وكان له بستان فيه ماء طيب مستقبل المسجد - أي مسجد الرسول (ﷺ) - يعني أن المسجد في قبلة هذا البستان، وكان فيه ماء طيب عذب، يأتيه النبي (ﷺ) ويشرب منه.

فلما نزل قوله تعالى: ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، بادر (رضي الله عنه) وسابق وسارع وجاء النبي (ﷺ) وقال: يا رسول

الله! إن الله تعالى أنزل قوله: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء - وهذا اسم البستان - وإني أضعها: يعني بين يديك صدقة، إلى الله ورسوله: يعني تصرفها إلى الله ورسوله، فقال النبي (ﷺ) متعجبًا: «**بخ بخ**» كلمة تعجب، يعني ما أعظم هذه الهمة، وما أعلاها «**ذاك مال رابح، ذاك مال رابح**».

وصدق الرسول (ﷺ) فهذا المال رابح، فكم من حسنة يربح هذا المال إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؟ صدق النبي (ﷺ): «**ذاك مال رابح، ذاك مال رابح ... أرى أن تجعلها في الأقربين**»، أرى أن تجعلها في الأقربين: أي أقاربك، ففعل (رضي الله عنه) وقسمها في أقاربه وبني عمه.

وسيأتي (إن شاء الله) على بعض ما يستفاد من هذا الحديث، لكن تعجبوا كيف كانت مبادرة الصحابة (رضي الله عنهم) ومسارعتهم إلى الخير، وكان ابن عمر إذا أعجبه شيء في ماله وتعلقت به نفسه تصدق به؛ لأجل أن يربحه ويلقاه فيما أمامه.

لكن ما تتمسك به فهو إما زائل عنك وإما أن تزول منه أنت، ولا بد من أحد الأمرين، إما أن يتلف أو تتلف أنت، لكن الذي تقدمه هو الذي يبقى، نسأل الله أن يعيننا والمسلمين على أنفسنا ويعيذنا من البخل والشح.

والحقيقة أن مالك الحقيقي هو ما تقدمه، وقد ذبح آل بيت النبي (ﷺ) شاة تصدقوا بها إلا كتفها، فقدم النبي (ﷺ) وقال: «**ما بقي منها؟**» قالت عائشة (رضي الله عنها): ما بقي منها إلا كتفها، يعني أنها تصدقت بها كلها إلا كتفها، فقال النبي (ﷺ): «**بقي كلها غير كتفها**»، والمعنى أن الذي أكلتم هو الذي ذهب، وأما ما تصدقتم به فهو الذي بقي لكم.

«رواه الترمذي، وقال: حديث حسن»

فالحاصل أن الصحابة وذوي الهمم العالية هم الذين يعرفون قدر الدنيا وقدر المال، وأن ما قدموه هو الباقي، وما أبقوه هو الفاني، نسأل الله أن يعيذنا من الشح والبخل والجبن والكسل.




قصة
الصدقة

عن أبي هـريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قـال: «**قال رجل: لأتـصدقن بصدقـة، فخرج بصدقـته، فوضعـها في يد سارق، فأصـبحوا يتحـدثون: تصدق الليلة على سارق، فـقال: اللـهم لك الحمد لأتصـدقن بصدقة، فخرج بصـدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحـوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللـهم لك الحمد، على زانية؟، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصـبحوا يتـحدثون: تصـدق على غني، فقال: اللـهم لك الحمـد، على سارق، وعلى غني وعلى زانية، فأتي فقيل له: أمـا صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأمـا الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فـلعله أن يعتبر، فينفق مما أتاه الله**».

«متفق عليه»

الشرح

حديث أبي هريرة فهـو في قصة الرجل الذي خرج ليتصـدق ومعروف أن الصدقة على الـفقراء والمساكين، فوقـعت صدقته في يد سـارق، فأصبح الناس يتحـدثون: تصدق الليلة على سـارق، والسارق ينبغي أن يـعاقب، لا أن يعطى وينمى ماله، فقـال هـذا الرجل المتصدق: الحمد لله، حـمد الله؛ لأن الله تعالى مـحمـود على كل حـال، وكان مـن هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه إذا أصـابه ما يسـره قال: «**الحمد لله تتم بنعمته الصالحات**».

«الحاكم/صحيح الجامع ٤٦٤٠»

وإذا أصابه خلاف ذلك قال: «**الحمد لله على كل حال**».

«سبق تخريجه»

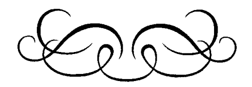
هـذا هدي النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأمـا ما يقوله بعض الناس: الحـمد لله الذي لا يحـمد على مكروه سـواه، فهـذه عبـارة لا ينبـغي أن تقال؛ لأن كلمـة «على

مكروه» تنبئ عن كراهتك لهـٰذا الشيء، وأن هـٰذا فيه نوع من الجزع، ولكن قل كما قال النبي (ﷺ): «**الحمد لله على كل حال**».

والإنسان لا شك في أنه في هـٰذه الدنيا يومًا يأتيه ما يسره ويومًا يأتيه ما لا يسره، فإن الدنيا ليست باقية على حال وليست صافية على كل وجه بل صفوها مشوب بالكدر ـ نسأل الله أن يكتب لنا ولكم بها نصيبًا للآخرة ـ لكن إذا أتاك ما يسرك فقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم لصالحات، وما يسوؤك فقل: الحمد لله على كل حال، ثم إنه خرج هـٰذا الرجل فقال: لأتصدقن الليلة فوقعت صدقته في يد زانية امرأة بغي تمكن الناس من الزنا بها، فأصبح الناس يتحدثون: تصدق الليلة على زانية ـ وهـٰذا شيء لا يقبله العقل ولا الفطرة ـ فقال: الحمد لله، ثم قال: لأتصدقن الليلة، وكأنه رأى أن صدقته الأولى والثانية لم تقبل، فتصدق، فوقعت صدقته في يد غني، والغني ليس من أهل الصدقة بل من أهل الهدية أو الهبة، وما أشبه ذلك، فأصبح الناس يتحدثون: تصدق الليلة على غني، فقال: الحمد لله، على سارق وزانية وغني، وكان يريد أن تقع صدقته في يد فقير متعفف نزيه لكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا، فقيل له: صدقتك قد قبلت؛ لأنه مخلص قد نوى خيرًا لكنه لم يتيسر له، وقد قال النبي (ﷺ) في هـٰذا الشأن: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر**» هـٰذا مجتهد ولم يتيسر له ما يريد فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، وأما السارق فلعله أن يستعف عن السرقة، ربما يقول: هـٰذا مال يكفيني، وأما البغي فلعلها تستعف عن الزنا؛ لأنها ربما كانت تزني ـ والعياذ بالله ـ ابتغاء المال، وقد حصل لها ما يكفيها عن الزنا، وأما الغني، فلعله يعتبر فينفق مما أتاه الله.

هـٰكذا النية الطيبة يحصل بها الثمرات الطيبة، وكل هـٰذا الذي ذكر متوقع وربما يكون، يستعف السارق عن السرقة، والبغي عن الزنا، والغني يعتبر.

ففي هذا الحديث دليل على أن الإنسان إذا نوى الخير وسعى فيه وأخطأ فإنه يكتب له، ولا يضره، ولهذا قال العلماء ـ رحمهم الله ـ: إذا أعطى زكاته من يظنه من أهل الزكاة فتبين أنه ليس من أهلها فإنها تجزئه، مثلاً: رأيت رجلاً عليه ثياب رثة تحسبه فقيرًا فأعطيته الزكاة، ثم تحدث الناس أنه غني عنده أموال كثيرة، فهل تجزئك الزكاة؟ الجواب: نعم، تجزئه الزكاة؛ لأنه قيل لهذا الرجل: أما صدقتك فقد قبلت وكذلك إذا أعطيتها غيره ممن ظننت مستحقًا ولم يكن كذلك فإنها تجزئك. **والله الموفق.**





قصة
معن بن يزيد وأبيه

عن أبي يزيد معن بن يزيد بن الأخنس (ﷺ)، وهو وأبوه وجده صحابة، قال: كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد فجئت فأخذتها فأتيته بها، فقال: والله ما إياك أردت؟ فخاصمته إلى رسول الله (ﷺ) فقال: «**لك ما نويت يا يزيد، ولك ما أخذت يا معن**».

«رواه البخاري»

الشرح

هذا الحديث في قصة معن بن يزيد وأبيه (ﷺ)، أن أباه يزيد أخرج دراهم عند رجل في المسجد ليتصدق بها على الفقراء فجاءه ابنه معن فأخذها، ربما يكون ذلك الرجل الذي وكل فيها لم يعلم أنه ابن يزيد، ويحتمل أنه أعطاه لأنه من المستحقين.

فبلغ ذلك أباه يزيد فقال: ما إياك أردت ، أي: ما أردت أن أتصدق بهذه الدراهم عليك ، فذهب إلى رسول الله (ﷺ) فقال: «**لك يا يزيد ما نويت، ولك يا معن ما أخذت**».

فقوله (ﷺ): «**لك يا يزيد ما نويت**» يدل على أن الأعمال بالنيات، وأن الإنسان إذا نوى الخير حصل له، وإن كان يزيد لم ينو أن يأخذ هذه الدراهم ابنه لكنه أخذها وابنه من المستحقين فصارت له وقال النبي (ﷺ): «**لك يا معن ما أخذت**».

ففي هذا الحديث دليل كما ساقه المؤلف من أجله على أن الأعمال بالنيات وأن الإنسان يكتب له أجر ما نوى وإن وقع الأمر على خلاف ما نوى، وهذه القاعدة لها فروع كثيرة:

منهـــا: ما ذكره العلماء ـ رحمــهم الله ـ أن الرجل لو أعطىٰ زكاته شخصًا يظن أنه من أهل الزكــاة فتــبين أنه غني وليس من أهل الزكــاة فإن زكاتــه تجزئ وتكون مقبولة تبرأ بها ذمــته؛ لأنه نوىٰ أن يعطيها من هو أهل لها، فإذا نوىٰ فله نيته.

ومنهـــــا: إن الإنسان لو وقف شيئًــا، كمثل أن يقف بيتًا صغـيرًا، فقال: وقفت بيتي الفلاني، وأشار إلىٰ الكبيـر ولكنه خلاف ما نوىٰ بقلبه، فإنه علىٰ ما نوىٰ وليس علىٰ ما سبق به لسانه.

ومنها: لو أن الإنسان كان جاهلاً لا يعرف الفرق بين العمرة والحج، فحج مع الناس فقــال: لبيك حجًــا، وهو يريد عمرة يتــمتع بها إلىٰ الحج فــإن له ما نوىٰ، ما دام أن قصده يقيم العمرة لكن قال: لبيك حجًا مع الناس فله ما نوىٰ، ولا يضر سبق لسانه بشيء.

ومنهــا أيضًا: لو قال الإنسان لزوجتــه: أنت طالق وأراد أنت طالق من قيد لا من نكاح فله ما نوىٰ، ولا تطلق بذلك زوجته.

ومن فوائده:

أنه يجوز للإنسان أن يتصدق علىٰ ابنه وهو كذلك، ويعني أنه يجوز.

والدليل علىٰ هــذا: ما في حديث عبــد الله بن مسعود (رضي الله عنه) حينما قال لزوجتــه ـ وقد أرادت أن تتصــدق ـ قال لها: زوجك وولــدك أحق من تصدقت عليه.

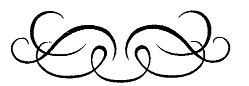
وكان الرسول (ﷺ) قــد أمر بالصدقة وحث عليهــا، فأرادت زينب زوجة عبد الله بن مسعــود أن تتصدق بشيء من مالها فقال لها زوجــها ما قال لأنه كان فــقـــيرًا (رضي الله عنه) فــقالت: لا! حــتىٰ أسأل النـبي (ﷺ) فســألت النبي (ﷺ) فقال: «**صدق عبد الله، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم**».

«رواه البخاري»

ومن فوائد الحديث: أنه يجوز أن يعطي الإنسان ولده من الزكاة بشرط أن لا يكون في ذلك إسقاط الواجب عليه.

يعني مثلاً: لو كان الإنسان عنده زكاة وأراد أن يعطيها ابنه من أجل ألا يطالبه بالنفقة، فهذا لا يجزئ؛ لأنه أراد بالإعطاء أن يسقط واجب نفقته.

أما لو أعطاه ليقضي دينًا عليه مثل أن يكون على الابن حادث ويعطيه أبوه من الزكاة ما يسدد به هذه الغرامة فإن ذلك لا بأس به وتجزئه من الزكاة؛ لأن ولده أقرب الناس إليه وهو الآن لم يقصد بها إسقاط واجب عليه، إنما قصد بذلك إبراء ذمة ولده لا الإنفاق عليه. **والله الموفق.**





قصة
مرض سعد بن أبي وقاص

عن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري (رضي الله عنه)، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة (رضي الله عنهم) قال: جاءني رسول الله (ﷺ) يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يا رسول الله! إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**»، قلت: فالشطر يا رسول الله؟ فقال: «**لا**»، قلت: فالثلث يا رسول الله؟ قال: «**الثلث والثلث كثير - أو كبير - إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**» قال: فقلت: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي؟ قال: «**إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة** - يرثي له رسول الله (ﷺ) - **أن مات بمكة**».

«متفق عليه»

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: فيما نقله عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) جاءه يعوده في مرض ألم به وذلك في مكة، ولكن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فتركوا بلدهم لله (عز وجل)، وكان من عادة النبي (ﷺ) أن يعود المرضى من أصحابه، كما أنه يزور من يزور منهم لأنه (ﷺ) كان أحسن الناس خلقًا على أنه الإمام المتبوع، (ﷺ) كان من أحسن الناس خلقًا وألينهم بأصحابه، وأشدهم تحببًا إليهم.

فجـاءه يعوده فقـال : يا رسول **الله!** إني قد بلغ بـي من الوجع ما ترى ـ أي: أصابه الوجع العظيم الكبير ـ وأنا ذو مال كبير أو كثير ـ أي : أن عنده مالاً كـبيـرًا ـ ولا يرثني إلا ابنة لي ـ أي: ليس له ورثة بالـفرض إلا هــذه البنت ـ أفأتصدق بثلث مالي ـ أي: اثنين من ثلاثة؟!

قال: «**لا**»، قلت: الشطر يا رسول **الله!** ـ أي بالنصف، قال: «**لا**»، قلت: فالثلث، قال: «**الثلث، والثلث كثير**»، قوله: أفأتصدق ـ أي: أعطيه صدقة فمنعه النبي (ﷺ) من ذلك؛ لأن سعـدًا في تلك الحال كان مـريضًا مرضًـا يخشى منه الموت، فلذلك منعه الرسول (ﷺ) أن يتصدق بأكثر من الثلث.

لأن المريض مرض الموت المخوف لا يجوز أن يتصدق بأكثر من الثلث؛ لأن ماله قد يتعلـق به حق الغير وهم الورثة، أما من كان صحـيحًا ليس به مرض أو فيه مرض يسير لا يخـشى منه الموت، فله أن يتصدق بما شاء بالثلث أو بالنصف أو بالثلثين أو بماله كله لا حرج عليه.

لكن لا ينبغي أن يتصدق بمالـه كله إلا إن كان عنده شيء يعرف أنه سوف يستغني به عن عباد الله.

المهم أن الرسول (ﷺ) منعه أن يتصـدق بأكثر من الثلث، وقال: «**الـثلـث والثلث كثير أو كبير**».

وفي هـذا دليل على أنه إذا نقص عن الثلث فهو أحسن وأكمل ولهـذا قال ابن عـباس (رضي الله عنهما): لو أن الناس غضـوا من الثلث إلا الربع؛ لأن النبي (ﷺ) قال: «**الثلث والثلث كبير**».

وقال أبو بكر (رضي الله عنه): أرضى ما رضيه **الله** لنفسه، يعني: الخمس فأوصى بالخمس (رضي الله عنه).

وبهذا نعرف أن عمل الناس اليوم وكونهم يوصون بالثلث خلاف الأولى، وإن كان هو جائزًا، لكن الأفضل أن يكون أدنى من الثلث إما الربع أو الخمس.

قال فقهاؤنا ـ رحمهم الله ـ: والأفضل أن يوصي بالخمس، لا يزيد عليه اقتداءً بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ثم قال الرسول (ﷺ): «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**».

أي كونك تبقي المال ولا تتصدق به حتى إذا مت ورثه الورثة صاروا أغنياء به، هذا خير من أن تذرهم عالة لا تترك لهم شيئًا «**يتكففون الناس**» أي: يسألون الناس بأكفهم اعطونا اعطونا.

وفي هذا دليل على أن الميت إذا خلف مالاً للورثة فإن ذلك خير له.

لا يظن إنسان أنه إذا خلف المال وورث منه قهرًا عليه أنه لا أجر له في ذلك، لا! بل له أجر، حتى إن الرسول (ﷺ) قال: «**خير من أن تذرهم عالة**» إلخ؛ لأنك إذا تركت المال للورثة انتفعوا به وهم أقارب، وإذا تصدقت به انتفع به الأباعد.

والصدقة على القريب أفضل من الصدقة على البعيد؛ لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة.

وقوله: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي، فقال: «**إنك لن تخلف**».

بل قال قبل ذلك: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**» تنفق نفقة أي: مالاً إما من الدراهم أو الدنانير أو الثياب أو الفراش أو الطعام أو غير ذلك تبتغي به وجه الله إلا أجرت عليه.

الشاهد من هذا قوله: «**تبتغي بها وجه الله**» أي: تقصد بها وجه الله (عز وجل)، بدخولك الجنة ورؤيته (سبحانه وتعالى) فيها.

لأن أهل الجنة ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ يرون الله سبحانه وتعالى وينظرون إليه كيانًا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر.

يعني أنهم يرون ذلك حقًا.

فقال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك**» أي: حق اللقمة التي تطعمها امرأتك تؤجر عليها إن قصدت بها وجه الله، مع أن الإنفاق على الزوجة أمر واجب، لو لم تنفق لقالت: أنفق أو طلق، ومع هذا إذا أنفقت على زوجتك تريد به وجه الله آجرك الله على ذلك.

وكذلك إذا أنفقت على أولادك، إذا أنفقت على أمك، إذا أنفقت على أبيك، بل إذا أنفقت على نفسك تبتغي بذلك وجه الله فإن الله يثيبك على هذا.

ثم قال (ﷺ): أخلف بعد أصحابي؟ أي: هل أتأخر بعد أصحابي فأموت بمكة؟ فبين النبي (ﷺ) أنه لن يخلف فقال: «**إنك لن تخلف**» وبين له أنه لو خلف ثم عمل عملاً يبتغي به وجه الله لازداد به عند الله درجة ورفعة.

يعني: لو فرض أنك خلفت ولم تتمكن من الخروج من مكة وعملت عملاً تبتغي به وجه الله فإن الله سبحانه يزيدك به رفعة ودرجة، رفعة في المقام والمرتبة، ودرجة في المكان.

فيرفعك الله في جنات النعيم درجات، حتى لو عملت بمكة وأنت قد هاجرت منها.

ثم قال النبي (ﷺ): «**ولعلك أن تخلف**» أن تخلف هنا غير أن تخلف الأولى:

لعلك أن تخلف: أي: أن تعمر في الدنيا، وهذا هو الذي وقع؛ فإن

سعد ابن أبي وقاص عمر زمانًا طويلاً، حتى أنه (ﷺ) كما ذكر العلماء خلف سبعة عشر ذكرًا واثنتي عشرة بنتًا.

وكان في الأول ما عنده إلا بنتًا واحدة، ولكن بقي وعمر ورزق أولادًا.

وقوله: «**حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون**» وهذا الذي حصل، فإن سعدًا (ﷺ) خلف وصار له أثر كبير في الفتوحات الإسلامية، وفتح فتوحات عظيمة كبيرة فانتفع به أقوام وهم المسلمون وضُرَّ بهم آخرون وهم الكفار.

ثم قال النبي (ﷺ): «**اللهم أمض لأصحابي هجرتهم**» سأل الله أن يمضي لأصحابه هجرتهم وذلك بأمرين:

الأمر الأول: ثباتهم على الإيمان؛ لأنه إذا ثبت الإنسان على الإيمان ثبت على الهجرة.

والأمر الآخر: أن لا يرجع أحدٌ منهم إلى مكة، بعد أن خرج منها مهاجرًا إلى الله ورسوله.

لأنك إذا خرجت من البلد مهاجرًا إلى الله ورسوله فهو كالمال الذي تتصدق به، لا يمكن أن ترجع فيه، وهكذا كل شيء تركه الإنسان لله فلا يرجع فيه.

ومن ذلك ما وفق فيه كثير من الناس من إخراج التليفزيون من بيوتهم توبة إلى الله وابتعادًا عنه وعما فيه من الشرور فهؤلاء قالوا هل يمكن أن نعيده الآن إلى البيت؟

نقول: لا! بعد أن أخرجتموه لله لا تعيدوه؛ لأن الإنسان إذا ترك شيئًا لله وهجر شيئًا لله فلا يعود فيه ولهذا سأل الرسول (ﷺ) ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم.

وقوله: «**ولا تردهم على أعقابهم**» أي: لا تجعلهم ينتكسون عن الإيمان، فيرتدون على أعقابهم؛ لأن الكفر تأخر والإيمان تقدم وهذا عكس ما يقوله الملحدون اليوم حيث يصفون الإسلام بالرجعية، ويقولون: إن التقدمية أن ينسلخ الإنسان من الإسلام وأن يكون علمانيًا لا يفرق بين الإيمان والكفر (والعياذ بالله) ولا بين القوة والطاعة، فالإيمان هو التقدم في الحقيقة.

المتقدمون هم المؤمنون، التقدم يكون بالإيمان، والردة تكون نكوصًا على العقبين، كما قال النبي (ﷺ) هنا: «**ولا تردهم على أعقابهم**».

وفي هذا الحديث فوائد عظيمة كثيرة:

منها: إن من هدي الرسول (ﷺ) عيادة المرضى؛ لأنه عاد سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، وفي عيادة المرضى فوائد للعائد وفوائد للمعود.

أما العائد فإنه حق أخيه المسلم؛ لأن من حق أخيك المسلم أن تعوده إذا مرض.

ومنها: إن الإنسان إذا عاد المريض فإنه لا يزال في مخرفة الجنة يعني يجني ثمار الجنة حتى يعود.

ومنها: إن في ذلك تذكيرًا للعائد بنعمة الله عليه بالصحة؛ لأنه إذا رأى هذا المريض ورأى ما هو فيه من المرض ثم رجع إلى نفسه رأى ما فيها من الصحة والعافية عرف قدر نعمة الله عليه بهذه العافية؛ لأن الشيء إنما يعرف بضده.

ومنها: إن فيها طلبًا للمحبة والمودة فإن الإنسان إذا عاد المريض صارت هذه العيادة في قلب المريض دائمًا على قلبه يتذكرها، وكلما ذكره أحب الذي يعوده وهذا يظهر كثيرًا في ما إذا برأ المريض وحصلت منه ملاقاة لك تجده يشكر لك وتجد أن قلبه ينشرح بهذا الشيء.

أما المعود: فإن له فيها فائدة أيضًا؛ لأنها تؤنسه وتشرح صدره ويزول عنه ما فيه من الهم والغم من المرض وربما يكون العائد موفقًا يذكره بالخير والتوبة والوصية إذا كان يريد أن يوصي بشيء عليه من الديون وغيرها فيكون في ذلك فائدة للمعود.

ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن عاد المريض أن ينفس له في أجله: أي يفرحه، لا يقول: ما شاء الله أنت اليوم أشد مرضًا من أمس، لكن يقول: أنت اليوم في خير؛ لأن المؤمن كل أمره خير، إن أصابه ضراء فهو في خير، وإن أصابه سراء فهو في خير.

والأجل محتوم إن كان هذا المرض أجله الموت، وإن بقي له شيء من الدنيا بقي.

وينبغي أيضًا أن يذكره التوبة، لكن لا يقول له ذلك بصفة مباشرة؛ لأنه ربما ينزعج، ويقول في نفسه لو أن مرضي غير خطير ما ذكرني بالتوبة.

لكن يبدأ بذكر الآيات والأحاديث التي فيها الثناء على التائبين ما يتذكر به المريض، وينبغي كذلك أن يذكره الوصية لا يقول له أوص فإن أجلك قريب لو قال هكذا انزعج، بل - مثلاً - يذكره بقصص واردة عليه.

قال أهل العلم: وينبغي أيضًا إذا رأى منه تشوقًا إلى أن يقرأ عليه فليقرأ عليه، ينفث عليه بما ورد عن النبي (ﷺ).

مثل قوله: «**اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا**».

«أحمد والبخاري»

ومثل قوله: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض أنت رب الطيبين**

اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنزل رحمة من رحـمتك، وشفاء من شفائك على هـذا الوجع فيبرأ».

«أبو داود وفيه ضعف»

أو يقرأ عليه بسـورة الفاتحة؛ لأن الفاتحة رقيـة يقرأ بها على المرضى وعلى الذين لدغتهم العقرب أو الحية أو ما شابه ذلك.

المهم أنه إذا رأى من المريض أنه يحب أن يقرأ عليه فليقرأ عليه، لئلا يلجئه إلى طلب القـراءة؛ لأن النبي (ﷺ) قال: «**رأيت مع أمتـي سبعين ألفًـا يدخلون الجنة بغيـر حسـاب ولا عذاب**»، **وقال:**«**هم الذين لا يسـترقـون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**».

«متفق عليه»

فقوله: «**لا يسترقون**» أي: لا يطلبون أحدًا يقرأ عليهم.

كذلك أيضًا إذا رأيت المريض يحب أن تطيل المقام عنده فأطل المقام، فأنت على خير وعلى أجر.

أطل المقام عنده وأدخل عليه السـرور، وربما يكون في دخول السرور على قلبه سببًا لشفائه؛ لأن سرور المريض وانشـراح صدره من أكبر أسبـاب الشفاء، فأطل الجلوس عنده حتى تعرف أنه مل.

أما إذا رأيت المريض متـكلف ولا يحب أن تبقى، أو يحب أن تذهب عنه لكي يبقى مع أهله ويأنس بهم فلا تتأخر، اسأل عن حاله ثم انصرف.

ففي حديث سعد بن أبي وقاص مشروعية عيادة المريض.

ومن فوائده: حسـن خلق النبي (ﷺ) ولا شك النبي (ﷺ) أحسن الناس خلقًـا؛ لأن الله تعـالى قـال: ﴿**نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ**

بمَجْنُون ۞ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُون ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم﴾ [القلم: ١-٤].

فأعظم الناس خلقًا وأحسن الناس خلقًا رسول الله (ﷺ).

ولهذا كان يعود الصحابة ويزورهم ويسلم عليهم حتى إنه يمر بالصبيان الصغار فيسلم عليهم (ﷺ).

ومنها: إنه ينبغي للإنسان مشاورة أهل العلم؛ لأن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) استشار النبي (ﷺ) حينما أراد أن يتصرف بشيء من ماله، فقال: يا رسول الله! إني ذو مال كثير ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» ... الحديث.

ففيه استشارة أهل الرأي والعلم، وكل إنسان بحسبه، فمثلاً: إذا كنت تريد أن تقدم على شيء من أمور الدين فشاور أهل العلم؛ لأنهم أعلم بأمور الدين من غيرهم، وإذا أردت أن تشتري بيتًا فشاور أصحاب المكاتب العقارية، وإذا أردت أن تشتري سيارة فاستشر المهندسين في ميكانيكية السيارات، ... وهكذا.

ولهذا يقال: ما خاب من استخار وما ندم من استشار.

والإنسان بلا شك لا ينبغي له أن يكمل نفسه، من ادعى الكمال لنفسه فهو ناقص، بل لا بد أن يراجع خصوصًا في الأمور الهامة التي تتعلق بمسائل الأمة فإن الإنسان قد يحمله الحماس والعاطفة على فعل شيء هو في نفسه حق ولا بأس به، لكن التحدث عنه قد يكون غير طيب إما في الزمان أو في المكان أو في الحال.

ولهذا ترك النبي (ﷺ) بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفًا من الفتنة فقال لعائشة (رضي الله عنها): **«لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم ولجعلت لها بابين، بابًا يدخل منه الناس وبابًا يخرجون منه»**.

«أحمد ومسلم»

من أجل أن يتمكن الناس من دخـول بيت الله (عز وجل)، لكن ترك ذلك خوفًا من الفتنة مع كونه مصلحة.

بل أعظم من ذلك أن الله نهى أن نسب آلهة المشـركين مع أن آلهة المشركين جديرة بأن تـسب وتعاب وينفـر منها، لكن لما كـان سبهـا يؤدي إلى سب الرب العظيم المنزه عن كل عـيب ونقص، قال الله (عـز وجل): ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فـالمهم أنه ينبغي أن نعلم أن الشيء قد يكون حـسنًا في حد ذاته وفي موضوعـه لكن لا يكون حسنًا ولا يكون من الحكمة ولا من العقل ولا مـن النصح ولا من الأمانة أن يذكر في وقت من الأوقات أو في مكان من الأماكن أو في حال من الأحوال وإن كان هو في نفسه حقًا وصدقًا وحقيقـة واقعة ومن ثم كان ينبغي للإنسان أن يستشير ذوي العلم والرأي والنصح في الأمر قبل أن يقـدم عليه، حتى يكون لديه برهان؛ لأن الله قال لأشرف خلقه (ﷺ) وأسدهم رأيًا وأبلغـهم نصحًا محمد (ﷺ) قـال: ﴿ **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذا وهو رسـول الله (ﷺ) أسد الناس رأيًا وأرجـحهم عـقلاً، وأبلغـهم نصحًا.

الإنسـان ربما تأخذه الـعاطفـة فـيندفع ويقول: هذا لله هـذا أنا سأفـعله، سأصدع بالحق سـأقول سوف لا تأخذني في الله لومة لائم. ومـا أشبه ذلك من الكلام ثم تكون العاقـبة وخيـمة، ثم إن الغالب أن الذي يحكم العـاطفة فيـتبع العـاطفة ولا ينظر إلـى العواقب ولا النتـائج ولا يقـارن بين الأمور الغـالب أنه يحصل على يديه من المفاسـد ما لا يعلمه إلا الله (عز وجل) مع أن نيتـه طيبة وقصده حسن لكن لم يحسن أن يتصـرف، إن هناك فرقًا بين حسن النية وحسن

التصــرف، قد يكون الإنسان حــسن النية لكنه سيء التصــرف، وقد يكون سيء النية والغالب أن سيء النية سيء التصــرف، لكن مع ذلك يحسن التصرف لينال غرضه السيء.

فالإنسان يحمد على حسن نيته لكن قد لا يحمد على سوء فعله إلا أنه إذا علم منه أنه معروف بالنصح والإرشـاد فإنه يعذر بسوء تصرفـه ويلتمس له العذر ولا ينبغي أيضًـا أن يتخذ من فعله هذا الـرأي ما لم يكن موفقًـا للحكمة بل لا يجوز أن يتـخذ منه قدح في هذا المتصـرف وأن يحمل ما لا يتحـمله لكن يعذر ويبين له النصـح ويرشـد ويقـال: يا أخي هذا كـلامك أو فـعلك حـسن طيب وصواب من نفسه لكنه غير صواب في محله أو في زمانه.

المهم! إن في حديث سـعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) إشاركـة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستشير من هو أكمل منه رأيًا وأكثر منه علمًا.

وفـيـه من الفـوائد: إنه ينبغي للمسـتشير أن يذكر الأمـر على ما هو عليه حقـيقـة لا يلوذ يمينًا ولا شمـالاً بل يذكر الأمـر على ما هو علـيه حتى يـتبين للمستشـار حقيقة الأمر ويبني عليـه مشورته على هذه الحقيقة ولهـذا قال سعد: «إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة».

فقوله: «إني ذو مال» بيان لسـبب العطية التي يريد أن يعطيها، «ولا يرثني إلا ابنة» بيان لانتفاء المانع، يعني لا مانع من أن أوصي كثيرًا لانتفاء الثروات.

والمستـشار عليـه أن يتقي الله (عز وجل) فـيمـا أشار فيـه، وأن لا تأخذه العاطفة في مراعاة المستشير لأن بعض الناس إذا استشاره الشخص ورأى أنه يميل إلى أحد الأمرين أو الرأيين ذهب يشير عليه به.

ويقـول: أنا أحب أن يرى مـا يرضيـه أنه يناسـبـه. وهذا خطأ عظيم بل خيانة، الواجب إذا اسـتشارك أن تقول له ما تـرى أنه حق وأنه نافع سواء أرضاه

أو لم يرضه، وأنت إذا فعلت هذا كنت ناصحًا وأديت ما عليك ثم إن أخذ به، ورأى أنه صواب فذاك، وإن لم يأخذ به فقد برأت ذمتك.

مع أنك ربما تستنتج شيئًا خطأ، قد تستنتج أنه يريد كذا وهو لا يريده فتكون خسرانًا من وجهتين:

من جهة الفهم السيء ومن جهة القصد السيء.

وفي قول الرسول (ﷺ): «**لا**» دليل على أنه لا حرج أن يستعمل الإنسان كلمة «لا» وليس فيها شيء، فالنبي (ﷺ) استعمل كلمة «لا» وأصحابه (رضي الله عنهم) استعملوا كلمة «لا».

فجابر (رضي الله عنه) لما أعيا جمله، ولحقه النبي (ﷺ) كيف لحقه وهو هزيل هل الجمل قدام الناس؟ لا! لأن من عادة الرسول (ﷺ) لأنه راعي أمته أن يمشي في الآخر لا يمشي قدامهم بل يمشي وراءهم لأجل أنه إذا احتاج أحد إلى شيء ليساعد (ﷺ)، انظر إلى التواضع وحسن الرعاية.

لحق جابرًا وكان جمله قد أعيا لا يمشي فضربه النبي (ﷺ) ودعا له وقال: «**بعنيه بؤقية**» قال جابر: «لا» قال: لا للرسول (ﷺ) ولم ينكر عليه الرسول (ﷺ).

فلا مانع من كلمة «لا» ليست سوء أدب وخلق، كثير من الناس الآن يأنف أن يقول «لا» سلمتك، هذا طيب أن تدعو له بالسلامة، لكن إذا قلت «لا» فلا عيب عليك.

ومن فوائد الحديث: إنه لا يجوز للمريض مرضًا معوقا أن يعطي أكثر من الثلث إلا إذا أجازه الورثة لأن الورثة تعلق حقهم بالمال لما مرض الرجل لقول النبي (ﷺ): «**الثلث والثلث كثير**».

وفيه دليل على أنه ينبغي أن يكون عطاؤه أقل من الثلث كما قال ابن

عبـاس (رضي الله عنهما): «لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع لأن النبي (ﷺ) قال: «**الثلث والثلث كثير**».

ومنهـــا: أنه لا يجوز للإنســان إذا كان مريضًا مرضًـا يخشى منه الموت أن يتبرع بأكـثر من الثلث من ماله، لا صدقـة ولا مشاركة في بناء مسـجد ولا هبة ولا غير ذلك لا يزيد على الثلث لأن النبي (ﷺ) منع سعدًا من أن يتصدق بأكثر من الثلث.

والوصيـة كالعطية فلا يجـوز للإنسان أن يوصي بشيء من ماله بعـد موته زائدًا على الثلث.

والأفضل في الوصية أن تكون بالخمس لأثر أبي بكر المتقدم آنفًا.

ومنهـــا: إذا كان مال الإنسان قليلاً وكان ورثـته فقراء فالأفضل ألا يوصي بشيء لا قليل ولا كثـير لقوله (ﷺ): «**إنك إن تذر ورثتك أغنيـاء خيـر من أن تذرهم عــالة**» خلافًـا لما يظنه البعض العوام أنه لابد من الوصـية. هذا خطأ، الإنسان الذي مالـه قليل وورثته فقراء ليس عندهم مـال لا ينبغي له أن يوصي، الأفضل أن لا يوصي.

ويظن بعض العامة أنه إذا لم يوص فإنه لا أجر له وليس كذلك بل إذا ترك المال لورثتـه فهـو مـأجور في هذا وإن كـان الورثة يرثونه قـهرًا، لكن إذا كـان مسـترشدًا بهـدي النبي (ﷺ) لقوله: «**إنك إن تذر ورثتك أغنيـاء خـيـر من أن تذرهم عالة**» فإن أجره بذلك أفضل من أن يتصدق عنه بشيء من ماله.

ومنها: خوف الصحابة المهاجرين من مكة أن يموتوا فيها، لأن سعد (رضي الله عنه) قال: «أخلف بعد أصـحابي؟» وهذه الجملة استفهـامية والمعنى «أأخلف؟» وهذا الاستـفهام توقـعي مفروض يعني أنه لا يحب أن يتـخلف فيمـوت في مكة وقد خرج منها مهاجرًا إلى الله ورسوله.

ومنهـــا: ظهور معجـزة لرسول الله (ﷺ) وهو أن الرسول (ﷺ) قال له: «**إنك لن تخلف وسوف تخلف حتى يضر بك أقوام وأن ينتفع بك آخرون**» فإن الأمر كما توقعه النبي (ﷺ) فإن سعدًا عمِّر إلى خلافة معاوية.

وهذه من آيات النبي (ﷺ) أن يخبر عن أمـر مسقبل فيقع كـما أخبر به، ولكن هذا ليس خـبرًا مـحضًا ولـك توقع لقوله: «لعلك أن تخلف» فلـم يجزم ولكن كان الأمر كما توقعه النبي (ﷺ).

ومنهـــا: أنه ما من إنسان يعمل عمـلاً يبتغي به وجه الله إلا ازداد به رفعة ودرجة حتى و إن كـان في مكان لا يحل له البقاء فيه، لأن العـمل شيء والبقاء شيء آخر.

ولهـذا كان القـول الراجح أن أقـوال أهل العلم أن الإنسـان إذا صلى في أرض مغـصوبة فإن صـلاته صحـيحة لأن النهي ليس عن الصـلاة بل النهي عن الغصب .

فالنـهي منصب على شيء غيـر الصلاة فـتكون صلاته صـحيحـة في هذا المكان المغصــوب لكنه آثم ببقائه في هـذا المكان المغـصوب، نعم! ورد عن النبي (ﷺ) أنه قـــال: «**لا تصل في أرض مـغصـوبة**» لقلـنا إذا صليـت في الأرض المغصوبـة فصلاتك باطلة كمـا نقول إنك إن صليت في المقبرة فـصلاتك باطلة؛ لأن الرسول (ﷺ) قال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**».

«أحمد وأبو داود ـ صحيح الجامع: (٢٧٦٧)»

هذا غير صلاة الجنازة لأنها تجوز حتى في المقبرة.

ومنهـــا: إن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي وجـه الله فإنه يثاب عليها، حتى النفقات على أهله، وعـلى زوجته بل وعلى نفسه، إذا ابتـغى بها وجه الله أثابه عليها الله.

وفيه: إشارة إلى أنه ينبغي أن يستحضر نية التقرب إلى الله في كل ما ينفق حتى يكون له في ذلك أجر.

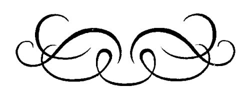
وقوله: «**اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم**» سأل النبي (ﷺ) ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم وذلك بثباتهم على الإيمان وبقائهم في الأوطان التي هاجروا إليها من مكة، ولهذا قال: «**ولا تردهم على أعقابهم**» الرد على العقب يعني الكفر بعد الإسلام والعياذ بالله.

كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله: «لكن البائس سعد بن خولة» يقول النبي (ﷺ).

سعد بن خولة (رضي الله عنه) من المهاجرين الذين هاجروا من مكة، ولكن الله قدر أن يموت فيها فمات فيها فرثى له النبي (ﷺ) أي: توجع له أنه مات بمكة وقد كانوا يكرهون المهاجر أن يموت في الأرض التي هاجر منها.

هذا ما تيسر من الكلام على هذا الحديث والمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ذكره في باب النية لأن النبي (ﷺ) قال لسعد: «**إنك لن تعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**» وقال له: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**» فأشار في هذا الحديث إلى الإخلاص في كون الإنسان يبتغي بعمله وبإنفاق ماله وجه الله حتى ينال على ذلك الأجر وزيادة الدرجات والرفعة عند الله (عز وجل) والله الموفق.





قصة
العقار

عن أبي هـريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قـال: «اشـترىٰ رجل من رجل عقارًا، فوجد الذي اشترىٰ العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترىٰ العقـار: خذ ذهبك إنما اشتـريت منك الأرض، ولم أشتـر الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكـما إلىٰ رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحـدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قـال: أنكحا الغلام والجارية، وأنفقا علىٰ أنفسهما منه وتصدقا».

«متفق عليه»

الشرح:

حـديث أبي هريرة (رضي الله عنه) وهذا ليس من أشراط السـاعة لكن من المُلح: إن رجلاً اشترىٰ من رجل أرضًـا فوجد فيها جرة مـن ذهب فذهب المشتري إلىٰ البائع وقال: خذ هذا فـإنما اشتريت منك أرضًا ولم أشتر الذهـب، فقال البائع: أنا بعت الأرض وما فـيهـا، هـذا يدل علىٰ ورعهـما، فكل واحـد ورع يقول: ليس لي هذا المال، فتـحاكما إلىٰ رجـل ثالث فقال لأحدهمـا: ألك ابن؟ قال: نعم! وقال للثاني: ألك جـارية؟ قال: نعم! فقال: زوجا الابن بالجـارية واجعلا من الذهب المهر والنفقة، ففعلا.

ففي هذا دليل: علىٰ أنه يوجد من الناس من هو ورع إلىٰ هذا الحد.

أما حكم هذه المسألة فقال العلماء (رحمهم الله): إن الإنسان إذا باع أرضًا علىٰ شخص ووجد فيها شيئًا مـدفونًا فيها من الذهب أو غيره فإنه لا يملكه بملك الأرض، ولكنه للبائـع، وإذا كان البائع اشـتراها من آخر فـهو للأول، لأن هذا المدفون ليس من الأرض بخلاف المعادن: لو اشترىٰ أرضًـا ووجد فيها معدن من ذهب أو فضة أو حديد أو غيره فإنه يتبع الأرض.



قصة
الخمرة

عن ابن مسـعود (رضي الله عنه) قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في سـفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخـذنا فرخيها، فجاءت الحمرة تعرش فجاء النبي(ﷺ) فقال: «**من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها** » ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «**من حـرق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبـغي أن يعذب بالنار إلا رب النار**».

«رواه أبو داود بإسنادصحيح ـ المشكاة ـ (٣٥٤٢)»

قوله: «قرية نمل» معناه: موضع النمل مع النمل.

الشرح:

الحديث الذي رواه أبو داود أن النبي (ﷺ) مـضى لحاجته فوجـد الصحابة حمرة (نوع من الـطيور) معها ولداها، فـأخذوا ولديها، فجـعلت تعرش، يعني تحوم حـولهم، كـما هو العـادة أن الطائر إذا أخذ أولاده جـعل يعرش ويحـوم ويصيح لفقد أولاده، لأن الله (سـبحانه وتعالى) جعل في قلوب البـهائم رحمة لأولادها، حتى أن البهيمة لترفع حافـرها عن ولدها خشية أن تصيبه، وهذا من حكمة الله (عز وجل) فـأمر النبي (ﷺ) أن يُطْلَق ولداها لها، فأطـلقوا ولديها، ثم مر بقرية نمل قد احترقت فقال: «**من أحرق هذا ؟**» قالوا: نحن يا رسول الله! «قرية النمل»: يعني مجتمع النمل، جحورها، أحرقوها بالنار فقال النبي (ﷺ): «**إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار**».

«مسلم»

فنهى عن ذلك، وعلى هذا إذا كـان عندك نمل فإنك لا تحرقـها بالنار وإنما تضع شيـئًا يطردها مـثل الجاز إذا صـفيتـه على الجحـر فإنها تـنفر بإذن الله ولا

ترجع، وإذا لم يمكن إتقاء شرها إلا بمبيد يقـتلها نهائيًا ـ أعني النمل ـ فلا بأس، لأن هذا دفع لأذاها، وإلا فـالنمل مما نهى النبي (ﷺ) عن قـتله، لكن إذا أذاك ولم يندفع إلا بالقتل فلا بأس بقتله.





قصة
رجل دخل الجنة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**» قالوا: إن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «**في كل كبد رطبة أجر**».

«متفق عليه»

وفي رواية للبخاري: «**فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة**».

وفي رواية لهما: «**بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به**».

«الموق» : الخف، و«يطيف» : يدور حول. «ركية» وهي البئر.

الشرح:

روى أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه بينما رجل يمشي في الطريق مسافرًا، أصابه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها، وانتهى عطشه، فلما خرج وإذا هو بكلب يأكل الثرى من العطش، فنزل يأكل الطين المبتل الرطب، يأكله من العطش، من أجل أن يمص ما فيه من الماء من شدة عطشه، فقال الرجل: والله لقد أصاب هذا الكلب من العطش ما أصابني، أو بلغ بهذا الكلب ما بلغ بي، ثم نزل البئر وملأ خفه ماء.

الخف: ما يلبس على الرجل من جلود ونحوها.

فملأه ماء فأمسكه بفيه وجعل يصعد بيده حتى صعد من البئر. فسقى

الكلب فلما سقى الكلب شكر الله له ذلك العمل وغفر له وأدخله الجنة بسببه.

وهذا مصداق قول رسول الله (ﷺ): «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**»

«البخاري»

عمل يسير شكر الله به عامل هذا العمل وغفر له الذنوب وأدخله الجنة.

ولما حدث (ﷺ) الصحابة بهذا الحديث، وكانوا (ﷺ) أشد حرصًا على العلم لا من أجل أن يعلموا فقط ولكن من أجل أن يعلموا فعملوا، سألوا النبي (ﷺ) قالوا: يا رسول الله! إن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**».

«متفق عليه»

لأن هذا الكلب من البهائم، فكيف يكون لهذا الرجل الذي سقاه هذا الأجر العظيم؟ فاستغربوا ذلك ولهذا سألوا النبي (ﷺ) فقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**». الكبد الرطبة تحتاج إلى الماء لأنه لولا الماء ليبست وهلك الحيوان.

إذًا نأخذ من هذا قاعدة: وهي أن الرسول (ﷺ) إذا قص علينا قصة من بني إسرائيل فذلك من أجل أن نعتبر بها وأن نأخذ منها عظة وعبرة. وهذا كما قال الله (عز وجل): ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١].

وفي رواية أخرى، ولعلها قصة أخرى، أن امرأة بغيًا من بغايا بني إسرائيل بغيًا من البغايا: يعني أنها تمارس الزنى ـ والعياذ بالله ـ رأت كلبًا يطوف بركية، يعني يدور عليها عطشان، لكن لا يمكن أن يصل إلى الماء لأن الركية هي بئر فنزعت موقها يعني الخف الذي تلبسه واستقت له به من هذا البئر فغفر الله لها.

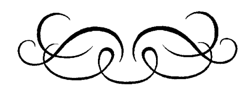
فدل هذا على أن البهائم فيها أجر، كل بهيمة أحسنت لها بسقي أو إطعام أو وقاية من حر، أو وقاية من برد، سواء كان لك أو لغيرك من بني آدم أو كانت من البهائم، فإن لك في ذلك أجرًا عند الله (عز وجل)، هذا وهن بهائم فكيف بالآدميين؟ إذا أحسنت إلى الآدميين كان أشد وأكثر أجرًا، ولهذا قال النبي (ﷺ): **«من سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم»**.

«رواه الترمذي وأحمد وضعفه الألباني في ضعيف الجامع»

يعني لو كان لك ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك: اسقني ماء وسقيته وهو ظمآن، فقد سقيت مسلمًا على ظمأ، فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم، أجر كثير ولله الحمد، غنائم، ولكن أين القابل لهذه الغنائم؟

أين الذي يخلص النية ويحتسب الأجر على الله (عز وجل).

فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تدخر لك عند الله ذخرًا يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيرًا، وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيرًا!





قصة
المرأة وابنتيها

عن عائشة (﵂) قالت: دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي (ﷺ) علينا فأخبرته فقال: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» .

«متفق عليه»

الشرح:

ذكر المؤلف (رحمه الله تعالى) عن عائشة (﵂) قصة عجيبة غريبة، قالت: «دخلت امرأة عليَّ ومعها ابنتان لها تسأل»، وذلك لأنها فقيرة، قلت: «فلم تجد عندي شيئًا إلا تمرة واحدة»، بيت من بيوت النبي (ﷺ) لا يوجد فيه إلا تمرة واحدة!، قالت: «فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها»، نصفين، وأعطت واحدة نصف التمرة، وأعطت الأخرى نصف التمرة الأخرى، «ولم تأكل منه شيئًا» .

فدخل النبي (ﷺ) على عائشة فأخبرته بتلك القصة العجيبة الغريبة، فقال النبي (ﷺ): «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**»، وقوله (ﷺ): «**من ابتلي**»، ليس المراد منه هنا هو بلوى الشر، لكن المراد: من قدر له، كما قال الله تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٥].

يعني من قدر له ابنتان فأحسن إليهن كن له سترًا من النار يوم القيامة، يعني أن الله تعالى يحجبه عن النار بإحسانه إلى البنات، لأن البنت ضعيفة لا تستطيع التكسب، والذي يكسب هو الرجل، قال الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤].

فالذي ينفق على العائلة ويكتسب هو الرجل، أما المرأة فإنما شأنها في البيت، تقيمه وتصلحه لزوجها وتؤدب أولادها، وليست المرأة للوظائف والتكسب إلا عند الغرب الكفرة، ومن كان على شاكلتهم، فمن اغتر بهم فقلدهم وجعل المرأة مثل الرجل في الاكتساب وفي التجارة، وفي المكاتب، حتى صار يختلطون بعضهم ببعض، وكلما كانت المرأة أجمل كانت أحظى بالوظيفة الراقية عند الغرب ومن شاكلهم ومن شابههم.

ونحن - ولله الحمد - (في بلادنا هذه) نسأل الله أن يديم علينا هذه النعمة - قد منعت الحكومة حسب ما قرأنا من كتاباتها أن يتوظف النساء، لا في القطاع العام ولا في القطاع الخاص، إلا فيما يتعلق بالنساء، مثل مدارس البنات وشبهها، لكن نسأل الله الثبات وأن يزيدها من فضله - وأن يمنعها مما عليه الأمم اليوم من هذا الاختلاط الضار.

ومما ورد في هذا الحديث من العبر:

أولاً: بيت من بيوت رسول الله (ﷺ) ومن أشرف بيوته، فيه أحب نسائه إليه، لا يوجد به إلا تمرة واحدة، ونحن الآن في بلدنا هذا يقدم للإنسان عند الأكل خمسة أصناف شتى، فلماذا فتحت علينا الدنيا وأغلقت عليهم؟! ألكوننا أحب إلى الله منهم؟! لا والله، هم أحب إلى الله منا، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء، ونحن ابتلينا بهذه النعم، فصارت هذه النعم عند كثير من الناس اليوم سببًا للشر والفساد والأشر والبطر، حتى فسقوا - والعياذ بالله - ويخشى علينا من عقوبة الله (عز وجل) بسبب أن كثيرًا منا بطروا هذه النعم وكفروها، وجعلوها عونًا على معاصي الله (سبحانه وتعالى)، نسأل الله السلامة.

ثانيًا: وفيه أيضًا ما كان عليه الصحابة (ﷺ) من الإيثار، فإن عائشة ليس عندها إلا تمرة، ومع ذلك آثرت بها هذه المسكينة، ونحن الآن عندنا أموال كثيرة

ويأتي السائل ونرده.

ولكن المشكلة في الحقيقة في رد المسائل أن كثيرًا من السائلين كاذبون، يسأل وهو أغنى من المسئول، وكم من إنسان سأل ويسأل الناس ويحلف في المسألة، فإذا مات وجدت عنده دراهم الفضة والذهب الأحمر والأوراق الكثيرة من النقود، وهذا هو الذي يجعل الإنسان لا يشجع على إعطاء كل سائل، من أجل الكذب والخداع، حيث يظهرون بمظهر العجزة والمعتوهين والفقراء وهم كاذبون.

ثالثًا: وفي الحديث أيضًا من العبر أن الصحابة (ﷺ) يوجد فيهم الفقير كما يوجد فيهم الغني، قال الله تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾ [الزخرف: ٣٢]. ولولا هذا التفاوت ما اتخذ بعضنا بعضًا سخريا، ولو كنا على حد سواء، واحتاج الإنسان منا ـ مثلاً ـ لعمل ما كالبناء، فجاء إلى الآخر فقال: أريدك أن تبني لي بيتًا، فقال: ما أبني، أنا مثلك، أنا غني، فإذا أردنا أن نصنع بابًا، فقال الآخر: ما أصنع، أنا غني مثلك. فهذا التفاوت جعل الناس يخدم بعضهم بعضا.

الناس للناس من بدو وحاضرة .·. بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

حتى التاجر الغني صاحب المليارات يخدم الفقير، كيف؟! يورد الأطعمة والأشربة والأكسية ومواد البناء وغيرها، يجلبها للفقير فينتفع بها، فكل الناس يحتاج بعضهم لبعض، ويخدم بعضهم بعضًا، ذلك حكمة من الله (عز وجل).

رابعًا: وفي هذا الحديث أيضًا دليل على فضل من أحسن إلى البنات بالمال والكسوة، وطيب الخاطر، ومراعاة أنفسهن، لأنهن عاجزات قاصرات.

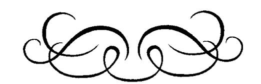
خامسًا: وفيه ما أشرنا إليه، أولاً من أن الذي يكلف بالنفقة وينفق هم

الرجال، أما النساء فللبيوت ولمصالح البيوت، وكذلك للمصالح التي لا يقوم بها إلا النساء كمدارس البنات.

أما أن تجعلن موظفات مع الرجال في مكتب واحد، أو سكرتيرات كما يوجد في كثير من بلاد المسلمين، فإن هذا لا شك خطر عظيم، وشر عظيم، وقال النبي (ﷺ): «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها**».

«مسلم»

وذلك لأن أولها قريب من الرجال فصار شرًا وآخرها بعيد عن الرجال فصار خيرًا، فانظر كيف ندب للمرأة أن تتأخر وتبتعد عن الأمام، كل ذلك من أجل البعد عن الرجال، ونسأل الله أن يحمينا وإخواننا المسلمين من أسباب سخطه وعقابه.





قصة
ضيف رسول الله (ﷺ)

عـن أبي هـريـرة (رضي الله عنه) قـال: جاء رجل إلى النـبي (ﷺ) فقـال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى الأخرى، فقالت مـثل ذلك. حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عنـدي إلا الماء، فقال النبي (ﷺ): «**من يضـيف هـذا الليلة ؟**» فقال رجل من الأنصـار: أنا يا رسول **الله**، فانطلق به إلى رحله، فـقال لامرأته أكرمي ضيف رسول **الله** (ﷺ).

وفي رواية قال لامرأتـه: هل عندك شيء؟ فقالت: لا، إلا قوت صـبياني قال: فعـلليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء، فنومـيهم، وإذا دخل ضيفنا، فـأطفئي السراج وأريه أننا نأكل، فـقعدوا وأكل الضـيف وباتا طاويين فلما أصـبح، غدا على النبي (ﷺ) فقال: «**لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**».

«متفق عليه»

الشرح:

ذكـر المؤلف (رحمـه **الله** تعـالى) في باب الإيثـار والمواساة هذا الحـديث العظيم العجـيب، الذي يبين حال رسـول **الله** (ﷺ) وأصحابه حـيث جاء رجل فقال: «يا رسول **الله** (ﷺ)! إني مـجهود» يعني مجهد من الـفقر والجوع، وهو ضـيف على رسـول الله (ﷺ)، فـأرسل النبي (ﷺ) إلى زوجـاته واحـدة تلو الأخـرى يسألهـا هل عندها شيء، فكانت كل واحـدة تقول: «لا والذي بعـثك بالحق ما عندي إلا الماء».

تسعة أبيات للرسول (ﷺ) ليس فـيها إلا الماء، مع أن النبي (ﷺ) لو شاء أن يسيـر **الله** الجبال معـه ذهبًا لسارت، لكنه (ﷺ) كـان أزهد الناس في الدنيا، كل بيوته التسعة ليس فيها شيء إلا الماء.

فقال النبي (ﷺ): «**من يضيف هذا الليلة**» يعني هذا الضيف.

فقال رجل من الأنـصار: «أنا يا رسول الله»، أنا أضيفـه، «فذهب الرجل إلى رحله وقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا طعـام صبياني»، يعني ليس عندها في البـيت إلا العشاء لهم تلك الليلة فـقط، فقال: «أكـرمي ضيف رسـول الله (ﷺ)» وأمرها أن تشـغل أولادها أو تلهـيـهم، حتى إذا جـاء وقت الطعام نومـتهم، وأطفأت المصـباح، وأرت الضيف أنـهم يأكلون معه فـفعلت، هدأت الصبيان وعللتهم ونومتهم.

فناموا على غير عشاء، ثم إن العشاء لما قدم أطفأت المصباح وأرت الضيف أنها تأكل هي وزوجهـا، وهما لا يأكلان، فشـبع الضيف، وباتا طاويين، يعني غير متعشيين إكرامًا لضيف رسول الله (ﷺ).

ثم إنه أصبح فغدا إلى رسول الله (ﷺ) فـأخبره الرسول (ﷺ) أن الله قد عجب من صنيعهما تلك الليلة، والعجب هنا عـجب استحسان، استحسن (عز وجل) صنيعهما تلك الليلة.

ففي هذا الحديث من الفوائد ما يلي:

أولاً: بيان حـال رسول الله (ﷺ) ومـا كان عليه من شظف الـعيش وقلة ذات اليد، مع أنه (ﷺ) أكرم الخلق على الله، ولو كـانت الدنيا عند الله تساوي شيئًا، لكان أبر الناس بها وأحقهم رسول الله (ﷺ)، ولكنها لا تساوي شيئًا.

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

لو سـاوت الدنيـا جـناح بعـوضـة   لم يسـق منهـا الرب ذا الكفـران
لكـنهـــا والله أحـــقـــر عـنده   من ذا الجناح الـقـاصـر الطيـران

أحقر من جناح البعوضة عند الله، فليست بشيء.

ثانيًا: حسن آداب الصحابة مـع الرسول (ﷺ) فإن هذا الأنصاري (رضي الله عنه)

قال لزوجته: «أكرمي ضيف رسول الله (ﷺ)» فلم يقل أكرمي ضيفنا مع أن الذي أضافه في الحقيقة هو هذا الرجل لكنه أضافه نيابة عن الرسول (ﷺ) فجعله ضيفًا لرسول الله (ﷺ).

ثالثًا: إنه يجوز عرض الضيافة على الناس، ولا يعد هذا من المسألة المذمومة، أولاً لأنه لم يعين، فلم يقل: يا فلان! ضيف هذا الرجل حتى نقول: إنه أحرجه. وإنما هو على سبيل العموم، فيجوز للإنسان ـ مثلا ـ إذا نزل به ضيف وكان مشغولاً، أو ليس عنده ما يضيفه به، أن يقول لمن حوله، من يضيف هذا الرجل؟ ولا حرج في ذلك.

رابعًا: الإيثار العظيم من هذا الرجل الأنصاري، حيث بات هو وزوجته وصبيته من غير عشاء إكرامًا لهذا الضيف الذي نزل على رسول الله (ﷺ).

خامسًا: ومن الفوائد في هذا الحديث أنه ينبغي للإنسان ألا يشعر ضيفه أنه مان عليه، أو أن الضيف مضيق عليه، ومحرج له، لأن الرجل أمر بإطفاء المصباح حتى لا يظهر الضيف أنه ضيق عليه وحرمهم العشاء، وهذا مأخوذ من أدب الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حين نزلت به الملائكة ضيوفًا: ﴿**فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾ [الذاريات: ٢٦]. مشوي، لكنه راغ إلى أهله، أي ذهب بسرعة وخفية لئلا يخجل الضيف.

سادسًا: ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: أنه يجوز للإنسان أن يؤثر الضيف ونحوه على عائلته، وهذا في الأحوال النادرة العارضة، وإلا فقد قال النبي (ﷺ): «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**».

«متفق عليه»

ولكن إذا عرضت مثل هذه الأحوال فلا حرج على الإنسان أن يقدم الضيف ونحوه ممن يجب عليه إكرامه.

ومن تأمل الرسـول (ﷺ) وهديه وهدي أصـحابه وجـد فـيهـا من مكارم الأخلاق ومعالي الآداب ما لو سار الناس عليه لنالوا بذلك رفعة الدنيا والآخرة، وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير في الدنيا والآخرة.





قصة
رجل من أهل الجنة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**».

«رواه مسلم»

وفي روايـة: «**مر رجل بغصن شجـرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**».

وفي رواية لهما: «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له فغفر له**».

الشرح:

عن أبي هـريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين».

وفي الرواية الأخرى: «أنه دخل الجنة وغفـر الله له بسبب غصن أزاله عن طريق المسلمين» وسواء كـان هذا الغصن من فـوق يؤذيهم من رءوسهم، أو من أسفل يؤذيهم من جهة أرجلهم، المهـم أنه غصن شوك يؤذي المسلمين فأزاله عن الطريق، وأبعده ونـحاه فشكر الله له ذلك وأدخله الجنـة، مع أن هذا الغصن إذا آذى المسلمين فإنمـا يؤذيهم في أبدانهم، ومع ذلك غفر الله لـهذا الرجل وأدخله الجنة.

ففيه: دليل على فضيلة إزالة الأذى عن الطريق، وأنه سبب لدخول الجنة، وفيه أيضًا: دلـيل على أن الجنة موجودة الآن، لأن النبي (ﷺ) رأى هذا الرجل يتـقلب فيـهـا، وهذا أمر دل عـليه الكتـاب والسنة، وأجـمع عليـه أهل السنة والجماعة.

إن الجنة موجودة الآن، ولهـذا قال الله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن**

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

أعــدت: يعني هيئت، وهذا دليل على أنها مـوجودة الآن، كما أن النار أيضًا موجودة الآن، ولا تفنيان أبدًا خلقهـما الله (عز وجل) للبقاء لا فناء لهما، ومن دخلهما لا يفنى أيضًـا، فمن كان من أهل الجنة كان خالدًا مخلـدًا فيها أبد الآبدين، ومن كان من أهل النار دخلها خالدًا مخلدًا فيها أبد الآبدين.

وفي هــذا الحـديث: دليل على أن من أزال عن المـسلمين الأذى فله هذا الثواب العظيم في أمر حسي، فكيف بالأمر المعنوي؟

هناك بعض الناس ـ والعـياذ بالله ـ أهل شر وبلاء وأفكار خـبيثـة وأخلاق سيئة، يصدون الناس عن دين الله، فإزالة هؤلاء عن طريق المسلمين أفضل بكثير وأعظم أجرًا عند الله، فإذا أزيل أذى هؤلاء إذا كانوا أصحاب أفكار خـبيثة سيئة إلحادية يرد عليها وتبطل أفكارهم.

فإن لم يجـد ذلك شيئًا قطعت أعنـاقهم، لأن الله يقول في كتـابه العزيز: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣٣].

﴿ أَوْ﴾ هنا يقول بعض العلماء إنها للتـوبيخ، يعني أنهم يقتلون ويصلبون وتقطع أيديهم وأرجلهم مـن خلاف وينفـوا من الأرض حسب جـريمتهم وقـال بعض أهل الـعلم: بل ﴿ أَو﴾ هنا للتخيير، أي: إن ولي الأمـر مخير إن شاء قتلهم وصـلبهم وإن شاء قطع أيديـهم وأرجلهم من خلاف وإن شاء نـفاهم من الأرض، حسب ما يرى فيه المصلحة.

وهذا القول قول جيد جدًا ـ أعني أن تكون ﴿ أَوْ﴾ هنا للتخيير؛ لأنه ربما يكون هذا الإنسـان جرمه ظـاهر سهل، ولكنه على االمدى البـعيـد يكون صعـبًا ويكون مضلاً للأمة.

والواجب على ولاة الأمور أن يزيلوا الأذى عن طريق المسلمين في بعضهم تقصير، وفي بعضهم تهاون، يتهاونون بالأمر في أوله حتى ينمو ويزداد، وحينئذ يعجزون عن صده وكفه.

فالواجب أن يقابل الشر من أول أمره بقطع دابره حتى لا ينتشر ولا يضل الناس به.

المهم، إن إزالة الأذى عن الطريق، الطريق الحسي طريق الأقدام والطريق المعنوي طريق القلوب، والعمل على إزالة الأذى من هذا الطريق وهذا الطريق كله مما يقرب إلى الله، وإزالة الأذى عن القلوب والعمل الصالح أعظم أجرًا وأشد إلحاحًا من إزالة الأذى عن طريق الأقدام.





قصة
عائشة وعبد الله بن الزبير

عن عوف بن مالك بن الطفيل أن عائشة (رضي الله عنها) حدثت أن عبد الله بن الزبير (رضي الله عنه) قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة (رضي الله عنها): لتنتهين عائشة، أو لأحجرن عليها، قالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو، لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا، والله لا أشفع فيه أبدًا، ولا أتحنث في نذري.

فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وقال لهما: أنشدكما الله لما أدخلتماني على عائشة (رضي الله عنها)، فإنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبد الرحمن حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا، قالت: نعم! ادخلوا كلكم ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة (رضي الله عنها)، وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور، وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلمته، وقبلت منه، ويقولان: إن النبي (ﷺ) نهى عما قد عملت من الهجرة، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال.

فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكي، وتقول: إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

«رواه البخاري»

الشرح:

حديث عائشة (رضي الله عنها) أم المؤمنين وأفضل زوجاته بعد موته، وكانت من كانت في العلم والعبادة والرأى والتدبير، وكان عبد الله بن الزبير وهو ابن أختها

أسماء بنت أبي بكر سمع عنها أنها تبرعت وأعطت عطايا كثيرة فاستكثر ذلك منها وقال: لئن لم تنته لأحجرن عليها. وهذه كلمة شديدة بالنسبة لأم المؤمنين عائشة (﵂)، لأنها خالته وعندها من الرأى والعلم والحلم والحكمة مالا ينبغي أن يقال فيها ذلك القول، والحجر يعني منعها من التصرف في مالها، فسمعت بذلك، وأخبرت به، أخبرها بذلك الواشون الذين يشون بين الناس ويفسدون بينهم بالنميمة - والعياذ بالله - والنميمة من كبائر الذنوب، وقد حذر الله من النمام وإن حلف، فقال: ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [القلم: ٩، ١٠].

ومر النبي (ﷺ) بالمدينة على قبرين من قبور المسلمين فقال: «**إنهما ليعذبان في قبورهما وما يعذبان في كبير**- يعني لا يعذبان في أمر شاق وأمر صعب بل يسهل بالنسبة للقيام لا بالنسبة لعظمه عند الله- **أما أحدهما: فكان لا يستنزه من البول** -يعني لا يستنجي استنجاء تامًا وإذا أصاب البول ثوبه أو بدنه لا يبالي به - **وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة** » يأتي للناس فيخبر بما قال البعض الآخر من أجل أن يفرق بينهم- والعياذ بالله- فالنميمة من كبائر الذنوب يعذب عليها النمام في قبره، ولا يدخل الجنة نمام- نسأل الله العفو والعافية».

المهم! إن هذه الكلمات وصلت إلى عائشة، فنذرت (﵂) أن لا تكلمه أبدًا، وذلك لشدة ما حصل لها من الإنفعال على ابن أختها، وهجرته.

ومن المعلوم أن هجر أم المؤمنين (﵂) لابن أختها سيكون شديدًا عليه، فحاول أن يسترضيها لكنها صممت، لأنها ترى أن النذر شديد، فاستشفع إليها برجلين من أصحاب رسول الله (ﷺ) وفعلا حيلة بأم المؤمنين لكنها حيلة حسنة، لأنها أدت إلى مطلوب حسن وهو الإصلاح بين الناس، والكذب في الإصلاح بين الناس باللسان جائز فكيف بالأفعال؟ استأذنا على عائشة (﵂) فسلما عليها ، وهذه هي السنة عند الاستئذان أنك إذا قرعت الباب على

شخص تقول: السلام عليكم، ثم استأذناها في الدخول فقالا: ندخل؟ قالت: نعم، قالوا: كلنا، قالت: كلكم، ولم تعلم أن عبد الله بن الزبير معهما لكنها لم تقل: هل معكم عبد الله بن الزبير فلم تستفصل وأتت بقول عام: ادخلوا كلكم، فدخلوا، فلما دخلوا عليها وإذا عليها الحجاب: حجاب أمهات المؤمنين وهو عبارة عن ستر تستر به- أمهات المؤمنين- لا يراهن الناس وهو غير الحجاب الذي يكون لعامة النساء، لأن الحجاب الذي لعامة النساء هو تغطية الوجه والبدن، ولكن هذا حجاب يكون حجابًا حائلاً بين أمهات المؤمنين والناس، فلما دخل البيت دخل عبد الله بن الزبير الحجاب، لأنه ابن أختها فهي من محارمة فأكب عليها يقبلها ويبكي ويناشدها الله -عز وجل- ويحذرها من القطيعة ويبين لها أن هذا لا يجوز لكنها قالت: النذر شديد، ثم إن الرجلين أقنعاها بالعدول عما صممت عليه من الهجر وذكراها بحديث النبي (ﷺ): «**إنه لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال**».

«متفق عليه»

حتى اقتنعت وبكت وكلمت عبد الله بن الزبير ولكن هذا الأمر أهمها شديدًا، فكانت كلما ذكرت بكت (﵂)، لأنه شديد، وهذا قاعدة في كل إنسان يخاف الله، كل من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

كلما ذكرت هذا النذر وأنها انتهكته بكت (﵂) ومع هذا أعتقت أربعين عبدًا من أجل هذا النذر ليعتق الله (تعالى) رقبتها من النار، وفي هذا دليل على شدة إيمان أمهات المؤمنين وحرصهن على العتق من النار والبراءة من عذاب الكفار.

ففي هذا الحديث دليل على فوائد:

١- إن الإنسان لا يحل له أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ولاسيما إذا كان

قريبًا، وأنه يجب عليـه أن يحنث ويكفر، لقول النبي (ﷺ): «من حلـف على يمين فرأىٰ خيرًا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير».

«أحمد ومسلم»

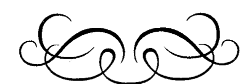
والله (عز وجل) غفور رحيم بالنسـبة لليمين إذا كفرت عن يمينك، وأتيت الذي هو خير كما أمر النبي (ﷺ).

٢- فضيلة الإصلاح بين الناس، ومعلوم أن الإصلاح بين الناس من أفضل الأعمـال قال الله تعـالىٰ: ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٤].

٣- جواز الحيل إذا لم تصل إلىٰ شيء مـحرم، لأن عائشة (رضي الله عنها) تحـيل عليها الرجلان في الدخول عليها ومعهما عبد الله بن الزبير.

٤- رقة قلوب الصحابة وسرعة بكائهم (رضي الله عنهم) من خشية الله (عز وجل) وهـذا دليل علىٰ لين القلب وخـشيته، وكلما كان قلب الإنسـان أقسىٰ كان من البكاء أبعد -والـعياذ بالله- ولذلك نرىٰ الناس لما كـانوا أقرب للآخـرة من اليوم نجد فيـهم الخشوع والبكاء وقيـام الليل واللجوء إلى الله والصدقة وفـعل الخير، ولكن لما قست القلوب صـارت المواعظ تمر عليها مرور الماء على الصـفا لا تنتفع إطلاقًا.

نسأل الله لنا ولكم العافية.





قصة
المتكبر

عن أبي هـريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قـال: «**بينمـا رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختـال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**».

«**متفق عليه**»

«**مرجل رأسه**» أي: ممشطه.

«**يتجلجل**» بالجيمين: أي: يغوص وينزل.

الشرح:

حديث أبي هريرة الآخر عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسـه، يختال في مشـيته**» ، أي عنده من الخـيـلاء والكبرياء والغطرسة ما عنده «**إذ خـسف الله به**» أي: خسف به الأرض، «**فهـو يتجلـجل في الأرض إلى يوم القيـامة**» يعني: انهارت به الأرض وانغمس فـيها واندفن، فهو يـتجلجل فيها إلى يـوم القيامة، لأنه (والعيـاذ بالله) لما صار عنده هـذا الكبرياء وهـذا التيه وهـذا الإعجاب خسف به.

وهـذا نظير قـارون الذي ذكره المؤلف -رحمه الله- في صـدر الباب، فإن قارون خرج على قـومه في زينته: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ** ﴾ . [القـصص: ٧٩-٨١].

وقوله «**يتجلجل في الأرض**» يحتمل أنه يتجلجل وهو حي حياة دنيوية، فيبـقى هـكذا معذبًا إلى يوم القـيامة، معـذبًا وهو في جوف الأرض وهو حي،

فيتعذب كما يتعذب الأحـياء، ويحتمل أنه لما اندفن مات، كما هي سنة الله (عز وجل) مات ولكن مع ذلك فهو يتـجلجل في الأرض وهو ميت، فيكون تجلجله هـذا تجلجلاً بـرزخيًا لا تعلم كيفـيته، والله أعلم، المهم أن هـذا جـزاؤه والعياذ بالله.

وفي هـذا وما قبله وما يأتي بعده دليل على تحريم الكبر وتحريم الإعجاب، وأن الإنسان يجب أن يعرف قدر نفسه وينزلها منزلتها.





قصة
المرأة المخزومية

عن عـائشـة (رضي الله عنها)، أن قريشًا أهـمهم شأن المرأة المخزوميـة التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله (ﷺ)، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله (ﷺ) فكلمه أسامـة فقال رسول الله (ﷺ): **«أتشـفع في حد من حدود الله تعالىٰ؟»** ثم قام فاختطب ثم قال: **«إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سـرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».**

«متفق عليه»

وفي رواية: فتلـون وجه رسول الله (ﷺ)، فـقال: **«أتشـفع في حـد من حــدود الله؟»** قال أسامـة: استغفر لي يا رسـول الله! قال: ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها.

الشرح:

حديث عائشة (رضي الله عنها) أن امرأة من بني مخزوم سرقت، وقد بينت السرقة بأنها تسـتعير المتاع وتجـحده، يعني تأتي إلىٰ الناس وتقول أعرنـي القدر، أعرني الدلو، فيعيرونها إحسانًا إليها، ثم تجحد العارية وتقول: ما أعرتموني.

فجـعل النبي (ﷺ) جحـد العارية في منـزلة السرقة، لأن السـارق يدخل البيوت في خـفية، ويأخذ وهـذه سـرقت أموال الناس في خفيـة، أخذتها منهم علىٰ أنها عارية، وأنها إحسان من أهلها -أي من أهل الأموال، ثم تجحد.

أمر النبي (ﷺ) أن تقطع يدها، وكانت من بني مخزوم، من أشرف قبائل قريش فـأهمهم ذلك، أي لحـقهم الهم في هـذا، كـيف تقطع يد المخزومـية؟! فطلبوا من يشفع إلىٰ رسـول الله (ﷺ)، فقالوا: من يجترئ عليـه إلا أسامة بن زيد؟ ولم يذكروا أبا بكر ولا عمر ولا عثـمان، ولا هو من أعلىٰ قدرًا من أسامة ابن زيد، فإمـا أن حاولوا ذلك ولم يفلحوا، وإمـا أن يكونوا من الأصل علموا

أنهم لن يشفعوا في حد من حدود الله.

المهم أنهم طلبوا من أسامة بن زيد (ﷺ)، وأسامة هو أسامة بن زيد بن حارثة، وزيد بن حارثة كان عبدًا مملوكًا وهبته خديجة إلى النبي (ﷺ) فأعتقه، وكان يحبه، ويحب ابنه أسامة، تكلم أسامة مع النبي في شأن المرأة لعله يرفع عنها القطع، فتلون وجه رسول الله (ﷺ)، وقال له منكرًا عليه: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**»، يعني ما كان ينبغي أن تشفع في حد من حدود الله. ثم قام فاختطب، يعني خطب خطبة بليغة، لأن اختطب أبلغ من خطب، لزيادة الهمزة والتاء، وقد قال علماء اللغة العربية: إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، يعني زيادة الحروف في الكلمة تدل على زيادة معناها.

المهم أن قوله اختطب، يعني خطب خطبة بليغة، ثم قال: «**إنما أهلك الذين من قبلكم** - يعني من الأمم - **أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»، فصارت إقامتهم لحدود الله حسب أهوائهم.

وفي هذا دليل على أن من سبقنا كانوا يسرقون، وأن السرقة كبيرة فيهم بين الغني والفقير والشريف والضعيف.

ثم أقسم (ﷺ) وهو البار الصادق بدون قسم قال: «**وايم الله** -أي: أحلف بالله- **لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»، اللهم صلِّ وسلم عليه، هكذا العدالة، وهكذا تنفيذ حكم الله، لا اتباع الهوى، أقسم بأن فاطمة بنت محمد، وهي أشرف من المخزومية حسبًا ونسبًا، لأنها (ﷺ) سيدة نساء أهل الجنة، أقسم أنها لو سرقت لقطع يدها.

وفي قوله: «**لقطعت يدها**» قولان، القول الأول: أن الرسول (ﷺ) يباشر القطع وهذا أبلغ، الثاني، أنه يأمر من يقطع يدها.

وأيًا كان فإن الرسول (ﷺ) لا يمكن أن يبرأ الحد عن أحد لشرفه ومكانته أبدًا، الحد حق الله (عز وجل).

«**وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد (ﷺ) سرقت لقطعت يدها**»، ثم أمر النبي (ﷺ) أن تقطع يد المخزومية فقطعت، وهي امرأة من أشراف قريش، ومع ذلك لم يسقط عنها الحد، وهكذا يجب على ولاة الأمور أن يكون الناس عندهم سواء في إقامة الحدود، وألا يحابوا أحدًا لقربه، أو لغناه، أو لشرفه في قبيلته، أو غير ذلك، الحد لله (عز وجل)، تجب إقامته لله (عز وجل).

انظر إلى قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [النور: ٢]، ومن الرأفة الشفاعة لهم، لا تشفع لأحد في حد، أقمه، ولا ترفق به، ولا ترحمه، ولا تقل: هذا شريف، هذا ضعيف، هذا أبو أولاد، أبدًا لا يهمك، يعني لو زنى إنسان وهو محصن، وثبت عليه الحد وله أولاد صغار، وزوجات يكن أرامل بعده، والأولاد أيتامًا بعده، لا تبالي بهذا، وأقم عليه الحد ارجمه حتى يموت بمعصية توجب الحد.

ولما كانت الأمة الإسلامية على هذه العدالة، وعدم المبالاة، وأنها لا تأخذها في الله لومة لائم كان لها العزة والقوة والنصر المبين، ولما تخلت الأمة الإسلامية عن إقامة حدود الله، وصارت المحسوبيات والوساطات تعمل عملها في إسقاط حدود الله (عز وجل) تدهورت الأمة الإسلامية إلى الحد الذي ترونه الآن، فنسأل الله أن يعيد للأمة الإسلامية مجدها وتمسكها بدينها، إنه على كل شيء قدير.





قصة المرأتين والذئب

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «**كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب ابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب ابنك، فتحاكما إلى داود (عليه السلام)، فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى**».

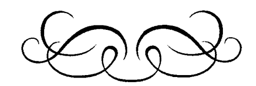
«متفق عليه»

الشرح:

ومنها أيضًا حديث أبي هريرة في قصة امرأتين خرجتا بابنين لهما فأكل الذئب ابن واحدة منهما وبقي ابن الأخرى، فقالت كل واحدة منهما: إنه لي، فتحاكما إلى داود (عليه السلام) فقضى به للكبرى اجتهادًا منه، لأن الكبرى ربما قد توقفت عن الإنجاب أما الصغرى شابه وربما تنجب غيره في المستقبل ثم خرجتا منه إلى سليمان ابنه فأخبرتاه بالخبر فدعا بالسكين وقال: أشقه بينكما نصفين، أما الكبرى فرحبت، وأما الصغرى فأبت وقالت: هو ابنها. أدركتها الشفقة لأنه ابنها حقيقة هو فللصغرى وليس للكبرى، ولكن الكبرى لم تبال لأنه ابن غير هام لا يهمها أن يذهب كما ذهب ولدها الذي أكله الذئب لأنه ليس ولدها لكن الصغرى أدركتها الرحمة فقالت: هو ابنها يا نبي الله! فقضى به للصغرى بأي بينة؟! القرينة؛ لأن كونها ترحم هذا الولد وتقول: هو للكبرى ويبقى حيًا وإن كان سيكون عند غيرها، لكن بقاؤه حيًا -ولو كان عند غيرها- أهون من شقه نصفين فقضى به للصغرى.

أخذ العلماء من هذا الحديث العمل بالقرائن، وأنه يجوز للقاضي أن يحكم بالقرائن إذا كانت قوية، ومن ذلك ما حصل بين امرأة العزيز، ويوسف ابن يعقوب عليهما الصلاة والسلام، فمن المعلوم أن يوسف حبس في السجن

وكان جميلاً (عليه السلام) جدًا حتى إنه أعطي نصف الحسن، فامرأة العزيز، وهي امرأة ملكة لها حسب ولها منزلة، لكنها عجزت أن تملك نفسها حتى مكرت به وكادت له، وأدخلته في البيت، وغلقت الأبواب ودعته إلى نفسها (والعياذ بالله) ولكنه عصمه الله (عز وجل) فلحقته وأمسكت بثوبه وانشق الثوب من الخلف، ووجدا سيدها لدى الباب: ﴿ **وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٥]، هذا حصل قبل السجن: ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ﴾ [يوسف: ٢٦]، وهذا قبل أن يسجن ليس عنده بينة، والمرأة قد لحقته وهو يريد الخروج، ومن يصدق؟ سوف يكون المصدق في هذه الحالة امرأة العزيز، لأنها ذات حسب وزوجة الملك فلا يمكن أن تذل نفسها للخادم، ولكن ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ﴾ فحكم حاكم من أهل البيت قال: انظروا إلى قميصه - ثوبه - وإذا كان قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، لأنه إذا كان من قبل، يعني: أنه الطالب المراود وأرادت التخلص منه فمزقت قميصه، وإن كان من دبر فهو قد هرب منها ولحقته: ﴿ **فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٨]، وصار الصادق يوسف وليس معه بينه تشهد له ولكن هناك قرينة، وهذا لا شك أنه قاعدة جليلة للقاضي، ولمن جعل حكمًا بين الناس.





قصة
الصبي مع النبي (ﷺ)

عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) أتى بشراب، فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**» فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فتله رسول الله (ﷺ) في يده.

«متفق عليه»

قوله: «**تله**» أي: وضعه، وهذا الغلام هو ابن عباس (رضي الله عنهما).

الشرح:

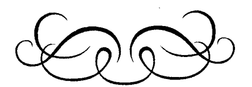
أتى النبي (ﷺ) بشراب فشرب منه، وعلى يمينه غلام، وعلى يساره الأشياخ الكبار، فلما شرب قال للذي على يمينه وهو الغلام: «**أتأذن لي أعطي هؤلاء؟**»، يعني الأشياخ، فقال: والله يارسول الله! ما أنا بالذي أوثر بنصيبي عليك أحدًا، يعني ما أوثرهم علي، وأنا أحب أن أشرب فضلتك، فتله رسول الله (ﷺ) في يده، يعني أعطاه الإناء في يده.

فهذا دليل على أنه كان الذي على اليمين أصغر سنًا فإنه يفضل على الذي على اليسار، ولو كان أكبر سنًا، والأول يدل على أنه إذا كان على اليمين أقل قدرًا، فإنه يعطى ويقدم على الذي هو أعظم قدرًا إذا كان على اليسار، لقول الرسول: «**الأيمنون، الأيمنون، الأيمنون، ألا فيمنوا، ألا فيمنوا، ألا فيمنوا**» هكذا جاء الحديث، لكن هذا فيمن إذا شرب يريد أن يناول من على يمينه أو على يساره.

«متفق عليه»

أما ما يفعله الناس اليوم، يأتي الرجل بالإبريق ويدخل المجلس، فهنا يبدأ بالأكبر لأن الرسول (ﷺ) كانوا يبدءون به فيعطونه أولاً، ولأنه لما أراد أن يناول

عليه الصلاة والسلام المسواك أحد الرجلين الذين وقفا، قيل له: «كبر، كبر» وقد ورد في ذلك أيضًا أحاديث عن النبي (ﷺ)، أنك إذا دخلت المجلس تبدأ بالأكبر لا بمن على اليمين.





قصة
صبر الأنبياء

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: كأني أنظر إلى رسول الله (ﷺ) يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، يقول: «اللهم اغفر لقومي فهم لا يعلمون».

«متفق عليه»

الشرح:

هذا الحديث يحكي الرسول (ﷺ) فيه شيئًا مما جرى للأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).

والأنبياء كلفهم الله بالرسالة لأنهم أهل لها كما قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٣]، فهم أهل لها في التحمل والتبليغ والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك.

وكان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) يؤذون بالقول والفعل وربما بلغ الأمر إلى قتلهم.

وقد بين الله ذلك في كتابه حيث قال لنبيه: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ**﴾ أي: إذا استطعت أن تفعل ذلك فافعل: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ**﴾ ولكن لحكمة اقتضت أن يكذبوك حتى يتبين الحق من الباطل بعد المصارعة والمجادلة: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٤, ٣٥].

حكى نبينا (ﷺ) عن نبي من الأنبياء: أن قومه ضربوه ولم يضربوه إلا حيث كذبوه حتى أدموا وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

هـذا غاية ما يكون من الصبر، لأن الإنسان لو ضرب على شيء من الدنيا لاستشاط غضبًا، وانتـقم ممن ضربه، وهذا يدعو إلى الله، ولا يتخذ على دعوته أجرًا ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

وهـذا الذي حدثنا به الرسول (ﷺ) لم يحـدثنا به عبثًا أو لأجل أن يقطع الوقت علينا بالحديث، وإنما حدثنـا بذلك من أجل أن نتخذ به عبرة نسيـر عليها كما قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١]، والعبـرة من هـذا أن نصبر علـى ما نؤذى به من قول أو فعل في سـبيل الدعوة إلى الله، وأن نقول متمثلين:

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

وأن نصبر على ما يصيبنا مما نسمعه أو ينقل إلينا مما يقال فينا بسبب الدعوة إلى الله. وأن نرى أن هـذا رفعـة لدرجتنا وتكفير لسيئـاتنا، فعسى أن يكون في دعوتنا خلل من نقص في الإخلاص أو من كيفية الدعوة وطريقتها، فيكون هـذا الأذى الذي نسمع يكون كفارة لما وقع منا؛ لأن الإنسان مهما عمل فهو ناقص لا يمكن أن يكمل عمله أبدًا إلا أن يشاء الله، فإذا أصـيب وأوذي في سبيل الدعوة إلى الله فإن هـذا من باب تكميل دعوته ورفعة درجته وليحتسب ولا ينكص على عقبيه لا يقول: لسـت بملزم، أنا أصابني الأذى، أنا تعبت. بل الواجب الصبر، الدنيا ليست طويلة، أيام ثم تزول، فاصبر حتى يأتي الله بأمره.

وفي قول عبد الله بـن مسعود (رضي الله عنه): «كـأني أنظر إلى النبي (ﷺ) وهو يحكي لنا» فـيه دليل على أن الحـديث أو المخـبر يخـبر بما يؤيد ضـبطه للخبـر والحديث، وهـو أمر شائع عند جـميع الناس بـقول: كأني أنظر إلـى فلان وهو يقول كذا وكذا أي إني ضبطت القصة. فإذا استعمل الإنسان مثل هـذا الأسلوب لتثبيت ما يحدث به فله في ذلك أسوة من السلف الصالح (رضي الله عنهم)، **والله الموفق**.



قصة
غار ثور

عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي (رضي الله عنه) -وهو وأبوه وأمه صحابة (رضي الله عنهم) قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رءوسنا فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**».

«متفق عليه»

قوله: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»، أي: ما ظنك هل أحد يقدر عليهما أو ينالهما بسوء؟

وهذه القصة كانت حينما هاجر النبي (ﷺ) من مكة إلى المدينة وذلك لأن رسول الله (ﷺ) لما جهر بالدعوة ودعا الناس وتبعوه وقام المشركون وقاموا ضد دعوته وضايقوه وآذوه بالقول وبالفعل وأذن له الله بالهجرة من مكة إلى المدينة.

فهاجر (ﷺ) على رأس ثلاث عشرة سنة من مبعثه فهاجر من مكة إلى المدينة ولم يصحبه إلا أبو بكر (رضي الله عنه) والدليل والخادم.

ولما سمع المشركون بخروجه من مكة جعلوا لمن جاء به مائتي بعير ولمن جاء بأبي بكر مائة بعير وصار الناس يطلبون الرجلين في الجبال، وفي الأودية وفي المغارات، وفي كل مكان، حتى وقفوا على الغار الذي فيه النبي (ﷺ) وأبو بكر، وهو غار ثور الذي اختفيا فيه ثلاث ليال حتى يبرد عنهما الطلب.

فقال أبو بكر: يا رسول الله! لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا، لأننا في الغار تحته، فقال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

وفي كتاب الله: ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠].

فيكون قال الأمرين كلاهما.

فقوله: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، هل أحد يقدر عليهما أو غير ذلك؟

ج: والجواب لا أحد يقدر؛ لأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع، ولا مذل لمن أعز، ولا معز لمن أذل: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦].

وفي هذه القصة:

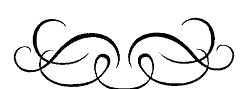
دليل على كمال توكل النبي (ﷺ) على ربه وأنه معتمد عليه ومفوض إليه أمره.

وفيه: دليل على أن قصة نسج العنكبوت غير صحيحة.

فما يوجد في بعض التواريخ أن العنكبوت نسجت على باب الغار وأنه نبت فيه شجرة وأنه كان على غصنها حمامة، وأن المشركين لما جاءوا إلى الغار قالوا: هذا ليس فيه أحد فهذه الحمامة على غصن شجرة على بابه، وهذه العنكبوت قد عششت على بابه، كل هذا لا صحة له، لأن الذي منع المشركين من رؤية النبي (ﷺ) وصاحبه أبي بكر ليست أمورًا حسية تكون لهما ولغيرهما، بل هي أمور معنوية، وآية من آيات **الله** (عز وجل).

حجب **الله** أبصار المشركين عن رؤية الرسول (ﷺ) وصاحبه أبي بكر.

والله الموفق.





قصة
حلم النبي (ﷺ)

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله (ﷺ) ناسًا في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الأبل وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه قسمة لا عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله (ﷺ)، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير حتى كان كالصرف، ثم قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟**» ثم قال: «**يرحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**» فقلت: لا جرم لا أرفع بعدها إليه حديثًا.

«متفق عليه»

وقوله: «**كالصرف**» هو بكسر الصاد المهملة: وهو صبغ أحمر.

الشرح:

قوله: «**لما كان يوم حنين**» وهي غزوة الطائف التي كانت بعد فتح مكة، غزاهم الرسول (ﷺ) وغنم منها غنائم كثيرة جدًا من إبل وغنم ودراهم ودنانير، ثم إن رسول الله (ﷺ) نزل بالجعرانة وهي محل منتهى الحرم من جهة الطائف.

نزل بها وصار يقسم الغنائم وقسم في المؤلفة قلوبهم -أي في زعماء القبائل- يؤلفهم على الإسلام، وأعطاهم عطاء كثيرًا حتى كان يعطي الواحد منهم مائة من الإبل.

فقال رجل من القوم: «والله إن هذه القسمة لا عدل فيها وما أريد فيها وجه الله» نعوذ بالله!!

يقول هذا القول في قسمة قسمها رسول الله (ﷺ) لكن حب الدنيا والشيطان يوقع الإنسان في الهلكة.

هذه الكلمة كلمة كفر، أن ينسب الله ورسوله إلى عدم العدل وإلى أن

النبي (ﷺ) لم يرد بها وجه الله.

ولا شك أن النبي (ﷺ) أراد بها وجه الله، أراد أن يؤلف كبار القبائل والعشائر من أجل أن يتقوى الإسلام، لأن أسياد القوم إذا ألفوا الإسلام وقوي إيمانهم بذلك حصل منهم خير كثير وتبعهم على ذلك قبائل وعشائر، واعتز الإسلام بهذا ولكن الجهل ـ والعياذ بالله ـ يوقع صاحبه في الهلكة.

عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) لما سمع هذه الكلمة تقال في رسول الله (ﷺ) أخبره بها ورفعها إليه، أخبره بأن هذا الرجل يقول كذا وكذا فتغير وجه رسول الله (ﷺ) حتى كان كالصرف - أي :كالذهب- من صفرته وتغيره، ثم قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟**» وصدق رسول الله (ﷺ)! إذا كانت قسمة الله ليست عدلاً وقسمة الرسول ليست عدلاً فمن يعدل إذًا!

ثم قال: «**يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

والشاهد هذه الكلمة هي أن الأنبياء يؤذون ويصبرون، فهذا نبينا (ﷺ) قيل له هذا الكلام بعد ثماني سنين من هجرته، يعني ليس في أول الدعوة بل بعدما مكن الله له وبعدما عرف صدقه وبعدما أظهر الله آيات الرسول في الآفاق وفي أنفسهم، مع ذلك يقال: هذه القسمة لم يعدل فيها، ولم يرد بها وجه الله.

فإذا كان هذا قول رجل في صحابة الرسول (ﷺ) للنبي (ﷺ) فلا تستغرب أن يقول الناس في عالم من العلماء: إن هذا العالم فيه كذا وكذا. ويصفونه بالعيوب؛ لأن الشيطان هو الذي يغوي هؤلاء على أن يقدحوا في العلماء.

لأنهم إذا قدحوا في العلماء وسقط أقوالهم عند الناس ما بقي للناس أحد يقودهم بكتاب الله، بل تقودهم الشياطين وحزب الشيطان ولذلك كانت غيبة

العلماء أعظم بكثير من غيبة غير العلماء، لأن غيبة غير العلماء غيبة شخصية إن ضرت فإنها لا تضر إلا الذي اغتاب والذي قيلت فيه الغيبة، لكن غيبة العلماء تضر الإسلام كله؛ لأن العلماء حملة لواء الإسلام فإذا سقطت الثقة بأقوالهم، سقط لواء الإسلام، وصار في هذا ضرر على الأمة الإسلامية.

فإذا كانت لحوم الناس بالغيبة لحوم ميتة، فإن لحوم العلماء لحوم ميتة مسمومة لما فيها من الضرر العظيم.

فأقول: لا تستغرب إذا سمعت أحدًا يسب العلماء! وهذا رسول الله (ﷺ) قيل فيه ما قيل، فاصبر، واحتسب الأجر من الله (عز وجل) واعلم أن العاقبة للتقوى.

مادام الإنسان في تقوى وعلى نور من الله (عز وجل) فإن العاقبة له.

كذلك يوجد بعض الناس يكون له صديق أو قريب يخطئ مرة واحدة فيصفه بالعيب والسب والشتم في خطيئة واحدة.

على هذا الذي وصف بالعيب أن يصبر وأن يعلم أن الأنبياء قد سبقوا وأوذوا وكذبوا وقيل: إنهم مجانين وإنهم شعراء وإنهم كهنة وإنهم سحرة ﴿ **فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ [الأنعام: ٣٤]، هكذا يقول الله (عز وجل).

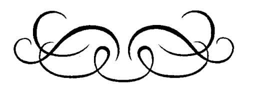
ففي هذا الحديث: دليل على أن للإمام أن يعطي من يرى في عطيته المصلحة ولو أكثر من غيره، إذا كان في هذا مصلحة للإنسان!

ليست مصلحة شخصية يحابي من يحب ويمنع من لا يحب، لا!

إذا رأى في هذا مصلحة للإسلام وزاد في العطاء فإن هذا إليه وهو مسئول أمام الله ولا يحل لأحد أن يعترض عليه فإن اعترض عليه فقد ظلم نفسه.

وفيه: أن الرسول (ﷺ) يعتبـر بمن مضى من الرسل ولهذا قال: لقد أوذي موسى بأكثر من هـذا فصبر لأن الله يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١]، ويقول: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠]، فأمر الله نبيه بأن يقتدي بهدي الأنبياء قبله.

وهـكذا ينبغي لنا ـ نحن ـ أن نقتدي بالأنبـياء (ﷺ) في الصبر على الأذى وأن نحتسب الأجـر على الله وأن نعلم أن هـذا زيادة في درجاتنا مع الاحـتساب وتكفير لسيئاتنا. **والله الموفق.**





قصص
صبر النبي (ﷺ)

عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت للنبي (ﷺ): هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل (عليه السلام) فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين**»، فقال النبي (ﷺ): «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

«متفق عليه»

«الأخشبان»: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ.

الشرح:

حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها سألت النبي (ﷺ): هل مر عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ لأن يوم أحد كان شديدًا على رسول الله (ﷺ) ويوم أحد كان غزوة غزاها النبي (ﷺ) حين تجمعت قريش لغزوه، لينتقموا من النبي (ﷺ) فيما حصل من قتل زعمائهم في بدر، وهي في السنة الثانية من الهجرة - من زعمائهم أناس لهم شرف وجاه في قريش - وفي شوال من السنة التي تلتها، وهي الثالثة من الهجرة اجتمعت قريش فجاءوا إلى المدينة ليغزوا النبي (ﷺ) ولما سمع بهم النبي (ﷺ) استشار أصحابه هل يخرج إليهم أم يبقى بالمدينة؟ فإذا دخلوا المدينة قاتلهم، فأشار عليه الشباب والذين لم يحضروا بدرًا أن يخرج إليهم فخرج إليهم (ﷺ) في نحو ألف مقاتل.

إلا أنه انخذل نحو ثلث الجيش لأنهم كانوا منافقين والعياذ بالله.

وقالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناك، فبقي النبي (ﷺ) في نحو سبعمائة نفر، ورتبهم النبي (ﷺ) أحسن ترتيب في سفح جبل أحد وحصل القتال، وانهزم المشركون في أول النهار وبدأ المسلمون يجمعون الغنائم.

وكان النبي (ﷺ) قد جعل على ثغر الجبل خمسين رجلاً راميًا، يحمون ظهور المسلمين، ولما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين هزموا المشركين وصار يجمعون الغنائم، قالوا لننزل من هذا الجبل نساعد المسلمين على جمع الغنائم. هكذا ظنوا، فذكرهم أميرهم عبد الله بن جبير بما قاله النبي (ﷺ) حيث إن النبي (ﷺ) لما وضعهم في هذا المكان: قال لا تبرحوا مكانكم ولا تتعدوه، سواء لنا أو علينا، لكنهم عفا الله عنهم، تعجلوا ونزل أكثرهم.

فلما رأى فرسان قريش مكان الرماة خاليًا كروا على المسلمين من الخلف ومنهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، اللذان أسلما فيما بعد وصارا فارسين من فوارس المسلمين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فدخلوا على المسلمين من خلفهم واختلطوا بهم واستشهد من المسلمين سبعون رجلاً على رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ﷺ)، وكان النبي (ﷺ) يحبه ويجله.

وحصل للنبي (ﷺ) ما حصل ضربوا وجهه وشجوه وصار الدم ينزف على وجهه، وفاطمة (رضي الله عنها) تغسل الدم حتى إذا لم يتوقف أحرقت حصيرًا يعني خصيفًا من سعف النخل ودرته عليه حتى وقف وكسروا رباعيته (ﷺ) وحصل من البلاء ما حصل.

حصل بلاء عظيم قال الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ**

يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٥، ١٦٦].

فمادام الأمر بإذنه فهو خير، وحصل في هذا ما حصل من الشدة على النبي (ﷺ) وعلى أصحابه، وحملوا الشهداء إلى المدينة، ولكن النبي (ﷺ) أمر أن يردوا إلى مصارعهم إلى المكان الذي استشهدوا فيه (ﷺ) وأرضاهم.

فقال النبي (ﷺ) لعائشة لما سألته: هل مر عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: **نعم**، وذكر لها قصة ذهابه إلى الطائف؛ لأن النبي (ﷺ) لما دعا قريشًا في مكة ولم يستجيبوا له خرج إلى الطائف ليبلغ كلام الله (عز وجل)، ودعا أهل الطائف لكن كانوا أسفه من أهل مكة.

حيث اجتمعوا هم وسفهاؤهم، وصاروا صفين متقابلين في طريق النبي (ﷺ)، وجعلوا يرمونه بالحجارة ويرمونه بالحصى حتى أدموا عقبه (ﷺ) وخرج مغمومًا مهمومًا.

ولم يفق (ﷺ) إلا وهو في قرن الثعالب، فأظلته غمامة فرفع رأسه، فإذا في هذه الغمامة جبريل (عليه السلام)، وقال له: هذا ملك الجبال يقرؤك السلام. فسلم عليه وقال: إن ربي أرسلني فإن شئت أن أطبق عليهم -يعني الجبلين- فعلت.

ولكن النبي (ﷺ) لحلمه وبعد نظره وتأنيه في الأمر قال: «**لا!**» لأنه لو أطبق عليهم الجبلين هلكوا، فقال: «**لا! وإني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

وهذا الذي حصل، أن الله أخرج من أصلاب هؤلاء المشركين الذين آذوا الرسول (ﷺ) هذه الأذية العظيمة، أخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.

فهذا يبين أن الرسول (ﷺ) حصل له أشد مما حصل له في أحد، وحصل

له أنواع من الأذى لكنه صابر.

ومن أعظم ما كان أنه كان ذات يوم ساجدًا تحت الكعبة، يصلي لله. والمسجد الحرام لو يجد الإنسان فيه قاتل أبيه ما قتله، فقال بعض السفهاء من قريش والمعتدين منهم: اذهبوا إلى جزور آل فلان فأتوا بسلاها فضعوه على محمد وهو ساجد، فذهبوا وأتوا بسلا الجزور، والرسول (ﷺ) ساجد تحت الكعبة، فوضعوه على ظهره إهانة له وإغاظة له.

فبقي رسول الله (ﷺ) ساجدًا حتى جاءت ابنته فاطمة (رضي الله عنها) وألقت السلا عن ظهره، فقام من السجود، ولما سلم رفع يديه يدعو الله (تعالى) على هؤلاء الملأ من قريش.

فالشاهد أن الرسول (ﷺ) كان يؤذى أشد الأذى، ومع ذلك يعفو ويصفح ويتأنى، ويترجى، فبلغه الله - ولله الحمد - مراده وحصل النصر المبين المؤزر.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لاسيما إذا أوذي في الله، فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج، وقد قال النبي (ﷺ): «**واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**».

• • •

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي (ﷺ)، وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء.

«متفق عليه»

الشرح:

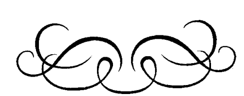
قصة هذا الأعرابي الذي لحق النبي (ﷺ) وعليه جبة نجرانية غليظة الحاشية، فجبذه، يعني: جذبه جذبًا شديدًا، حتى أثرت حاشية الجبة في عنق النبي (ﷺ) من شدة الجذب، فالتفت فإذا هو أعرابي يطلب منه عطاء فضحك النبي (ﷺ) وأمر له بعطاء. فانظر إلى هذا الخلق الرفيع، لم يوبخه النبي (ﷺ)، ولم يضربه، ولم يكشر في وجهه ولم يعبس، بل ضحك (ﷺ) ومع هذا أمر له بعطاء ونحن لو أن أحدًا فعل بنا هذا الفعل ما أقررناه عليه بل لضاربناه.

وأما الرسول (ﷺ) الذي قال الله فيه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]. فإنه التفت إليه وضحك إليه وأعطاه العطاء.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو.

وسئل معاوية (رضي الله عنه) بم سست الناس؟ وذلك لأن معاوية معروف بالسياسة والحكمة فقال: أجعل بيني وبين الناس شعرة، إن جذبوها تبعتهم وإن جذبتها تبعوني لكن لا تنقطع. ومعنى كلامه أنه سهل الانقياد، لأن الشعرة إذا جعلتها بينك وبين صاحبك إذا جذبتها أدنى جذب انقطعت، لكن من حسن سياسته (رضي الله عنه) كان يسوس الناس بهذه السياسة، إذا رآهم مقبلين استقبلهم وإذا رآهم مدبرين تبعهم حتى يتمكن منهم.

فهكذا ينبغي للإنسان أن يكون دائمًا في سياسته رفيقًا حليمًا، كما كان النبي (ﷺ) هكذا. نسأل الله (تعالى) أن يرزقنا حسن الآداب والأخلاق.





قصة
الصبر عند الصدمة الأولى

عن أنس (رضي الله عنه) قال: مَرَّ النبي (ﷺ) على امرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي! ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي (ﷺ) فأتت باب النبي (ﷺ) فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**».

«متفق عليه»

وفي رواية لمسلم: «**تبكي على صبي لها**».

الشرح:

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) مر بامرأة وهي عند قبر صبي لها قد مات وكانت تحبه حبًا شديدًا فلم تملك نفسها أن تخرج إلى قبره لتبكي عنده، فلما رآها الرسول (ﷺ) أمرها بتقوى الله والصبر.

قال لها: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت له: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، إليك عني: أي: ابعد عني.

وهذا يدل على أن المصيبة قد بلغت منها مبلغًا عظيمًا، فانصرف النبي (ﷺ) عنها.

ثم قيل لها: إن هذا رسول الله (ﷺ)، فندمت وجاءت إلى رسول الله (ﷺ) إلى بابه وليس على الباب بوابون، أي: ليس عنده أحد يمنع الناس من الدخول عليه، فأخبرته، وقالت: إنني لم أعرفك، فقال النبي (ﷺ): «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**».

الصبر الذي يثاب عليه الإنسان هو أن يصبر أول ما تصيبه المصيبة، هذا هو الصبر، إما الصبر بعد ذلك فإن هذا ربما يكون تسليًا كما تتسلى البهائم، فالصبر حقيقة أن الإنسان إذا صدم أول ما يصدم يصبر ويحتسب ويحسن أن

يقــول: "**إنا لله وإنا إليه راجعــون، اللهم! أجرني في مصيبــتي هـذه واخلف لي خيرًا منها**".

ففي هذا الحديث فوائد:

أولاً: حسن خلق الرسول (ﷺ) ودعوته إلى الحق وإلى الخير لما رأى هـذه المرأة تبكي عند القبر أمرها بتقوى الله والصبر.

ولما قالت: «إليك عني» لم ينتقم لنفسه ولم يضــربها ولم يقمها بالقوة لأنه عرف أنه أصابها من الحزن ما لا تستطيع أن تملك نفسها ولهـذا خرجت من بيتها لتبكي على هـذا القبر.

فإن قــال قائل: أليست زيارة القــبور حرامًا على الـنساء؟ قلنا: بلى، هي حرام على النساء بل هي من كبائر الذنوب!!

لأن الرسول (ﷺ) لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

لكن هـذه لم تخرج للزيارة وإنما خرجت لما في قلبــها من لوعة فراق هـذا الصبي والحزن الشديد، لم تملك نفســها أن تأتي ولهـذا عذرها النبي (ﷺ) ولم يقمها بالقوة ولم يجبرها أن ترجع إلى بيتها.

ومن فوائد هذا الحديث:

إن الإنسان يعذر بالجهل سواء أكان جهلاً بالحكم الشرعي أم جهلاً بالحال، فإن هــذه المرأة قالت للرســول (ﷺ): إليك عني. وقد أمرهــا بالخير والتــقوى والصبر، ولكنها لم تعرف أنه رسول الله (ﷺ) فلهـذا عذرها الرسول (ﷺ).

ومنهـا: أنه لا ينبغي للإنسان المسئــول عن حوائج المسلمين أن يجعل على بيته بوابًا يمنع الناس إذا كان الناس يحتــاجون إليه إلا إذا كان الإنسان يخشى من كثرة الناس وإرهاق الناس وإشغــال الناس عن شيء يمكن أن يتداركوا شغلهم في

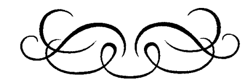
وقت آخر فلهذا لا بأس به.

وما جعل الاستئذان إلا من أجل النظر كما جاء في الحديث، وإلا من أجل أن الإنسان يتصرف في بيته في إدخال من شاء ومنع من شاء.

ومن فوائده: أن الصبر الذي يحمد فاعله عند الصدمة الأولى هو أن يصبر الإنسان ويحتسب ويعلم أن الله ما أخذ وله ما أعطى وأن كل شيء عنده بأجل مسمى.

ومنها: أن البكاء عند القبر ينافي الصبر، ولهذا قال لها الرسول (ﷺ): «**اتقي الله واصبري**».

ويوجد من الناس من يبتلى، فإذا مات له ميت صار يتردد على قبره ويبكي عنده، وهذا ينافي الصبر بل نقول: إن شئت أن تنفع الميت فادع الله وأنت في بيتك، ولا حاجة أن تتردد على القبر لأنه يجعل الإنسان يتخيل هذا الميت دائمًا في ذهنه ولا يغيب عنه وحينئذ لا ينسى المصيبة أبدًا، مع أن الأفضل للإنسان أن يتلهى وأن ينسى المصيبة بقدر ما يستطيع. **والله الموفق**.





قصة
النبي (ﷺ) وزوجته صفية

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي (رضي الله عنها) قالت: كان النبي (ﷺ) معتكفًا، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، فمر رجلان من الأنصار (رضي الله عنهما)، فلما رأيا النبي (ﷺ) أسرعا، فقال (ﷺ): «**على رسلكما إنها صفية بنت حيي**».

فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا** -أو قال: شيئًا-».

«متفق عليه»

الشرح:

حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي (رضي الله عنها): كان النبي (ﷺ) معتكفًا في المسجد في رمضان ولا اعتكاف إلا في رمضان، لأن النبي (ﷺ) لم يعتكف في غير رمضان إلا سنة واحدة فاتته العشر في رمضان فقضاها في شوال، وما عدا ذلك فلم يشرع لأمته (ﷺ) أن يعتكفوا في غير رمضان وإنما كان الاعتكاف من أجل تحري ليلة القدر، فقد كان النبي (ﷺ) يعتكف العشر الأوائل من رمضان رجاء ليلة القدر ثم الأوسط، ثم قيل له: إنها في العشر الأواخر فواظب الاعتكاف في العشر الأواخر.

وأما حديث عمر: أنه سأل النبي (ﷺ) أنه نذر -أي عمر- أن يعتكف ليلة أو ليلتين في المسجد الحرام فقال: «**أوف بنذرك**» فهذا لا يدل على أن الاعتكاف مشروع وإنما يدل على وفاء النذر بالاعتكاف، وإنه ليس بمعصية لو أوفى بنذره فيه.

«متفق عليه»

لكن السنة أن الاعتكاف يكون في رمضان فقط وفي العشر الأواخر منه

فقط، اعتكف (ﷺ) في العشر الأواخر.

والاعتكاف هو: لزوم المسجد في طاعة الله، ليتفرغ الإنسان للعبادة وليس لغير ذلك.

جاءته صفية -وهو معتكف- لتتحدث إليه - وهي امرأته- ولا بأس للإنسان أن يتحدث إلى أهله وهو معتكف، فذلك من الألفة والمحبة والمودة ثم قامت إلى بيتها وكان النبي (ﷺ) خير الناس بأهله، كما قال النبي (ﷺ): «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

«الترمذي وابن ماجة وصحيح الجامع ٣٣١٤»

فقام معها يشيعها إلى بيتها فإذا برجلين من الأنصار يمران فلما رأيا رسول **الله** (ﷺ) خجلاً واستحييا، فأسرعا في مشيهما، فقال النبي (ﷺ): «**على رسلكما**» يعني: لا تسرعا، إنها صفية بنت حيي. لئلا يظنا أنها امرأة جاءت لرسول **الله** (ﷺ) في الليل محل السكن وإيواء البيوت فقالا: سبحان **الله!** تعجبًا لأن يقول الرسول هذا الكلام.

فقال النبي (ﷺ): «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»، فيصل إلى قلبه وإلى عروقه كما أن الدم يسير في جميع البدن، كذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومجرى هذا اسم مكان: أي في مكان جريان الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا أو قال: شيئًا.

ففي هذا الحديث دليل على فوائد:

حسن خلق النبي (ﷺ) في معاملته أهله.

ومنها: جواز زيارة المرأة زوجها في الاعتكاف، وأن ذلك لا يبطل الاعتكاف، حتى لو فرض أن تلذذ بالنظر إليها وما أشبه ذلك فإنه لا يضر، لأن

الله إنما نهى عن مباشرة النساء في الاعتكاف.

ومنهـا: أنه ينبغي للإنسان أن يشـيع أهله إذا انقلبوا من عنده إذا كان ذلك ليلاً أو في وقت يخاف فيه عليهم.

ومنهـا: أنه ينبغي للإنسان أن يزيل أسباب الوساوس من القلوب ـ فمثلاً ـ : إذا خـشي أن أحدًا يظن به شـرًا فـإنه يجب عليه أن يـزيل ذلك عنه ويخبـره بالواقع حتى لا يقع في قلبه شيء.

ومنها: أنه إذا حدث للإنسان ما يتعجب منه فليقل: سبحان الله. كما قال ذلك الأنصاريان وأقرهما النبي (ﷺ).

ومنها: شفقة النبي (ﷺ) على أمته، ودرء الشر عنهم.





قصة
غزوة حنين



عن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) قال: شهدت مع رسول الله (ﷺ) يوم حنين فلزمت أنا وأبو سيفان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله (ﷺ) ولم نفارقه، ورسول الله (ﷺ) على بغلة له بيضاء فلما التقى المسلمون والمشركون ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله (ﷺ) يركض بغلته قبل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله (ﷺ) أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سيفان آخذ بركاب رسول الله (ﷺ).

فقال رسول الله (ﷺ): «**أي عباس! ناد أصحاب السمرة**»، قال العباس -كنت رجلاً صيتًا- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يالبيك يالبيك، فاقتتلوا هم والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج.

فنظر رسول الله (ﷺ) وهو على بغلته، كمتطاول عليها إلى قتالهم فقال: «**هذا حين حمي الوطيس**» ثم أخذ رسول الله (ﷺ) حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فمازلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبرًا.

«رواه مسلم»

«**الوطيس**» التنور، ومعناه: اشتدت الحرب، وقوله: «**حدهم**» هو بالحاء المهملة أي: بأسهم.

الشرح:

قصة حنين وحنين هي اسم مكان غزا به النبي (ﷺ) «**ثقيفًا**» وكان الصحابة (رضي الله عنهم) قد فتحوا مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، ومعهم

عشرة آلاف من خارج مكة وألـفان من أهل مكة، فالجميع اثنا عشـر ألفًا فجعل بعضـهم يقول لبـعض: لن نغلب اليوم من قلة. أعـجبوا بكثـرتهم، ولكن الله (تعالى) أراهم أن النصر من عند الله، وأن الكثرة والقوة لن تحولا دون قضاء الله وقدره، قابلوا ثقيـفًا وكانت ثقيف «ثلاثة آلاف وخمسمـائة نفر»، والمسلمون اثنا عشر ألفا إلا نحو مائة رجل، كما قال الله (تعالى): ﴿ **ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ ولكن محمـد (ﷺ) الذي أعطاه الله (تعالى) الشجـاعة العظيمة، والإقـدام في موضع الإقدام . جعل يركض بغلته نحو العدو وهو يقول (ﷺ): «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبـد المطلب**» -يعلمهم (ﷺ)- وأمـر العباس (رضي الله عنه) -كان رجلاً جـهوري الصوت- أمره أن ينادي الصحابة ليرجعوا، فجعل ينادي: يا أصحاب السمرة! يا أصحاب السمرة! يا أصحاب السمرة! أقبلوا... هلموا.

والسمرة هي: الشجرة التي بايع الصحابة عليها (ﷺ) في الحديبية على ألا يفروا -وهم فـروا الآن- فقـال: يا أصحاب السـمرة! يذكـرهم بهذه المبـايعة، وهذه السمرة شجرة بايع النبي (ﷺ) تحتـها الصحابة على ألا يفروا أبدًا، وفيها يقـول الله تعـالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح:١٨]، فـأخبـر الله (تعالى) أنه راضٍ عنهم، وأخبـر النبي (ﷺ) أنه «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**» بشرى عظيمة أنهم لا يدخلون النار لا قليلاً ولا كثيرًا.

المهم أن العبـاس دعاهم بهذا -يا أصحـاب السمرة- قالوا: لبـيك لبيك، وأقبلوا كـأنهم البقر تعطف عـلى أولادها الصغار يعني مـسرعين جدًا، فـقاتلوا العدو، وأخذ النبي (ﷺ) حصيات رمى بها وجوه القوم، وقال: «**انهزموا ورب محـمـد**»، وصار الأمر كذلك، انهـزمت ثقيف، وغنم منها النبي (ﷺ)، غنائم كثيرة، كثيرة جدًا ما بين إبل وغنم وأموال.

فـالحـاصل أن هـذا الحديث من آيات الله -عـز وجل- حـيث نصـر الله المؤمنين بعد أن أراهم قوته وأن الأمر أمـره -جل وعلا- ليس بالكثرة ولا بالقول ولا بالعزيمة ولكن النصر من عند الله -عز وجل- قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ [التوبة: ٢٥- ٢٧].

وفي هذا الحديث من الفوائد:

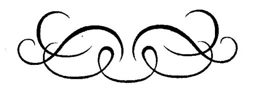
١- قوة شجاعة النبي (ﷺ) حيث تقدم إلى العدو بقوله وفعله، أما فعله، فإنه جعل يركض بغلته -التي هو راكب عليها- نـحو العدو، وأما قوله: فإعلانه بصوته الرخيم «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

٢- ومنها: أنه يجب على الإنسان ألا يعجب بقوته ولا بكثرته ولا بعلمه ولا بماله ولا بذكائه ولا بعـقله، والغالب أن الإنسان إذا أعجب فـإنه يهزم بإذن الله: إن أعجب بكثرته هزم، وإن أعجب بعلمه ضل، وإن أعجب بعقله تاه، لا تعجـب بنفسك ولا بأي قـوة من قواتك، بل اسـتعن بالله -عـز وجل- وفوض الأمر إليه حتى يتم لك ما تريد.

٣- ومنهـا: جواز ركوب البغلة، والبغل مـتولد من بين الحمار والفرس، ينزو الحمـار على الأنثى من الخيل فتلد البـغل وهو نجس وحرام ولكنه طاهر في ظاهره كالهـرة طاهرة ولكن بولها وعذرتهـا نجسة وكـذلك البغل فعـرقه طاهر، ومسه حال ركوبه طاهر، لأن النبي (ﷺ) ركـبه وهو يعرق وقد يكون المطر ولـم يرد أن النبي (ﷺ) كـان يحـتـرز منه، فـدل ذلك على أنه طـاهر وهو القـول الراجح.

٤- **ومنها**: أنه ينبغي للإنسان أن ينادي الناس بما يشجعهم، لأن العباس لم يقل: يا أيها المؤمنون! يا أيها الصحابة! بل قال: يا أصحاب السمرة! لأن هذا يشجعهم ويذكرهم بالبيعة التي بايعوا عليها النبي (ﷺ).

٥- **ومنها**: أن الله تعالى ينصر الفئة القليلة -ولو على باطل- على الفئة الكثيرة ولو على حق، الفئة القليلة هنا من الكفار -ثلاثة آلاف وخمسمائة- الفئة الكثيرة: الصحابة (رضي الله عنهم) ومعهم رسول الله (ﷺ)، لكن يستفاد من هذا فائدة أيضًا، أن العاقبة للمتقين حتى لو هزم المسلمون بكثرتهم، فإن العاقبة لهم، لأن الله (تعالى) يقول: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: ٤٩]. **والله الموفق.**





قصة الجذع

عن جابر (رضي الله عنه) قال: كان جذع يقوم إليه النبي (ﷺ)، يعني في الخطبة، فلما وضع المنبر، سمعنا للجذع مثل صوت العشار حتى نزل النبي (ﷺ) فوضع يده عليه فسكن.

«البخاري»

وفي رواية: فلما كان يوم الجمعة قعد النبي (ﷺ) على المنبر، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت أن تنشق.

وفي رواية: فصاحت صياح الصبي، فنزل النبي (ﷺ)، حتى أخذها فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت، قال: «**بكت على ما كانت تسمع من الذكر**».

«رواه البخاري»

العشار: الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر، تئن: تتأوه وتتألم بصوت.

الشرح:

حديث جابر وفيه آية من آيات الله (عز وجل)، وآية لرسول الله (ﷺ) واعلم أن الله (تعالى) لم يبعث نبيًا إلا أتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، لأنه لو أرسل رسولاً بدون آية تدل على أنه رسول الله ما صدقه أحد ولكان للناس عذر في رد قوله، ولكن الله (تعالى) بحكمته ورحمته ما أرسل رسولاً إلا أتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، الآيات تعني العلامات التي تدل على صدقه، وآيات النبي (ﷺ) كثيرة ومن أراد الاستزادة منها فعليه بكتابين: أحدهما «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» فقد ذكر - رحمه الله - شيخ الإسلام في هذا الكتاب في آخره من آيات النبي (ﷺ)

الكونية والشرعية ما لم يحصل لغيره رحمه الله رحمة واسعة، والآخر: «البداية والنهاية» لابن كثير ـ رحمه الله ـ.

فآيات الرسول (ﷺ) كثيرة منها ما ذكره جابر: كان النبي (ﷺ) يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة فلما صنعت له امرأة من الأنصار منبرًا يخطب عليه، فإذا بالجذع يحن حنان العشار وأحيانًا يبكي بكاء الصبي لفقد النبي (ﷺ) الله أكبر ! جماد ... جذع... يبكي لفقد الرسول (ﷺ) والآن قمم عظيمة فقدت لا يبكي لها أحد، أعاننا الله وإياكم على ذكره وشكره، وحسن عبادته، نزل النبي (ﷺ) وجعل يسكته كما تسكت الأم صبيًا ـ وهو جماد ـ فسكت الجذع فكان في هذا آيتان:

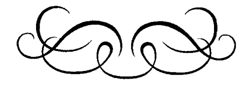
١- صياح الجذع لما فقد النبي (ﷺ).

٢- سكوت الجذع لما نزل النبي (ﷺ) يسكته، ونظيرها آية وقعت لموسى (عليه السلام).

«رواه البخاري ومسلم»

فقد أذاه بنو إسرائيل أذية عظيمة كما قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا**﴾ [الأحزاب: ٦٩]، من جملة ما قالوا فيه: إنه آذر - يعني كبير الخصيتين - وهو عيب وكان (ﷺ) يستتر إذا اغتسل، وكانوا هم يغتسلون عراة، فقالوا: إن موسى لا يستتر إلا لما فيه من عيب، فأراد الله -عز وجل- أن يريهم أنه لا عيب فيه بغير اختيار موسى، نزل يغتسل مرة ووضع ثوبه على حجر فلما كان يغتسل فهرب الحجر ذهب يسعى يشتد فلحقه موسى يقول «ثوبي حجر ثوبي حجر» ـ يعني أعطني ثوبي يا حجر ـ والحجر سائر حتى وصل إلى ملأ من بني إسرائيل فشاهدوا موسى بلا عيب ـ والحمد لله ـ ثم وقف الحجر فجعل موسى يضربه؛ لأنه فعل

مـا يفعله العـاقل فاسـتحق أن يؤدبـه بالضرب. مـثل ذلك ما تفـعله الأمهـات بأولادهن الصغار إذا عثر الطفل أو ضربه شيء جعلت تضرب ما أعثره لأجل أن تسكت الصـبـي تطيب خـاطره. المهم! أن الرسـول (ﷺ) نـزل يسكت الجـذع فسكت، وهـذه من آيات الله (عز وجل) والله أعلم.





قصة
فاطمة عند موت النبي (ﷺ)

عن أنس (رضي الله عنه) قال: لما ثقل النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة (رضي الله عنها): وا كرب أبتاه! فقال: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة (رضي الله عنها): أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟

«رواه البخاري»

الشرح:

قوله: «**جعل يتغشاه الكرب**» أي: من شدة ما يصيبه، جعل يغشى عليه من الكرب، لأنه يشدد عليه الوعك والمرض وكما يوعك الرجلان من الناس.

والحكمة في هذا من أجل أن ينال (صلى الله عليه وسلم) أعلى درجات الصبر، فإن الصبر منزلة عالية لا ينال إلا بامتحان واختبار من الله (عز وجل) لأنه لا صبر إلا على مكروه.

فإذا لم يصب الإنسان بشيء يكرهه فكيف صبره ولهذا قال الله: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ** ﴾ [محمد: ٣١].

فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوعك كما يوعك الرجلان من الناس.

فجعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة (رضي الله عنها): «وا كرب أبتاه» تتوجع له من كربه؛ لأنها امرأة والمرأة لا تطيق الصبر.

فقال (صلى الله عليه وسلم): «**لا كرب على أبيك بعد اليوم**»؛ لأنه لما انتقل من الدنيا انتقل إلى الرفيق الأعلى كما كان (صلى الله عليه وسلم) وهو يغشاه الموت يقول: «**اللهم الرفيق اللهم الرفيق الأعلى**» وينظر إلى سقف البيت.

توفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) فجعلت (رضي الله عنها) تندبه، لكنه ندب خفيف لا يدل

على التسخط من قضاء الله وقدره.

فجعلت تقول: «يا أبتاه إلى جبريل ننعاه» النعي هو الإخبار بموت الميت، وقالت: إننا ننعاه إلى جبريل (عليه السلام)؛ لأنه هو الذي كان يأتيه بالوحي صباحًا ومساءً.

فإذا فقد الرسول (ﷺ) فقد نزول جبريل إلى الأرض بالوحي، لأنه انقطع بموت الرسول (ﷺ).

وقولها: «أجاب ربًا دعاه»، لأن الله هو الذي بيده ملكوت كل شيء، أجل الخلق بيده، تصريف الخلق بيده، كل شيء إلى الله، إلى الله المنتهى وإليه الرجعى.

فأجاب داعي الله وهو أنه (ﷺ) إذا توفي صار كغيره من المؤمنين يصعد بروحه حتى توقف بين يدي الله (عز وجل) فوق السماء السابعة.

وقولها: «جنة الفردوس مأواه»، لأنه أعلى الخلق منزلة في الجنة كما قال الرسول (ﷺ): «**اسألوا لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة ولا تكون إلا لعبد من عباد الله فأرجو أن أكون أنا هو**» ولا شك أن الرسول (ﷺ) مأواه جنة الفردوس، وجنة الفردوس هي أعلى درجات الجنة وسقفها الذي فوقها عرش الرحمن الرب جل جلاله والرسول (ﷺ) في أعلى درجة منها.

ثم لما حمل ودفن قالت (رضي الله عنها): «أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (ﷺ) التراب؟» يعني شدة وجدها عليه وحزنها ومعرفتها بأن الصحابة (رضي الله عنهم) قد ملأ قلوبهم محبة الرسول (ﷺ).

والجواب: إنها طابت؛ لأن هذا ما أراد الله (عز وجل) وهو شرع الله ولو كان الرسول (ﷺ) يفدى بكل الأرض لفداه الصحابة (رضي الله عنهم).

لكن الله (سبحانه وتعالى) هو الذي له الحكم وإليه المرجع وكما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

في هذا الحديث بيان أن الرسول (ﷺ) كغيره من البشر يمرض ويجوع ويعطش ويبرد ويحتر، وجميع الأمور البشرية تعتري النبي (ﷺ)، كما قال النبي (ﷺ) «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون».

«أحمد وابن ماجة ـ صحيح الجامع: ٢٣٣٩»

وفيه: رد على هؤلاء القوم الذين يشركون بالنبي (ﷺ). يدعون الرسول ويستغيثون به وهو في قبره، بل إن بعضهم (والعياذ بالله) لا يسأل الله ويسأل الرسول، كأن الذي يجيب هو الرسول، ولقد ضلوا في دينهم وسفهوا في عقولهم، فإن الرسول (ﷺ) لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا فكيف يملك لغيره.

قال الله آمرًا نبيه: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾، بل هو عبد من عباد الله ولهذا قال: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال سبحانه أيضًا: ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلاَّ بَلاغًا ﴾، أي هذه وظيفتي: ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾ [الجن: ٢١ ـ ٢٣].

ولما أنزل الله قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

دعا قرابته وجعل ينادي إلى أن قال: «يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا» إلى هذا الحد!! ابنته هي التي بضعة

منه والتي يريبه ما رابها!!

فهذا دليل على أن من سواها من باب أولى.

ففيه بيان ضلال هؤلاء الذين يدعون الرسول (ﷺ)، تجدهم في المسجد النبوي عند الدعاء يتجهون إلى القبر ويصمدون أمام القبر كصمودهم أمام الله في الصلاة أو أشد.

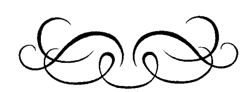
وفي هذا الحديث: دليل على أنه لا بأس بالندب اليسير إذا لم يكن مؤذنًا بالتسخط على الله (عز وجل)، لأن فاطمة ندبت الرسول (ﷺ) لكنه ندب يسير وليس ينم عن اعتراض على قدر الله (عز وجل).

وفيه دليل على أن فاطمة بنت محمد (رضي الله عنها) بقيت بعد موته ولم يبق من أولاده بعده إلا فاطمة، فكل أولاده من بنين وبنات ماتوا في حياته. بقيت فاطمة وليس لها ميراث ولا أزواجه ولا عمه العباس ولا أحد من عصبته لأن الأنبياء لا يورثون كما قال الرسول (ﷺ): «**إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**».

«متفق عليه»

وهذا من حكمة الله (عز وجل) لأنهم لو ورثوا لقال من يقول: إن هؤلاء جاءوا بالرسالة يطلبون ملكًا يورث من بعدهم. ولكن الله منع ذلك.

فالأنبياء لا يورثون بل ما يتركونه صدقة يصرف للمستحقين له، والله الموفق.





قصة
كرامة لأبي بكر (رضي الله عنه)

عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء وأن النبي (ﷺ) قال مرة: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس وبسادس**» أو كما قال، وإن أبا بكر (رضي الله عنه) جاء بثلاثة وانطلق النبي (ﷺ) بعشرة، وإن أبا بكر تعشى عند النبي (ﷺ) ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشيتهم؟، قالت: أبوا حتى تجيء وقد عرضوا عليهم، قال: فذهبت أنا، فاختبأت، فقال: يا غنثر، مجدع وسبَّ وقال: كلوا هنيئًا، والله لا أطعمه أبدًا، قال: وايم الله! ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس! ما هذا؟ قالت: لا، وقرة عيني، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان، يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي (ﷺ) فأصبحت عنده ـ وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل، فتفرقنا إثني عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون.

وفي رواية: فحلف أبو بكر لا يطعمه، فحلفت المرأة لا تطعمه، فحلف الضيف ـ أو الأضياف ـ أن لا يطعمه، أو يطعموه حتى يطعمه، فقال أبو بكر: هذه من الشيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربت من أسفلها أكثر منها، فقال: يا أخت بني فراس! ما هذا؟، فقالت: وقرة عيني إنها الآن أكثر منها قبل أن نأكل. فأكلوا، وبعث بها إلى النبي (ﷺ) فذكر أنه أكل منها.

وفي رواية: إن أبا بكر قال لعبد الرحمن: دونك أضيافك، فإني منطلق إلى النبي (ﷺ) فأفرغ من قراهم قبل أن أجيء، فانطلق عبد الرحمن، فأتاهم بما عنده، فقال: اطعموا، فقالوا: أين رب منزلنا؟ قال: اطعموا، قالوا: ما نحن بآكلين حتى يجيء رب منزلنا، قال: اقبلوا عنا قراكم، فإنه إن جاء ولم تطعموا، لَنَلقَيَنَّ منه. فأبوا، فعرفت أنه يجد علي، فلما جاء تنحيت عنه، فقال: ما صنعتم؟ فأخبروه، فقال: يا عبد الرحمن! فسكت، ثم قال: يا عبد الرحمن! فسكت، فقال: يا غنثر! أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي لما جئت فخرجت، فقلت: سل أضيافك، فقالوا: صدق، أتانا به، فقال: إنما انتظرتموني والله لا أطعمه الليلة، فقال الآخرون: والله لا نطعمه حتى تطعمه، فقال: ويلكم ما لكم لا تقبلون عنا قراكم؟ هات طعامك، فجاء به، فوضع يده، فقال: بسم الله، الأولى من الشيطان. فأكل وأكلوا.

«متفق عليه»

قوله: «غنثر» بغين معجمة مضمومة، ثم نون ساكنة، ثم ثاء مثلثة وهو: الغبي الجاهل، وقوله: «فجدع» أي شتمه والجدع: النطع، وقوله: «يجد علي» هو بكسر الجيم، أي: يغضب.

الشرح:

هذه القصة من باب كرامات الأولياء التي رواها أنس عن ما حصل للنبي (ﷺ)، وذلك أن قومًا من المهاجرين، كانوا يأتون إلى المدينة وهم قوم فقراء ليس عليهم إلا ثيابهم وليس عندهم شيء، وكان في المسجد صفة يأوون إليها، ثم ييسر الله لهم من يأتي إليهم ويحملهم معه إلى بيته ويطعمهم، في ذات ليلة قال النبي (ﷺ): «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب**

بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس» وهكذا، أي: أمر أصحابه أن يأخذوا معهم أصحاب الصفة ليطعموهم، وكان النبي (ﷺ) أكرم الناس، ذهب بعشرة (ﷺ) وذهب أبو بكر (رضي الله عنه) بأربعة وذهب الناس بعضهم بثلاثة، وبعضهم بأربعة، حسب حالهم، أبو بكر (رضي الله عنه) ذهب بأضيافه إلى بيته وأوصى ابنه عبد الرحمن أن يقوم بضيافتهم، وانطلق هو إلى النبي (ﷺ) لأنه (رضي الله عنه) كان أشد الناس ملازمة للرسول (ﷺ) يكون معه دائمًا فذهب إلى النبي (ﷺ) وتعشى عنده، ثم رجع إلى أهله وقد مضى شيء من الليل، فسألهم أأطعمتم أضيافكم؟ فقالوا: لا، فظهر أنهم هم الذين تأخروا عن أضيافهم حتى يأتي أبو بكر (رضي الله عنه) فجعل يسب ويجدع، يعني معناه أنه اشتد في سبه، ونادى ابنه عبد الرحمن، يا عبد الرحمن، فلم يجبه خوفًا منه ؛ لأنه (رضي الله عنه) كان شديدًا على أهله، في تأديبهم، فلم يجبه خوفًا من أن يتكلم عليه، أو يضربه، أو ما أشبه ذلك، حتى أقسم عليه أنه إذا كان يسمعه فليجبه، فأجابه، فقال لهم: لماذا أخرتم ضيافة القوم؟، قالوا: اسأل أضيافك. فسألهم، فقالوا: نعم! هم عرضوا علينا الضيافة، ولكن أبينا حتى تأتي. فأقسم (رضي الله عنه) أن لا يأكل، قال: والله ما آكل. يعني إنكم تأخرتم من أجلي إذن أنا لا آكل، وأقسم أن لا يأكل، فأقسم الأضياف أن لا يأكلوا، إكرامًا له، فصار عندنا الآن قسمان، قسم أبي بكر (رضي الله عنه) أن لا يأكل، وقسم الأضياف أن لا يأكلوا، فأيهم أولى؟، أن نبر بقسم أبي بكر ويأكل الأضياف، أم بقسم الأضياف ولا يأكلون، والثاني أولى، فقال (رضي الله عنه): إنما ذلك من الشيطان. يعني كونه يحلف ألا يأكل هذا من الشيطان، ثم أكل وأكل الأضياف، لكن الكرامة التي حصلت أن الواحد منهم إذا أخذ لقمة من الإناء ارتفع الإناء، صار بدل اللقمة أكثر منها في نفس الإناء من أين جاء هذا؟! من الله (عز وجل)

كرامـة لأبي بكر (رضي الله عنه)؛ لأنه أفضل أوليـاء هذه الأمة على الإطلاق؛ لأنه خير هذه الأمة، ثم انتهوا فوجدوا في الإناء أكثر مما كان فيه من قبل، فأخذه أبو بكر وذهب به إلى النبي (ﷺ)، ودعا (ﷺ) إليه أقوامًا فأكلوا.

وإنما حمله أبو بكر لـيريه النبي (ﷺ) وكيف كـان هذا الأمر من عند الله (عز وجل) الذي بيديه ملكوت كل شيء، وإذا أراد شيـئًا فإنما يقول له: كن. فيكون.

الشاهد من هذا الحديث:

هذه الكرامة لولي من أولياء الله وهو أبو بكر (رضي الله عنه) ونحن نشهد أنه من أولياء الله، وأنه أفضل أولياء الله على الإطلاق ما عدا النبيين والمرسلين، لأنه (رضي الله عنه) من الصديقين يعني في المرتبة الثانية من صالح الأمم، قال الله تعـالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩]. فـهو (رضي الله عنه) أفضل الصديقين منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الأرض ومـا عليها، وهو من أولياء الله، وهذه من كراماته (رضي الله عنه) وفي الحديث فوائد كثيرة والله الموفق.

من فـوائده: ذكرنا أن فيه دليلاً على فضيلة أبي بكر (رضي الله عنه) وأنه من أوليـاء الله، وذكـرنا أن أبا بكر هو أفـضل أولياء الله بـعد النبـيين، حـيث اخـتصـهم الله بالمرتبة الأولى وأبو بكر مـن الصديقين الذين هم في المرتبـة الثانيـة من أصناف الذين أنعم الله عليهم من النبـيين والصديقين والشـهداء والصالحين.

ومن فوائد هذا الحديث:

إن الإنسان إذا غضب بسبب يقتضي الغضب فإنه لا يلام عليه، لأن أبا

بكـر (رضي الله عنه) غضب فسب وجدع، وحتى أن ابنه عـبد الرحمن اختفى منه، وجعل ينادي ويقول: «يا غنثر» والغنثـر هو الغبي الجاهل فهذا دليل على أن الإنسان إذا غـضب لسبب يقتـضي الغضب فلا يلام عليـه، ولا يخدش من فضله ولا مرتبته.

وفـيـه أيضًا أنـه لا بأس أن الإنسان يـصف ابنه أو من له ولاية عليـه بالغباوة والجهل إذا فعل فعلا يقتـضي أنه غبي وجاهل فيه وإن كان من عادة الناس - حـتى في العهـد القديم - أن الضـيف والمضيف يحـصل منهم على الحلف والأيمان، مـثل والله تأكل والله مـا آكل، والله تدخل ، والله مـا أدخل، ولكنهم يحلفون بالله، أما ما يفعله كـثير من الجهلة اليوم، يحلفون بالطلاق، فهذا غلط، كثير من البادية إذا نزل بهم ضيف، وخاف الضيف أن صاحب البيت يذبح له ذبيحـة، قال: عليَّ الطلاق، وعليَّ الحرام، وامرأتي كأمي (والعـياذ بالله) إن ذبحت لي ذبيحـة، وهذا حرام ، «**من كـان حـالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

«متفق عليه»

فهذا لا يجوز، أما الحلف بالله فهنا قد جرت به العادة، قديمًا وهو من عـادات الناس، العرب وشـيمـهم، ومع هذا الأفـضل أنك إذا حلفت على إنسـان أن تقرنهـا بكلمة «إن شـاء الله» تقول: والله إن شـاء الله، لأنك إذا قلت: والله إن شاء استفدت فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: أن الله يسهل لك الأمر.

والفائدة الثـانية: أنه إذا لم يتيسر، لم يكن عليك كـفارة، فاقرن يمينك دائمًا بقول: «إن شاء الله» حتى تسلم من الحنث وحتى يتيسر لك الأمر.

ألم يأتكم نبأ سليمان؟ قـال يومًا من الأيام: والله! لأطوفن اليوم على

تسعين امرأة تلد كل منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، يعني يجامع تسعين امرأة كل امرأة تلد غلامًا يقاتل في سبيل الله، انظر كيف كان الأنبياء يحبون القتال، تمنى أن يرزقه الله هذا العدد الكبير من الأولاد ليقاتلوا في سبيل الله، ما قال ليعينوني «ليساعدوني» على التجارة، على الزراعة، على الدنيا، لا، يقاتلون في سبيل الله، فقيل له قل: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله؛ لأنه جاد عابد لكن وما تشاءون إلا أن يشاء الله، جامع تسعين امرأة في تلك الليلة، وقد أعطاه الله قوة، فما الذي حصل؟ ولدت واحدة منهن نصف إنسان أي: مشلول، آية من آيات الله ليريه الله (عز وجل) أن الأمر بيده (عز وجل) قال نبينا محمد (ﷺ): لو قال: «**إن شاء الله**»، **لم يحنث ولقاتلوا في سبيل الله**» يعني لو قال: إن شاء الله لسهل الأمر.

والنبي (ﷺ) لما جاءته قريش، قالوا: خبرنا عن قوم كانوا في الزمن الأول خرجوا من بلادهم وكانوا في غار، أو قالوا: حدثنا عن ذي القرنين، قال: «**غدًا أحدثكم**» والنبي (ﷺ) ما يعلم ولا يدري قصتهم؛ لأنه لم أدركها ولا هناك تواريخ موثوقة، فقال: «**غدًا أخبركم**» جاء الغد وما نزل الوحي عليه؛ لأن رسول الله (ﷺ) يعلم أن الوحي ينزل عليه بالليل، ما نزل الوحي في اليوم الثاني، وما نزل الوحي في الثالث، الرابع، الخامس، بقي خمسة عشر يومًا، وما نزل عليه الوحي وهذا سيكون شديدًا لأنه وعد قريش أعداءه أنه سوف يخبرهم في الغد، ولم يخبرهم، فأنزل الله القصة وقيل له: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

فالأمر بيد الله، لهذا نقول: إذا أردت أن تحلف، أي شيء على نفسك، على أولادك، على ضيفك، على أي إنسان، أقرن ذلك بكلمة «إن

شاء الله» لتحصل على هاتين الفائدتين وهما: التيسير أن الله ييسر الأمر ويعطيك ما حلفت عليه، والثاني أنه لو أخلفت الأمور فلا كفارة عليك، والله الموفق.

نكمل الكلام عن حديث أبي بكر (رضي الله عنه) السابق مع أضيافه:

ذكرنا أنه (رضي الله عنه) أقسم أن لا يأكل، ثم أقسم الأضياف أن لا يأكلوا، فلما رآهم أقسموا أكل، ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا حلف على شيء ثم رأى غيره خيرًا منه، فإنه يكفر عن يمينه ويفعل ما هو خير، وهذا قد دل عليه حديث صحيح عن النبي (ﷺ) فقال: «**إني -والله- إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني**».

«**متفق عليه**»

أو قال: «**إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير**» فإذا حلفت أن لا تكلم فلان ـ مثلاً ـ فالأفضل أن تحنث، وتكفر عن يمينك وتكلمه، وإذا صار بينك وبينه شيء، وقلت: والله ما أطرق عليك البيت، أو لا أزوره، قلنا له: زره وكفر عن يمينك ما في ذلك إثم، وكذلك إذا حلف الإنسان على ولده إن فعل شيئًا أن لا أكلمك، فـفعل الولد الشيء، فليكلمه ويكفر عن يمينه، المهم إنك إن حلفت على شيء ثم رأيت أن الخير في عدم وفائك باليمين، فلا تف بيمينك وكفر عنه.

ومن فوائد الحديث أيضًا:

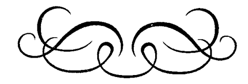
إن الإنسان إذا حلف على شخص يريد إكرامه، ثم لم يفعل فإنه لا كفارة عليه، لأن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يكفر عن يمينه، يعني لم ينقل أنه كفَّر، هكذا استدل بعض العلماء بهذا الحديث، لكنه استدلال ضعيف، لأن

حديث أبي بكر هذا ليس منه أنه كفر ولا أنه لم يكفر.

فهو إذًا محتمل أن يكون كفر ولم يذكر، أو محتمل أن يكون لم يكفر، لكن عندنا نصوص بينة واضحة على أن من حنث في يمينه فعليه الكفارة، سواء كان الحنث من فعله أو من فعل الغير، وعلى هذا نقول: إذا حلفت على شخص إكرامًا له ولم يفعل فعليك الكفارة، مثال ذلك، وقفت أنت وشخص أمام الباب في دعوة دعاكم إليها صاحب البيت ففتح الباب، فقال لك: ادخل، قلت: والله ماأدخل، والله تدخل أنت، قال: لا أدخل، فهنا نقول: إذا دخلت فإنك تكفر عن يمينك وإن كان حلفك من أجل الإكرام لكنك حنثت، فإذا حنثت في يمينك فعليك الكفارة سواء كان ذلك إكرامًا أو حنثًا أو غير ذلك، فإذا قال قائل: أبو بكر (رضي الله عنه) هو الذي حلف أولاً وكان على الضيوف أن يبروا بيمينه، ولكنهم حلفوا، فإذا تحالف اثنان، أحدهم يقول كذا، والثاني يقول كذا، فأيهما أولى؟ قلنا: الأولى أن يكون الذي حلف الأول هو الذي تبر بيمينه، لأنه أسبق وقد أمر النبي (ﷺ) بإبرار القسم، فعلى هذا فيكون الثاني هو الذي حصل منه نوع الخطأ، فإذا قلت: والله لتفعلن كذا فقلت أنت: والله لا أفعله، فأيهما الذي تسري يمينه الأول أم الثاني؟ الأول؛ لأنه هو الذي حلف أولاً، لكن أبا بكر (رضي الله عنه) من تواضعه، أكل من أجل إكرام الضيوف.

وفي حديث أبي بكر (رضي الله عنه) من الفوائد: إن الإنسان ينبغي له أن يكرم الضيف، بل إكرام الضيف من تمام الإيمان، لقول النبي (ﷺ): «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» وحق الضيافة الواجب يوم وليلة، وثلاثة أيام سُنة، وما زاد عن ذلك فهو أمر مباح، لكن الواجب يوم وليلة، وقد قيد بعض العلماء هذا فيما إذا كان البلد ليس فيها مطاعم فلا يجب

عليك، تقول له: اذهب إلى المطعم، ولكن تعينه بما تيسر من النقود، والصحيح في هذه المسألة أن الناس يختلفون، من الناس أي من الضيوف من يرى أن ذهابه إلى المطعم فيه إهانة، فهذا لابد أن تضيفه في بيتك، ومنهم من يكون الأمر عنده سواء فهنا لا حرج عليك أن تقول: يا أخي هذه دراهم اذهب إلى المطعم الفلاني، كذلك أيضًا إذا كانت البلد فيها فنادق، فإنه في هذه الحال لو قيل بأنه لا يجب كما قال بعض أهل العلم، لكن الفندق يأتي إليه الشريف والوضيع وكل شخص، لكن لا شك أن الإنسان إذا قصدك وأتى إلى بيتك وقال: أنا ضيفك، أن الأولى أن تضيفه، إلا أن يكون في ذلك ضرر أو تفويت مصالح أهم، فلكل مقام مقال. والله الموفق.





قصة
فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

عن أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه**».

قال عمر (ﷺ): ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، فدعا رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب (ﷺ) فأعطاه إياها، وقال: «**امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**».

فسار علي شيئًا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**».

«رواه مسلم»

«**فتساروت**» هو بالسين المهملة: أي وثبت متطلعًا.

الشرح:

عن أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله**»، وفي رواية: «**ويحبه الله ورسوله**».

يوم خيبر: يعني غزوة خيبر، خيبر حصون ومزارع كانت لليهود تبعد عن المدينة نحو مائة ميل نحو الشمال الغربي، فتحها النبي (ﷺ) كما هو معروف في السير، وكان الذين يعملون فيها اليهود، فصالحهم النبي (ﷺ)، على أن يبقوا فيها مزارعين بالنصف، لهم نصف الثمرة وللمسلمين نصف الثمرة، وبقوا على ذلك حتى أجلاهم عمر بن الخطاب (ﷺ) في خلافته أجلاهم إلى الشام وإلى أذرعات.

قال النبي (ﷺ): «**لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله**».

الراية: هي ما يسمىٰ عندنا العلم، يحمله القائد من أجل أن يهتدي به الجيش وراءه.

وقوله «**رجلاً**» نكرة لا يعلم من هو، قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ رجاء أن يصيبه ويلوكون ويدوكون كل منهم يرجو أن يعطاها، فلما أصبحوا دعا النبي (ﷺ) علي بن أبي طالب ابن عمه قالوا: يا رسول الله! إنه يشتكي عينيه. يعني عنده وجع في عينيه فدعا به فجاء فبصق في عينه فبرأ كأن لم يكن به وجع في الحال والله علىٰ كل شيء قدير، ثم أعطاه الراية، وقال: «**امش ولا تلتفت حتىٰ يفتح الله**». ففعل (رضي الله عنه) فلما مشىٰ قليلاً وقف، ولكنه لم يلتفت؛ لأن النبي (ﷺ) قال له: «**لا تلتفت**»، فصرخ بأعلىٰ صوته: يا رسول الله! علىٰ ماذا أقاتلهم؟ قال: «**قاتلهم حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**».

هذه الكلمة كلمة عظيمة، لو وزنت بها السموات والأرض لرجحت بالسموات والأرض، هذه الكلمة يدخل بها الإنسان من الكفر إلىٰ الإسلام فهي باب الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، «**فإذا فعلوا فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله**».

يعني إذا قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإنهم لا يقاتلون، منعوا دماءهم وأمولاهم إلا بحقها، أي بحق لا إله إلا الله، أي بالحقوق التابعة لها، لأن **لا إله إلا الله** ليست مجرد لفظة يقولها الإنسان بلسانه، بل لها شروط ولها أمور لابد أن تتم.

ولهذا قيل لبعض السلف: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ فقال: نعم! مفتاح الجنة لا إله إلا الله، لكن لا بد من عمل، لأن المفتاح يحتاج إلىٰ أسنان.

وقد صدق -رحمه الله- المفتاح يحتاج إلى أسنان لو جئت بمفتاح بدون أسنان ما فتح لك.

إذن قول الرسول (ﷺ): «**إلا بحقها**» يشمل كل شيء يكفر به الإنسان مع قول لا إله إلا الله، فإن من كفر وإن كان يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكنه أتى بمكفر فإن هذه الكلمة لا تنفعه ولهذا كان المنافقون يقولون: لا إله إلا الله. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، هيئتهم، وشكلهم كأنهم أكمل المؤمنين إيمانًا، ويأتون الرسول (ﷺ) يقولون له: نشهد أنك لرسول الله. الكلام مؤكد بثلاثة مؤكدات «نشهد» و«إن» «واللام» في «لرسول الله» فقال رب العزة والجلال الذي يعلم ما في الصدور: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون: ١].

أعطاهم شهادة بشهادة، يشهد أن المنافقين لكاذبون، وأكد الله (عز وجل) كذب هؤلاء في قولهم: نشهد أنك لرسول الله بثلاثة مؤكدات.

فليس كل من قال: لا إله إلا الله. يعصم دمه وماله، لأن النبي (ﷺ) استثنى فقال: «**إلا بحقها**».

ولما منع الزكاة من منعها من العرب بعد وفاة النبي (ﷺ) واستعد أبو بكر (رضي الله عنه) لقتالهم، تكلم معه من تكلم من الصحابة، وقالوا: كيف نقاتلهم وهم يقولون: لا إله إلا الله؟ قال (رضي الله عنه): والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، الزكاة حق المال، وقد قال النبي (ﷺ): «**إلا بحقها**» فقاتلهم (رضي الله عنه) على ذلك، وانتصر ولله الحمد.

فالحاصل أنه ليس كل من قال: لا إله إلا الله. فإنه يمنع دمه وماله ولكن لا بد من حق، ولذلك قال العلماء -رحمهم الله- : لو أن قرية من القرى تركوا الأذان والإقامة فإنهم لا يكفرون ولكن يقاتلون وتستباح دماؤهم

حتى يؤذنوا ويقيموا، مع أن الأذان والإقامة ليسا من أركان الإسلام، لكنها من حقوق الإسلام، قالوا: لو تركوا صلاة العيد ـ مثلاً ـ مع أن صلاة العيد ليست من الفرائض الخمسة، لو تركوا صلاة العيد وجب قتالهم، يقاتلون بالسيف والرصاص حتى يصلوا العيد، مع أن صلاة العيد فرض كفاية أو سُنة عند بعض العلماء، أو فرض عين على القول الراجح، لكن الكلام على أن القتال قد يجوز مع إسلام المقاتلين ليذعنوا لشعائر الإسلام الظاهرة، ولهذا قال هنا: «**إلا بحقها**».

وفي هذا الحديث: دليل على أنه يجوز للإنسان أن يقول: لأفعلن كذا في المستقبل وإن لم يقل: إن شاء الله، ولكن يجب أن نعلم الفرق بين شخص يخبر عما في نفسه وشخص يخبر أنه سيفعل، يعني يريد الفعل أما الأول فلا بأس أن يقول: سأفعل بدون إن شاء الله، لأنه إنما يخبر عما في نفسه.

وأما الثاني الذي يريد أنه يفعل أي يوقع الفعل فعلاً، فهذا لا يقل إلا مقيدًا بالمشيئة، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

فهناك فروق بين من يخبر عما في نفسه وبين من يقول إنني سأفعل غدًا، غدًا ليس إليك، ربما تموت قبل غد، وربما تبقى ولكن يكون هناك موانع وصوارف، وربما تبقى يصرف الله همتك عنه، كما يقع كثيرًا، كثيرًا ما يريد الإنسان أن يفعل فعلاً غدًا أو في آخر النهار، ثم يصرف الله همته.

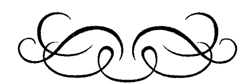
ولهذا قيل لبعض الأعراب: والأعراب ـ سبحان الله ـ عندهم أحيانًا جواب فطري، بم عرفت ربك؟ فأجاب أحدهم قائلاً: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج،

وبحار ذات أمــواج، ألا تدل على السميع البــصير؟ -الله أكبــر- أعرابي لا يعرف لكنه استدل بعقله، هـذه الأمــور العظيمة ألا تدل على خالق يخلقها ويدبرها؟ بلى والله.

وسئل آخر:

بم عرفت ربك؟ قــال: بنقص العزائم وصــرف الهمم، فكيــف هـذا؟ يعزم الإنســان على شيء ثم تنتقص عزيمتــه بدون أي سبب ظاهر، إذن من الذي نقــصهــا؟ الذي نقص العــزيمة هو الذي أودعــها أولاً، وهو الله (عــز وجل) وصــرف الهــمم حيث يهــم الإنسان بالشــيء وربما يبدأ به فــعــلاً ثم ينصرف.

لذا نقـــول: إن في هـذا الحـديث دليلاً على أن الإنســان له أن يقول: سأفعل كذا. إخــبارًا عما في نفسه، لا جزمًا بأن يفــعل، لأن المستقبل لله، لكن إذا أخبرت عما في نفسك فلا حرج.





قصة
كرامة لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)

عن جابر بن سمرة (رضي الله عنهما)، قال: شكا أهل الكوفة سعدًا، يعني: سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق! إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله (ﷺ) لا أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأوكد في الأولين، وأخف في الأخريين، قال: ذلك الظن بك يا أبا إسحق، وأرسل معه رجلاً -أو رجالاً- إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكني أبا سعدة، فقال: أما إذا ناشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، وكان بعد ذلك إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطريق فيغمزهن.

«متفق عليه»

الشرح:

هذه من الكرامات، وهي ما رواه جابر بن سمرة في قصة سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، وكان سعد معروفًا بإصابة الدعوة «مستجاب الدعوة» يعني أن الله أعطاه كرامة وهو أن الله (تعالى) يجيب دعوته إذا دعا، وقد جعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أميرًا على أهل الكوفة، لأن المسلمين لما فتحوا العراق مصروا الأمصار وجعلوا البصرة والكوفة وهما أشهر ما يكون

في العراق، ثم إن أمير المؤمنين جعل لهم أمـراء، فأمر سعد بن أبي وقاص على الكوفه، فشكاه أهل الكوفه إلى أميـر المؤمنين عمر، حتى قالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، وهو صحابي جليـل شهد له النبي (ﷺ) بالجنة، فأرسل إليه عـمر، فحـضر وقـال له: إن أهل الكوفة شكوك حـتى قالوا: إنك لا تحسن تصلي، فأخـبره سعد (رضي الله عنه) أنه كان يصلي بـهم صلاة النبي (ﷺ) وذكر صـلاة العشـاء وكأنها -والله أعلم- هـي التي وقع تعيينـها من هؤلاء الشكاة، فـقال: إني لأصلي بـهم صلاة رسـول الله (ﷺ)، لا أخرم عنهـا يعني لا أدعها، فكنت أطول في العشاء بالأولين وأقصر في الأخريين، فقال له عمر (رضي الله عنه): ذلك الظن يا أبا إسحاق، فزكاه عمر؛ لأن هـذا هو الظن به، أنه يحسن الصلاة وأنه يصلي بقومه الذين أمر عليهم صلاة النبي (ﷺ) ولكن مع ذلك تحـرى عـمـر (رضي الله عنه)، لأنه يتحـمل المسئـولية ويعـرف قدر المسئولية، أرسل رجالاً إلى أهل الكوفة، يسألونهم عن سعد إلا وأثنوا عليه معروفًا، حـتى أتى هؤلاء الرجال إلى مسجد بني عبس،، فـسألوهم، فقام رجل فقال: أما ناشـدتمونا، فإن هـذا الرجل لا يعدل في القضـية ولا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، فقـوله: «لا يسير بالسرية»، يعني: لا يخرج في الجهاد، و«لا يقـسم بالسوية» إذا غنم و«لا يعدل في القـضية» إذا حكم بين الناس، فـاتهمـه هـذه التهم، فـهي تهم ثلاثة، فـقـال: إما إن قلت كـذا «المتحدث سـعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)»، فلأدعون عليـك بثلاث دعوات، دعا عليه أن يطيل الله تعـالى عمره وفقره ويعرضـه للفتن ـ نسأل الله تعالى العافية ـ ثلاث دعـوات عظيمة، لكنه (رضي الله عنه) استثنى، قـال: إن كان عبدك هـذا قام رياء وسمعـة يعني لا بحق، فأجاب الله دعاءه، فكان هـذا الرجل طويل العمر، عـمر طويلاً وشاخ حتى إن حـاجبيه سقطت علـى عينيه من الكبر، وكان فقـيرًا وعرض للفتن، حتى وهو في هـذه الحـال وهو كبير إلى

هـٰذا الحـد كان يتعـرض للجواري، يتعـرض لهن في الأسواق ليغـمزهن ـ والعياذ بالله ـ وكان يقول في نفسه: شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد.

فهـٰذه من الكرامات التي أكرم بها الله سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه).

وفيه فوائد عديدة ومنها:

أن من تولى أمرًا في الناس فإنه لا يسلم منهم مهـما كانت منزلته، لا بد أن يناله السوء، ولهـٰذا قال ابن الوردي في منظومته المشهورة التي أولها:

اعتزل ذكرى الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكـرى لأيـام الصـبى فلأيام الصـبى نجـم أفـل

قال فيها من جملة ما قال من حكم:

إن نصف الناس أعـداء لمن ولي الأحكام هـٰـذا إن عـدل

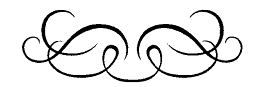
ومن الفوائد أيضًا في هـٰذا الحـديث جواز دعاء المظلوم على ظالمه بمثل ما ظلمـه كما دعا سعـد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بهـٰـذه الدعـوات على من ظلمه، ومن فـوائدها: إن الله (تعالى) يستـجيب دعاء المظلوم، ولهـٰذا قال النبي (ﷺ) لمعـاذ بن جبل حين بعث إلى اليـمن وأمره أن يأخـذ الزكاة من أموالهم، قال: «**إياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

«متفق عليه»

فالمظلوم يستجيب الله دعاءه حتـى ولو كان كافرًا فلو كان كافرًا وظلم ودعا على من ظلمه أجاب الله دعاءه، لأن الله حكم عدل (عز وجل) يأخذ الإنصاف والعدل لمن كان مظلومًا ولو كان كافرًا، فكيف إذا كان مسلمًا؟ إنه يجوز للإنسان أن يسـتثني في الدعاء، إذا دعا على شخص يستـثني فيقول:

اللهم إن كان كذا فافعل به كذا، اللهم إن كان ظلمني فأنصفني منه أو فابتله بكذا وكذا تدعو بمثل ما ظلمك، وقد جاء الاستثناء في الدعاء في القرآن الكريم فقال الله (تبارك وتعالى): ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۞ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور: ٦ ـ ٩].

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: حرص أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) على الرعية وتحمله المسئولية والإحساس بها وشعوره بها (رضي الله عنه) ولهذا اشتهر بعدالته وحسن سياسته في الأمور كلها: الحربية والسلمية والدينية والدنيوية، فهو في الحقيقة خير خلف بعد أبي بكر، بل حسنة من حسنات أبي بكر (رضي الله عنه) لأن الذي ولاه على المسلمين هو أبو بكر (رضي الله عنه)، فالحاصل أن هذا الحديث فيه فوائد نقتصر منها على ذلك، والله الموفق.





قصة
كرامة لسعيد بن زيد (رضي الله عنه)



عن عروة بن الزبير أن سعيد بن عمرو بن نفيل (رضي الله عنه) خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم، وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله (ﷺ) قال: ماذا سمعت من رسول الله (ﷺ)؟ قال: سمعت من رسول (ﷺ) يقول: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا، طوقه إلى سبع أرضين**» فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

«متفق عليه»

وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه وأنه رآها عمياء تلتمس الجدر وتقول: أصابتني دعوة سعيد، وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها، فوقعت فيها وكانت قبرها.

الشرح:

من كرامات الأولياء أن الله (سبحانه وتعالى) يجيب دعوتهم، حتى يدركوها بأعينهم، فهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، (رضي الله عنه) أحد العشرة المبشرين بالجنة، خاصمته امرأة ادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته عند مروان، فقال: أنا آخذ من أرضها شيئًا بعدما سمعت من رسول الله (ﷺ)؟ قالوا: وماذا سمعت؟ قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: «**من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين - أو - طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**» يعني فكيف آخذ منها بعدما سمعت هذا من النبي (ﷺ)؟ كل مؤمن يؤمن بالله ورسوله، إذا سمع مثل هذا الخبر الصادر عن الصادق المصدوق (ﷺ) فإنه لا يمكن أن يظلم أحدًا من أرضه ولا شبرًا، فالرسول (ﷺ) يخبر

أنك لو أخذت شبرًا من الأرض وقيده بالشبر من باب المبالغة وإلا فإن أخذ أقل من ذلك ولو كان سنتيمتر واحد فإنه يطوق به يوم القيامة من سبع أرضين، إذا كان يوم القيامة جاءت هذه القطعة التي أخذها مطوقة في عنقه من سبع أرضين؛ لأن الأرضين سبع طباق، كما قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾[الطلاق: ١٢].

والإنسان إذا ملك أرضًا، ملك قعرها إلى أسفل السافلين، إلى الأرض السابعة، وإذا ملكها أيضًا ملك هواءها إلى الثريا، لا أحد يستطيع أن يبني فوقه جسرًا أو أن يحفر تحته خندقًا، لأن الأرض له إلى أسفل السافلين، وإلى أعلى السماء، كلها له، إذا كان يوم القيامة وهذا قد اقتطع شبرًا من الأرض بغير حق فإنه يأتي يوم القيامة مطوقًا به عنقه ـ نسأل الله العافية ـ .

وعند جميع العلماء كل شيء محشور يوم القيامة حتى الوحوش تحشر حتى الإبل حتى البقر حتى الغنم كلها تحشر يوم القيامة، وهذا يشاهد حاملا هذه الأرض (والعياذ بالله) من سبع أرضين، ولهذا قال النبي (ﷺ): «**لعن الله من غيّر منار الأرض**».

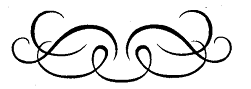
«أحمد ومسلم»

غير منارها: أي غير مراسيها فأدخل شيئًا ليس له، وفي هذا دليل على أن قصف الأرض أو أخذ شيء بغير الحق من كبائر الذنوب؛ لأن عليه هذا الويل العظيم واللعن وأنه يحمل به يوم القيامة، فما بالك بقوم اليوم يأخذون أميالاً بل أميال الأميال ـ والعياذ بالله ـ بغير الحق، يأخذونها يضيقون بها مراعي المسلمين، ويحرمون المسلمين من مراعيهم، أو من طرقهم أو ما أشبه ذلك، هؤلاء سوف يطوقون ما أخذوا يوم القيامة ـ والعياذ بالله ـ؛ لأنهم أخذوها بغير حق، المراعي للمسلمين عمومًا، الخطوط والطرقات للمسلمين عمومًا، الأودية أودية الأمطار

للمسلمين عمومًا.

ولهذا قال العلماء: إن الإنسان لا يملك بالأحياء ما قرب من عامر وهو يتعلق بمصلحة هذا العامر، حتى لو أحياها وغرسها يقلع غرسه ويهدم بناؤه إذا كان هذا يتعلق بمصالح البلد، والبلد ليست ملكًا لفلان أو علان بل هي لعموم المسلمين، حتى لو فرضنا أن ولي الأمر أقطع هذا الرجل من الأرض التي يحتاجها أهل البلد فإنه لا يملكها بذلك لأن ولي الأمر إنما يفعل لصالح المسلمين، لا يخص أحدًا بمصالح المسلمين دون أحد، وهذه المسألة خطيرة للغاية، ولهذا لما ارتفعت قيمة الأراضي صار الناس ـ والعياذ بالله ـ يعتدي بعضهم على بعض، يدعي أن الأرض له وهي ليست له يكون جارًا لشخص ثم يدخل شيئًا من أرضه إلى أرضه، وهذا على خطر عظيم، حتى إن العلماء ـ أقول لكم كلامًا ما تعجبون منه ـ قالوا: لو أن إنسانًا بنى جدارًا ثم زاد في لياصته «المحارة» إذا زاد في لياصته دخل على السور سنتيمترًا في اللياصة فإنه يكون ظالمًا ويكون بذلك معاقبًا عند الله يوم القيامة، إلى هذا الحد الآن ـ والعياذ بالله ـ يبلعون أميالاً أو أمتارًا مع هذا الوعيد الشديد، سعيد بن زيد (رضي الله عنه) لما حدث مروان بهذا الحديث، قال: الآن لا أطلب عليك بينة، لأنه عارف أن سعيد لا يمكن أن يأخذ من أرض هذه المرأة بدون حق أما المرأة فقال سعيد (رضي الله عنه): اللهم ! إن كانت كاذبة فأعم بصرها وأهلكها في أرضها، فماذا كان؟ كانت هذه المرأة أعماها الله (عز وجل) قبل أن تموت وبينما هي تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت فكانت البئر قبرها في نفس الأرض التي كانت تخاصم سعيد بن زيد (رضي الله عنه) فيها، وهذه من كرامة الله (عز وجل) لسعيد بن زيد (رضي الله عنه) أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيًا قبل أن يموت، وقد سبق لنا أن المظلوم تجاب دعوته ولو كان كافرًا، إذا كان مظلومًا، لأن الله تعالى ينتصر للمظلوم من الظالم؛ لأن الله تعالىٰ حكم عدل لا يظلم ولا يمكن أحدًا من

الظلم، وقد قال الله (تعالى) في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ فالظالم لا يفلح أبدًا، ولذلك انظر إلى هذه القصة وإلى قصة سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) التي ذكرناها سابقًا وكيف أجاب الله الدعوة، وهذه هي عادة الله (سبحانه وتعالى) في عباده، نسأل الله أن يحمينا وإياكم من الظلم، **والله الموفق**.





قصة
كرامة لأسيد بن حضير
وعباد بن بشر

عن أنس (رضي الله عنه) أن رجلين من أصحاب النبي (ﷺ) خرجا من عند النبي (ﷺ) في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله.

«رواه البخاري من طرق وفي بعضها أن الرجلين: أسيد بن حضير، وعباد بن بشر (رضي الله عنهما)».

الشرح:

هذا حديث في باب كرامات الأولياء وفضلهم وهو حديث الرجلين: أسيد بن حضير وعباد بن بشر(رضي الله عنهما)، كانا عند النبي (ﷺ) في ليلة مظلمة وكان في ذات الوقت ليس في الأسواق أنوار بل ولا في البيوت مصابيح، فخرجا من عند النبي (ﷺ) في تلك الليلة المظلمة، فجعل الله (تعالى) بين أيديهما مثل المصباحين، يعني مثل لمبة الكهرباء تضيء لهما الطريق، وليس هذا من فعلهما ولا بسبب منهما ولكن الله (تعالى) خلق نورًا يسعى بين أيديهما حتى تفرقًا، وتفرق النور مع كل واحد منهما، حتى بلغا بيوتهما، وهذه كرامة من الله (عز وجل)، ومن كرامة الله (تعالى) أنه يضيء للعبد الطريق، الطريق الحسي وفائدته الحسية، فإن هذين الرجلين (رضي الله عنهما) وأرضاهما مشيا في إضاءة ونور بينما الأسواق ليس فيها إضاءة ولا أنوار والليلة مظلمة، فقيض الله لهما هذا النور .

هناك أيضًا نور معنوي يقذفه الله (تعالى) في قلب المؤمن كرامة له، تجد بعض العلماء يفتح الله عليه من العلوم العظيمة الواسعة في كل فن، ويرزقه الله الفهم والحفظ والمجادلة، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ فإن هذا الرجل مَنَّ الله به على الأمة الإسلامية، وما زالت الأمة الإسلامية تنتفع بكتبه إلى يومنا هذا وقد توفي (رحمه الله) سنة ٧٢٨ هـ يعني منذ مئات السنين، والأمة تنتفع بكتبه .

وقد أعطاه الله (تعالى) علمًا عظيمًا، وفهمًا ثاقبًا، وقوة في المجادلة ولا

أحد يستطيع أن يجادله في شيء أبـدًا، ما قام له أحـد، حتى إنه (رحـمه الله) قال: أي إنسان يجادلني بالباطل ويستدل بآيات أو حديث فإنني أنا سأجعل الآية والحديث دليـلاً عليه وليست دلـيلاً له، وهذا من نعمـة الله (عز وجل)، أن الله تعالى يعطي الإنسان قدرة إلى هذا الحد، وحتى أنه يتكلم مع المجادلين ويناظرهم ثم يقول لهم: انظروا إلى قـول فلان من زعمائهم في كتـابه الفلاني مع أن أتباع هذا الرجل الذي يجادلون فيه شيخ الإسلام لا يعلمـون عن كتبه شيئًا وهو يعلم ما في كتـبه ، ومناظرته في العقيدة الواسـطية مع القاضي المالكي عجيـبة، كان القـاضي المالكي يحـاول أن يجعل الـسلطان يبطش به، لكنه هو يقـول: هذا لا يمكن ولا يجري على مذهبكم وأنتم ـ أيهـا المالكية ـ قلتم كذا وكذا. ولا يمكن أن يدين للوالي في هذا الذي ذكرت بنـاء على مذهبكم، فيبـهت الرجل، كيف يعرف من مذهبنا مالا نعلم، وله أيضًا (رحـمه الله) في كل فن يد واسعة، كان عالمًا في النحـو والعربية، والصرف والبـلاغة، حتى إن تلميذه ابـن قيم الجوزية (رحمه الله) في بدائع الفوائد بحث بحثًا دقـيقًا جدًا جدًا في الفرق بين « مدح» و «حمد» وكيف تفـرق اللغة العربية، بين المعاني في الكلمـات بتقديم حرف أو تأخيره، وأتى ببـحث عجيب، ثم قال: وكان شيـخنا (رحمه الله) إذا تكلم في هذا أتى بالعجب العجاب، يعني في مسألة اللغة العربية والصرف.

ولكنه كما قال الشاعر:

تألق البريق نجيا فقلت له

إليك عني فإني عنك مشغول

يعني شيـخ الإسلام مشـغول بما هو أكـبر من مسـألة نحوية أو بلاغـية أو صرفـية، فهو مـشغول بأكبـر من هـذا، وفي يوم مـن الأيـام قـدم مصـر وكان

فيها أبو حيان اللغوي المشهور والمفسر من الكبير في هذا الباب، وكان أبو حيان يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وله في مدحه قصيدة عصماء، منها قوله:

تمام ابن تيمة في نصر شرعتنا   مقام سيد تيم إذا عصت مضر

وسيد تيم هو أبو بكر (ﷺ)، يعني أنه قام في الإسلام في محنة الإسلام والبدع مقام أبي بكر في يوم المحن ومدحه في قصيدة عصماء، فلما قدم مصر، جاء الناس إلى شيخ الإسلام ابن تيمية يستفيدون من علمه ويناقشونه وكان من بينهم أبو حيان، فناقشه في مسألة نحوية، لأن أبا حيان بحر محيط في النحو ناقشه في مسألة نحوية فقال له شيخ الإسلام: هذا غلط ليس هذا من كلام العرب، فقال له: كيف وسيبويه إمام النحو ذكر هذا في كتابه، فقال له شيخ الإسلام: وهل سيبويه نبي نحو يجب علينا أن نتبعه؟ لقد أخطأ سيبويه في كتابه في أكثر من ثمانين موضعًا لا تعلمه أنت ولا سيبويه، سيبويه عند النحويين مثل البخاري عند أهل الحديث، فتعجب أبو حيان، كيف يقول هذا الكلام، ثم إنه ذهب عنه فأنشأ فيه قصيدة يذمه ـ والعياذ بالله ـ، بالأمس يمدحه والآن يذمه.

المهم إني أقول: إذا كان الله (تعالى) يعطي بالكرامات نورًا حسيًا يستضيء به الإنسان كما حدث لهذين الصحابيين، فكذلك يعطي الله نورًا معنويًا يقذفه في قلب العبد المؤمن، نسأل الله نورًا معنويًا يقذف في قلوبنا وإياكم نورًا، يستطيع الإنسان به أن يتكلم في شريعة الله وكأن النصوص بين عينيه، وهذا من نعم الله على العبد، فنسأل الله (تعالى) أن يجعلنا من أوليائه المتقين وعباده الصالحين.



قصة
كرامة لعبد الله بن حرام (رضي الله عنه)

عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: لما حضرت أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي (ﷺ)، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله (ﷺ)، وإن علي دينًا فاقض، واستوص بأخوانك خيرًا. فأصبحنا، فكان أول قتيل، ودفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه، فجعلته في قبر على حدة.

«رواه البخاري»

الشرح:

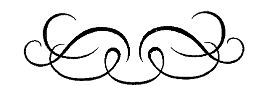
سبق لنا بيان شيء من كرامات الأولياء وفضلهم، وذكر في هذا الحديث ما جرى لعبد الله بن حرام (رضي الله عنه) والد جابر بن عبد الله، فإنه أيقظ ابنه جابر ليلة من الليالي وقال: ما أراني إلا أول قتيل مع رسول الله (ﷺ)، وذلك قبيل غزوة أحد، ثم أوصاه وقال: إني لن أترك من بعدي أحدًا أعز منك بعد رسول الله (ﷺ)، وأوصاه بأن يقضي دينًا كان عليه، وأوصاه بإخوانه ثم كانت الغزوة فقاتل عبد الله بن حرام (رضي الله عنه) وقتل، وكان القتلى في ذلك اليوم سبعين رجلاً فكان يشق على كل المسلمين أن يحفروا لكل رجل قبرًا، فجعلوا يدفنون الاثنين والثلاثة في قبر واحد، فدفن مع أبي جابر عبد الله بن حرام رجل آخر، ولكن جابر (رضي الله عنه) لم تطب نفسه حتى فرق بين أبيه وبين من دفن معه، فحفر بعد ستة أشهر من دفنه فوجده كأنه دفن اليوم، لم يتغير إلا شيء في أذنه، شيئًا يسيرًا، ثم أفرده في قبر، أما جابر (رضي الله عنه) فقد وفى دين أبيه واستوصى بأخواته خيرًا حتى تزوج بعد ذلك -أعني جابرًا- فقد تزوج بعد ذلك وتزوج امرأة ثيبا فسأله النبي (ﷺ): **«هل تزوجت؟»** قال: نعم، قال: **«بكرًا أم ثيبا؟»** قال: ثيبا، قال: **«فهلا**

تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك»، فقال: يا رسول الله! إن أبي ترك أخوات لي. وذكر أنه أخذ الثيب لتقوم عليهن «لتقوم على خدمتهن».

«متفق عليه»

وفي هذا الحديث كرامة لأبي جابر وهو عبد الله بن حرام أنه (رضي الله عنه) صدق الله في رؤياه فصار أول قتيل في أحد، دفن ولم تأكل الأرض منه شيئًا إلا يسيرًا وقد مضى عليه ستة أشهر وهذا من كراماته ،اعلم أن الإنسان إذا دفن فإن الأرض تأكله لا يبقى إلا عجب الذنب، وعجب الذنب هذا يكون كالنواه لخلق الناس يوم القيامة، تنبت منه الأجساد، إلا الأنبياء (عليهم السلام) فإن الأرض لا تأكلهم، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» أما غير الأنبياء فإن الأرض تأكل أجسادهم، ولكن قد يمنع الله الأرض أن تأكل أحدًا كرامة له. والله الموفق.

«صحيحه أبو داود (٦٢٢) السلسلة (١٥٢٧)»





قصة
خبيب بن عدي وأصحابه

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: بعث رسول الله (ﷺ) عشرة رهط عينًا سرية، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه) فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهداة، بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو الحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه، لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا، فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم! أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك (ﷺ). فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب، وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم، فربطوهم بها، قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب، وزيد بن الدثنة، حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبًا، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله مارأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، فوالله لقد رأيته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت: اللهم احصهم عددًا، وقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإلـه وإن يشأ يبارك على أوصـال شـلو ممزع

وكان خبيب هو الذي سَنَّ لكل مسلم قُتل صبرا الصلاة وأخبر - يعني النبي (ﷺ) - أصـحابه يوم أصـيبـوا خـبرهم، وبعث ناس من قـريش إلى عاصم بن ثابت حين حـدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف، وكـان قتل رجلاً من عظمـائهم، فبـعث الله لعاصم مثل الظلة مـن الدبر، فحمـته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا.

«رواه البخاري»

قوله: الهداة: موضع، والظلة: السحاب، والدبر: النحل.

وقوله: اقتلهم بددًا: بكسر الباء وفتحـها، فمن كسر، قال: هو جمع «بدة» بكسر الباء، وهو النصيب، ومعناه اقتلهم حـصصًا منقسمة لكل واحد منهم نصيب، ومن الفتح، قال: معناه: متـفرقين في القتل واحدًا بعد واحد من التبديد.

الشرح:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في قصة عاصم بن ثابت الأنصاري وصحبه، أرسلهم النبي (ﷺ) وهم عـشـرة عـينا سرية، عـينًا يعني مـن الجواسـيس للعـدو، سرية يعني أخـفاهم (ﷺ)، فـلما وصلوا قـرب مكة، شعـر بهم جماعـة من هزيل، فخرجـوا إليهم في نحو مائة رجل رام، يعني يـجيدون الرمي، فـاتبـعـوا آثارهم حـتى أحاطوا بـهم، ثم طلبـوا منهم -أي هؤلاء الهزليون- طلبوا منهم أن ينزلوا بأمان وأعطوهم العهد بأن لا يقتلوهم، فأما عاصم فقـال: والله! لا أنزل على ذمة كافر أي على عهـده، لأن الكافر قد خان الله (عز وجل) ومن خان الله خان عبد الله، ولهذا لما كتب أبو موسى

الأشعري (رضي الله عنه) إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، كتب إليه أن عنده رجلاً نصرانيًا جيدًا في المحاسبة، وطلب من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن يأذن له أن يوظف هذا النصراني على بيت المال، لأنه رجل جيد في الحساب، فكتب إليه عمر (إنني لا آمن من خان الله ورسوله)؛ لأن كل كافر فهو خائن ولا توله على بيت المال، فكتب إليه مرة ثانية «أبو موسى» قال: هذا الرجل قلما يوجد مثله في الحساب والجودة، فكتب إليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين عبد الله عمر بن الخطاب: مات النصراني، والسلام.

كلمة واحدة، جملة واحدة، مات النصراني، يعني قدره أنه مات، هل إذا مات تتعطل المحاسبة عندنا في بيت المال، فقطع طمع أبي موسى (رضي الله عنه).

المهم أن عاصم بن ثابت (رضي الله عنه) أبى أن ينزل على عهد الكفار، لأنهم لا يؤمنون، كل كافر فهو غير أمين، ثم إنهم رموهم بالنبل، أي هؤلاء الهزليون رموا هؤلاء الصحابة العشرة، فقتلوا عاصمًا وقتلوا ستة آخرين، وبقي ثلاثة، بقي هؤلاء الثلاثة وقالوا: ننزل وننظر هل يوفون أم لا؟ فأخذهم الهزليون ثم حلوا قسيهم وربطوهم بها أي ربطوا أيديهم، فقال الثالث: هذا أول الغدر، لا يمكن أن أصحبكم، فحاولوا معه قال: أبدًا فقتلوه، ثم ذهبوا بخبيب وصاحبه إلى مكة فباعوهما، فاشترى خبيبًا (رضي الله عنه) أناس من أهل مكة وقد كان قتل زعيمًا لهم في بدر، ورأوا أن هذه فرصة أن يقتلوه ثم أبقوه عندهم أسيرًا مغلولة يداه، وفي يوم من الأيام كان في البيت وكان أسيرًا مغلولة يداه، فدرج صبي من أهل البيت إلى خبيب

(ﷺ) فكأنه رق له ورحمه كعادة الإنسان يرحم الصغار ويرق لهم، ولهذا إذا رأيت من نفسك أنك ترق للصغار وترحمهم فهذه من علامة رحمة الله لك، لأن الراحمين يرحمهم الله (عز وجل) ولهذا قال الأقرع بن حابس لما رأى النبي (ﷺ) يقبل -أظنه الحسن والحسين- قال: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلتهم، قال: «**أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك، إنما يرحم الله من عباده الرحماء**».

«متفق عليه»

خبيب أخذ الصبي ووضعه على فخذه وكان قد استعار من أهل البيت موسى «يعني موس» يستحد به أي يحلق به عانته، لما ذهب الصبي يلعب وأمه غافلة عنه، لما تفطنت له إذ هو على فخذ خبيب، وخبيب معه الموسى فظنت أن هذه فرصة لخبيب، ماذا يصنع، يذبح الولد، الموسى معه والولد صبي وهو منفرد به، لكنه (ﷺ) أمين، صحابي جليل، لما أحس أنها ارتاعت - فزعت - قال: والله ما كنت لأذبحه، قالت: والله! ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، رأيته ذات يوم وفي يده قطف عنب يأكله، ومكة ما فيها ثمر، فعلمت أن ذلك من عند الله (عز وجل)، الله (سبحانه وتعالى) هيأ له هذا العنب، وهو أسير لا يملك لنفسه شيئًا لا يستطيع أن يخرج إلى السوق يشتري أو يطعم، تحت رحمة هؤلاء، ولكن الله (عز وجل وعلا) يسر له هذا القطف من العنب، يأكل عنبًا وهو في مكة فعلمت أنه من عند الله.

١- وهذا كقصة مريم (ﷺ): ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[آل عمران: ٣٧]، فهذه من كرامة الله (تعالى) لخبيب (ﷺ)، أكرمه الله (سبحانه وتعالى)، تنزل عليه مائدة من العنب يأكلها وهو أسير في مكة، وبقي أسيرًا ثم أجمع هؤلاء القوم - الذين قتل والدهم

على يد خبيب ـ أجمعوا على أن يقتلوه، لكنهم لاحترامهم للحرم قالوا: نقتله خارج الحرم لأن الإنسان إذا قتل أحدًا خارج الحرم ودخل إلى الحرم فإنه لا يجوز أن يقتل في الحرم قال الله (تعالى): ﴿ **ومن دخله كان آمنا** ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فهذه سنة كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام، على أن الإنسان إذا فعل ما يوجب القتل «يستحق عليه القتل» خارج الحرم ثم لجأ إلى الحرم فإن الحرم يعيذه ولا يجوز أن يقتل فيه، وماذا يصنع به؟ يعني لو قال قائل: لو سلمنا بهذه القاعدة، كان كل إنسان مجرم يذهب إلى الحرم ويلوذ به، قلنا: نحن لا نقتله في الحرم، لكن نضيق عليه حتى يخرج، كيف نضيق عليه؟ قال العلماء: لا يؤكل معه ولا يشارب ولا يبايع ولا يشتري منه ولا يكلم، نضيق عليه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، حينئذ ماذا يفعل؟ يخرج، إذا خرج أقمنا عليه ما يجب عليه.

المهم! أنهم خرجوا خارج الحرم إلى الحل ليقتلوه، فطلب منهم، أن يصلي ركعتين، لأن أشرف الأعمال البدنية الصلاة، ولأنها صلة بين العبد وبين ربه (عز وجل)، فأذنوا له أن يصلي ركعتين، انتهى منها وقال: لولا إني أخاف أن تقولوا: إنه خائف من القتل أو نحوها لزدت، ولكنه (ﷺ) كان حريصًا على الصلاة ويحب أن يكثر منها عند موته ثم دعى عليهم (ﷺ) بهذه الدعوات الثلاثة، اللهم احصهم عددًا واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، فأجاب الله دعوته، وما دار الحول على واحد منهم، كلهم قتلوا وهذا من كرامته ثم أنشد هذا الشعر:

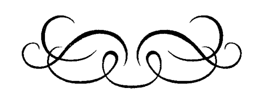
ولست أبالي حين أقتل مسلمًا … على أي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإلـه فإن يشأ … يبارك على أوصال شلو ممزع

فصار من الكرامة لهذا الرجل أن الله (سبحانه وتعالى) كان يرزقه

الفاكهة التي لا توجد في مكة، وأنه كان يـأكلها بيده، ويده موثقة بالحديد، وأنه من سن الصلاة عند القتل، فإنه فعل ذلك وأقره الله ورسوله، وأنه دعا على هؤلاء القوم، فأجاب الله دعوته.

أما عـاصم بن ثابت الذي قتل (ﷺ)، فإنه شعـر به قوم من قريش، وقد كـان قتل رجـلاً من عظمائهم فـأرسلوا إليه جـماعـة يأتون بشيء من أعضـائه حتى يطمئنوا أنه قتل، فـلما جاء هـؤلاء القـوم ليأخذوا شيـئًا من أعضائه أرسل الله (سبحانه وتعـالى) عليه شيئًا مثل الظلة من الدبر «أي من النحل» نحل عظيم، يحـميه به الله (تعـالى) من هؤلاء القوم، فعـجزوا أن يقربوه ورجعوا خائبين، وهـذا أيضًا من كرامة الله (سبحانه وتعالى) لعاصم (ﷺ) أن الله (سبـحانه وتعالى) حمى جـسده بعد مـوته من هؤلاء الأعداء الذين يريدون أن يمثلوا به.

والكرامات كثيـرة ذكر منها المؤلف ما ذكر في هـذا الباب وذكر أيضًا أشياء متفرقة في هـذا الكتاب.





قصة
عمير بن الخيام

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله سبحانه وتعالى على أيديهم من أنواع العلوم والمكاشفات، والقدرة والتقديرات، وقال: الكرامات موجودة قبل هذه الأمة، وفي صدر هذه الأمة إلى يوم القيامة، وذكر شيئًا كثيرًا منها في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن».

عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رجل للنبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «**في الجنة**».

فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل.

«متفق عليه»

الشرح:

عن جابر (رضي الله عنه) وعن أبيه أن رجلاً قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد: يا رسول الله! أرأيت إن قاتلت حتى قتلت، قال: «**أنت في الجنة**»، فألقى تمرات كانت معه ثم تقدم فقاتل حتى قتل (رضي الله عنه).

ففي هذا الحديث دليل على مبادرة الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الأعمال الصالحة، وأنهم لا يتأخرون فيها، وهذا شأنهم ولهذا كانت لهم العزة في الدنيا وفي الآخرة.

ونظير هذا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خطب الناس يوم عيد، ثم نزل فتقدم إلى النساء فخطبهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة منهن تأخذ خرصها وخاتمها، وتلقيه في ثوب بلال يجمعه حتى أعطاه النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولم يتأخرن (رضي الله عنهن) بالصدقة بل تصدقن حتى من حليهن.

وفي حديث جابر من الفوائد: أن من قتل في سبيل الله فإنه في الجنة،

ولكن من هو الذي يقتل في سـبيل الله؟ الذي يقتل في سـبيل الله هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا يقاتل حمية، ولا شجاعة ولا رياء وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

أما من قاتل حمية مثل الذين يقاتلون من أجل القومية العربية ـ مثلاً ـ فإن هؤلاء ليسوا شهداء، وذلك لأن القتال من أجل القومية العربية ليس في سبيل الله لأنه حمية.

وكذلك أيضًا: من يقاتل شجاعة يعني من تحـمله شجاعته على القتال لأنه شجاع، والغـالب أن الإنسان إذا اتصف بصفة يحب أن يقوم بهـا فهذا أيضًا إذا قتل ليس في سبيل الله.

وكذلك أيضًا: من قاتل مـراءاة ـ والعياذ بالله ـ ليرىٰ مكانه وأنه رجل يقاتل الأعداء الكفار، فإنه ليس في سبيل الله.

لأن النبي (ﷺ) سئل عن الرجل يقاتـل حمية ويقاتل شجـاعة ويقاتل ليرىٰ مكانه: أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: **«من قاتل لتكـون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**.

«متفق عليه»

وفي هذا دليل علىٰ حرص الصـحابة (رضي الله عنهم) علىٰ معـرفة الأمور؛ لأن هذا الرجل الذي سـأل النبي (ﷺ) وكان هـذا من عادتهم أنهم لا يفـوتون الفرصة حتىٰ يسألوا النبي (ﷺ) لأنهم يستفيدون من هذا علمًا وعملاً، فإن العالم بالشـريعة قد مَنَّ الله عليـه بالعلم، ثم إذا عمل به فهـذه منة أخرىٰ، والصحـابة (رضي الله عنهم) كان هذا شأنهم فيسألون النبي (ﷺ) عن الحكم الشرعي من أجل أن يعملوا به، بخلاف ما عليه كثير من الناس اليوم، فإنهم يسألون

عن الأحكام الشرعية حتى إذا علموا بها تركوها ونبذوها وراء ظهورهم، وكأنهم لا يريدون من العلم إلا مجرد المعرفة النظرية، وهذا في الحقيقة خسران مبين، لأن من ترك العمل بعد علمه به فإن الجاهل خير منه.

فإذا قال قائل: لو رأينا رجالاً يقاتلون ويقولون نحن نقاتل للإسلام دفاعًا عن الإسلام ثم قتل أحد منهم فهل نشهد له بأنه شهيد؟

فالجواب: لا، لا نشهد بأنه شهيد لأن النبي قال: «**ما من مكلوم يكلم في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشغب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك**».

«البخاري»

فقوله: «**والله أعلم بمن يكلم في سبيله**».

يدل على أن الأمر يتعلق بالنية المجهولة لنا، المعلومة عند الله.

وخطب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذات يوم فقال: أيها الناس! إنكم تقولون فلان شهيد وفلان شهيد، ولعله أن يكون قد أوقر راحلته، يعني قد حملها من الغلول، يعني لا تقولوا هكذا ولكن قولوا: من مات أو قتل في سبيل الله فهو شهيد، فلا تشهد لشخص بعينه، أنه شهيد إلا من شهد له النبي (ﷺ) فإنك تشهد له، أما من سوى هذا فقل كلامًا عامًا، قل: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، هذا نرجو أن يكون من الشهداء وما أشبه ذلك من الكلام.





قصة
أنس بن النضر (رضي الله عنه)

عن أنس (رضي الله عنه) قال: غاب عمي أنس بن النضر (رضي الله عنه) عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ! الجنة ورب الكعبة، إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرىٰ أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. إلى آخره

«متفق عليه»

قوله: «ليرين الله»، روي بضم الياء وكسر الراء، أي: ليظهرن الله ذلك للناس.

وروي بفتحها ومعناه ظاهر، والله أعلم.

الشرح:

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن عمه أنس بن النضر (رضي الله عنه)، أن أنسًا لم يكن مع الرسول (ﷺ) - يعني أنس بن النضر - في بدر، وذلك لأن غزوة بدر خرج إليها النبي(ﷺ) وهو لا يريد القتال، وإنما يريد عير قريش وليس معه إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، معهم سبعون بعيراً وفرسان يتعاقبون عليها، وقد تخلف عنها كثير من الصحابة لأنها ليست غزوة، ولم يدع إليها أحد وإنما خرج إليها الخفاف من الناس.

قال أنس بن النضر(ﷺ) للنبي (ﷺ) يبين له أن لم يكن معه في أول قتال قاتل فيه المشركين، وقال: لئن أدركت قتالاً لأرين الله ما أصنع.

فلما كانت أحد، وهي بعد غزوة بدر بسنة وشهر، خرج الناس وقاتلوا مع النبي (ﷺ) وصارت الدائرة في أول النهار للمسلمين ولكن لما تخلف الرماة من الموقع الذي جعلهم النبي (ﷺ) فيه ونزلوا من الجبل، كر فرسان المشركين على المسلمين من خلفهم واختلفوا بهم وانكشف المسلمون، وصارت الهزيمة لما انكشف المسلمون، تقدم أنس بن النضر(ﷺ) وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين.

ثم تقدم(ﷺ) فاستقبله سعد بن معاذ فسأله إلى أين؟ قال: يا سعد! إني لأجد ريح الجنة دون أحد، وهذا وجدان حقيقي ليس تخيلاً أو توهمًا ولكن من كرامة الله.

هذا الرجل شم رائحة الجنة قبل أن يستشهد(ﷺ) من أجل أن يقدم ولا يحجم فتقدم فقاتل فقتل (ﷺ). استشهد ووجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف أو برمح أو بسهم، حتى أنه تمزق جلده، فلم يعرفه أحد إلا أخته، ولم تعرفه إلا ببنانه (ﷺ).

فكان المسلمون يرون أن الله قد أنزل فيه هذه الآية: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولا شك أن هذا وأمثاله (ﷺ) يدخلون دخولاً أوليًا في هذه الآية، فإنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، حيث قال أنس: والله ليرين الله ما أصنع ففعل، فصنع صنعًا لا يصنعه أحد إلا مَن مَنَّ الله عليه بمثله حتى استشهد.



قصة
نزول السكينة عند قراءة القرآن

عن البراء بن عازب (ﷺ) قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة، فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي (ﷺ) فذكر له ذلك فقال: **«تلك السكينة تنزلت للقرآن»**.

«متفق عليه»

الشَّطن: بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة: الحبل.

الشرح:

عن البراء بن عازب (ﷺ) قال: إن رجلاً كان يقرأ في سورة الكهف، وسورة الكهف هي التي بين الإسراء ومريم.

هذه السورة من فضائلها أن الإنسان إذا قرأها يوم الجمعة أضاء له ما بين الجمعتين، وفيها قصص وعبر قصها الله (عز وجل) على رسوله (ﷺ) وكان هذا الرجل يقرأ القرآن فغشاه - يعني غطاه - شيء مثل الظلة كأنه غمامة، كلما قرأ نزل، كلما قرأ نزل من فوق، وجعلت الفرس - وهي مربوطة بشطنين - جعلت تميل، تنفر من هذا الذي رأته، فلما أخبر النبي (ﷺ) قال: **«تلك السكينة تنزلت لقراءة القرآن»**.

لأن السكينة تنزل عند قراءة القرآن، إذا قرأه الإنسان بتمهل وتدبر فإن السكينة تنزل حتى تصل إلى قلب القاريء فينزل الله السكينة في قلبه.

وهذه القصة من كرامات الأولياء، والأولياء لهم كرامات، لكن ليس لكل ولي كرامة، وإنما يؤتي الله بعض أوليائه كرامة تثبيتًا له وتصديقًا لما كان عليه من الحق، وهي - يعني الكرامات - أمور خارقة للعادة - يعني لا تأتي على وفق العادة. يجريها الله (عز وجل) على يدي بعض أوليائه تكريمًا له

وتثبيتًا له وتصديقًا لما هو عليه من الحق، وهي في نفس الوقت معجزة للرسول الذي يتبعه هذا الولي.

وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن الخوارق ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم آيات الأنبياء.

٢ ـ وقسم كرامات للأولياء.

٣ ـ وقسم إهانات من الشياطين يجريها الله على خلاف العادة، على أيدي الشياطين (والعياذ بالله).

وعلامات ذلك كأن الذي تحصل له هذه الخوارق إما أن يكون نبيًا أو وليًا للرحمن، أو وليًا للشيطان.

ومن المعلوم أن بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) لا يمكن أن تكون كرامة معجزة أبدًا، لأن النبوة انقطعت، وذاك رسول الله وخاتم النبيين، بقيت الكرامات والأحوال الشيطانية والشعوذات والسحر وما أشبه ذلك.

الكرامات لها علامتها: أن يجريها الله (عز وجل) على يد عبد صالح من أولياء الله، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فإذا أجري شيء خارق للعادة على يد رجل صالح مؤمن تقي معروف بالخير، قيل: هذه كرامة.

القسم الثالث: السحر والأحوال الشيطانية وهذه تجري على طواغيت وأولياء الشياطين الذين يدعون أنهم أولياء.

ويلعبون بعقول السفهاء وعقول العامة، تجد الإنسان يكبر عمامته ويوسع كمه ويطيل لحيته ويعفر جبهته في الأرض ليظهر عليه أثر السجود وما أشبه ذلك من اللعب بعقول الناس، ثم يستخدم الشياطين لأغراض خاصة، فتقلب له البعير وربما تحمله في الهواء ويطير، حتى إن بعضهم شوهد في أول يوم عرفة ثم حملته الشياطين حتى أدرك الناس في عرفة، هذا من زمان وهم يلعبون بعقول الناس، هؤلاء شياطين وإن كانوا يفعلون هذا الشيء فإنه لا كرامة لهم، والكرامات والإهانات ألف فيها العلماء كثيرًا ومن أحسن ما ألف كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ذكر فيها أشياء كثيرة من كرامات الأولياء وأشياء أخرى من إهانات الأعداء، يذكر أن «مسيلمة الكذاب» الذي خرج في اليمامة بالرياض وادعى أنه نبي أنه جاءه قوم فقالوا له: إن عندنا بئرًا غار ماؤها ولم يبق منه إلا قليل، وطلبوا منه أن يأتي إليها، لأجل أن يباركها، كما كان الرسول (ﷺ) إذا شكوا إليه قلة الماء يسر على يديه (ﷺ) أن ينبع الماء من بين أصابعه فجاءوا إلى «مسليمة الكذاب» فذهب إلى البئر، يقولون: إنه مج فيها مجة من الماء ولما مج فيها الماء غار الماء الموجود فيها، وكانوا يتوقعون أن الماء يكثر وينهمر فأراهم الله (عز وجل) آية لتكذيب هذا الرجل، هذا - لا شك - أنه أمر خارق للعادة؛ لأنه ليس من العادة أن الإنسان يمج الماء في بئر ليس فيها إلا ماء قليل ثم يغار. هذا خلاف العادة لكن الله أجرى ذلك إهانة له.

فعلى كل حال إذا رأيت من شخص ما يكون خارقًا للعادة فإن كان مؤمنًا تقيًا يعرف بالصلاح والاستقامة فهذا من كرامات الأولياء، وإن لم يكن كذلك فهي أحوال شيطانية من الشياطين، أو سحر يسحر أعين الناس؛

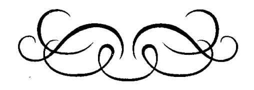
لأن السحر قد يسحر الأعين حتى ترى المتحرك ساكنًا والساكن متحركًا.

فها هم سحرة فرعون ألقوا حبالاً عادية وعصيًا في الأرض ثم سحروا أعين الناس حتى جعل الوادي كله حيات، حتى موسى (عليه السلام) أوجس في نفسه خيفة ، فأوحى الله (تعالى) أن يلقي عصاه: ﴿ **فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الشعراء: ٣٢].

حية عظيمة فجعلت تمشي على هذه الحبال والعصي تلقفها فعرفوا أنه صادق، لأنه التهم كل سحر.

فالحاصل أن هذه الظلة التي حصلت للقارئ والذي كان يقرأ سورة الكهف هذه كرامة له، وهي شهادة من الله (عز وجل) بالفعل على أن هذا القرآن حق تنزل السكينة لقراءته وتلاوته.

نسأل الله (تعالى) أن ينفعنا وإياكم به، وأن يجعله حجة لنا وقائدًا إلى جنات النعيم.





قصة أبي دجانة

عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) أخذ سيفًا يوم أحد فقال: «**من يأخـذ مني هذا؟**»، فبسطوا أيديهم، كل إنســان منهم يقول: أنا، أنا، قال: «**فمن يأخـذه بحقه؟**»، فأحجم القوم، فـقال أبو دجانة (رضي الله عنه): أنا آخــذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين.

«رواه مسلم»

اسم أبي دجانة: سماك بن خرشة، قوله: «أحجم القوم»: أي توقفوا. و«فلق به»: أي شق «هام المشركين»: أي رءوسهم.

الشرح:

ففـيما نُقل عـن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي أخذ سـيفًـا يوم أحد فقـال: «**من يأخذ هـذا السيف؟**»، فبسط القوم أيديهم، كلهم يقول: أنا، أنا، أنا آخذه ثم قال (ﷺ): «**من يأخذه بحـقه؟**»، فأحجم القوم ولم يشر أحد منهم ليـقول أنا آخذه، حـتى بادر أبو دجانة (رضي الله عنه) فـقال: أنا آخـذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين.

فـفي هذا الحديث يقـول أنس: إن رسـول الله (ﷺ) في غزوة أحـد إحدى الغزوات الكبار التي غزاها رسول الله (ﷺ) بنفسه، وأحد جبل قرب المدينة، وكـان سبب الـغزوة أن قـريشًا لما أصـيـبوا ببـدر بقـتل زعمـائهم وكبرائهم، أرادوا أن يأخذوا بالثأر من النبي (ﷺ) فجاءوا إلى المدينة يريدون غزو الرســول (ﷺ) فاستـشار النبي أصحـابه، حين علم بقدومهم، فـأشار عليـه بعضهم بـالبقاء فـي المدينة، فإنهم إذا دخلوا المدينة أمكن أن يـرموهم بالنبل وهم متـحصنون في البيوت، وأشار بعـضهم ولاسيمـا الشباب منهم والذين لم يحضـروا غزوة بدر أشاروا أن يخرج إليـهم، فدخل النبي (ﷺ) بيته ولبس لامته، يعني لامة الحرب، ثم خرج، وأمر بالخروج إليهم في أحد.

فالتقوا في أحد، وصف النبي (ﷺ) أصحابه صفًا مرتبًا من أحسن ما يكون، وجعل على الجبل الرماة الذين يحسنون الرمي بالنبل، وهم خمسون رجلاً وأمر عليهم عبد الله بن جبير (رضي الله عنه)، وقال لهم: «**لا تبرحوا مكانكم. ابقوا في مكانكم سواء كانت لنا أو علينا**».

فلما التقى الصفان، انهزم المشركون وولوا الأدبار، وصار المسلمون يجمعون الغنائم، فقال الرماة الذين في الجبل: انزلوا نأخذ الغنائم ونجمعها، فذكرهم أميرهم بأمر النبي (ﷺ) لهم أن يبقوا في مكانهم، سواء كانت للمسلمين أو عليهم، ولكنهم (رضي الله عنهم) ظنوا أن الأمر قد انتهى، لأنهم رأوا المشركين ولوا ولم يبق إلا نفر قليل.

فلما رأى فرسان قريش أن الجبل قد خلا من الرماة، كثروا على المسلمين من خلفهم، ثم اختلطوا بالمسلمين، فصار ما كان بقدر العزيز الحكيم (جل وعلا) واستُشْهِد من المسلمين سبعون رجلاً، ومنهم حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) عم رسول الله (ﷺ) وأسد الله وأسد رسوله.

فلما أصيب المسلمون بهذه المصيبة العظيمة قالوا: أنى هذا؟ كيف نهزم ومعنا رسول الله (ﷺ)، ونحن جند الله، وأولئك معهم الشياطين، وهم جنود الشياطين؟! فقال (عز وجل): ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

أنتم السبب لأنكم عصيتم، كما قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ١٥٢].

يعني حصل ما تكرهون.

فحصل ما حصل لحكم عظيمة، ذكرها الله (عز وجل) في سورة آل عمران، وتكلم عليها الحافظ بن قيم الجوزية (رحمه الله) كلامًا جيدًا لم أر

مثله في كتاب «زاد الميعاد» في بيان الحكم العظيمة من هذه الغزوة.

المهم إن الرسول (ﷺ) أخذ سيفًا فقال لأصحابه: «**من يأخذ مني هذا السيف؟**»، كلهم قال: نأخذه، رفعوا أيديهم وبسطوها، يقولون: أنا، أنا، فقال: «**فمن يأخذه بحقه؟**»، فأحجم القوم، ما يعلمون ما حقه، يخشون أن حقه يكون كبيرًا جدًا لا يستطيعون القيام به، ويخشون أيضًا عن القيام به، فيكونون قد أخذوا هذا السيف على العهد من رسول الله (ﷺ)، ثم لا يوفون به، ولكن الله وفق أبا دجانة (رضي الله عنه) فقال: أنا آخذه بحقه. فأخذه بحقه، وهو أن يضرب به حتى ينكسر، أخذه بحقه (رضي الله عنه) وقاتل به وفلق هام المشركين (رضي الله عنه).

في هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يبادر بالخير ولا يتأخر وأن يستعين بالله (عز وجل)، وهو إذا استعان بالله وأحسن به الظن أعانه الله.

كثير من الناس ربما يستكثر العبادة، أو يرى أنها عظيمة يستعظمها، فينكص على عقبيه، ولكن يقال للإنسان: استعن بالله توكل على الله، وإذا استعنت بالله وتوكلت على الله ودخلت فيما يرضيه (عز وجل) فأبشر بالخير، وأن الله (تعالى) سيعينك كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣].

وفي هذا دليل أيضًا على حسن رعاية النبي (ﷺ) لأمته، لأنه لم يخص بالسيف أحدًا من الناس، ولكنه جعل الأمر لعموم الناس، وهكذا ينبغي للإنسان الذي استرعاه الله رعية ألا يحابي أحدًا، وألا يتصرف تصرفًا، يظن أنه محاب فيه، لأنه إذا حابى أحدًا أو تصرف تصرفًا يظن أنه حابى فيه، حصل من القوم فرقة وهذا يؤثر على الجماعة، نعم لو امتاز أحد من الناس بميزة لا توجد في غيره، ثم خصه الإنسان بشيء، ولكنه يبين للجماعة أنه يخصه لامتيازه بشيء لا يوجد فيهم فهذا لا بأس به.



قصة
فضل آية الكرسي

عن أبـي هريـرة (رضي الله عنه)، قال: وكلني رسـول الله (ﷺ) بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثـو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) قـال: إني محـتاج، وعلـيَّ عيال، وبـي حاجة شـديدة. فخليت عنه فـأصبحت، فقـال رسول الله (ﷺ): **«يا أبا هريرة! مـا فـعل أسيرك البارحة؟»**، قلت: يا رسول الله! شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، فقال: **«أما أنه قد كذبـك وسيعود»** فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله(ﷺ) فرصدته.

فجاء يحثو من الطعـام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت: فقال لي رسول الله (ﷺ): **« يا أبا هريرة! ما فعل أسيرك البارحة؟»**، قلت: يا رسول الله! شكا حاجة وعيالاً فرحـمته، وخليت سبيله، فقال: **« إنه قـد كذبك وسيعود»**.

فرصدته الثالثة، فجاء يحـثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) وهذا آخـر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعـود ثم تعود؟ فقال: دعني فإني أعلمك كلمـات ينفعك الله بهن، قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقـرأ آية الكرسي، فإنه لن يزل عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطـان حتى تصبح. فخليت سبـيله فأصبحت فـقال لي رسول الله (ﷺ): **«ما فعل أسيرك البارحة ؟»**، فقلت: يا رسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بهن، فخليت سبيله، قال: **«مـا هي؟»** قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، من أولها حتى تختم الآية: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، [البقرة:٢٥٥].

وقـال لي: لا يزال عليك من الله حـافظ، ولن يقربـك شيطان حـتى

تصبح، فقال النبي (ﷺ): «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث يا أبا هريرة؟**»، قلت: لا ، قال: «**ذاك شيطان**».

«رواه البخاري»

الشرح:

هذه القصة قصة عجيبة عظيمة، وذلك لأن النبي (ﷺ) وكَّل أبا هريرة (رضي الله عنه) على صدقة رمضان ـ يعني الفطر ـ يحفظها.

وكانوا يجمعونها قبل العيد بيوم أو يومين، وكان أبو هريرة وكيلاً عليها وفي ليلة من الليالي جاء رجل يحثو من الطعام، فأمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) فخاف وقال: إني ذو عيال وذو حاجة. فرحمه وأطلقه فلما أصبح وجاء إلى رسول الله (ﷺ) قال له (ﷺ): «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» وهذه من آيات الله.

لأن النبي (ﷺ) لم يكن عنده، ولكنه علم بذلك عن طريق الوحي قال: «**ماذا فعل أسيرك البارحة؟**» قلت: يا رسول الله! إنه قال: إنه ذو حاجة وذو عيال فرحمته وأطلقته. فقال النبي (ﷺ): «**كذبك** ـ يعني كذب عليك ـ **وسيعود**».

يقول: فعلمت أنه سيعود لقول النبي (ﷺ) إنه سيعود وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يؤمنون بما أخبر به النبي (ﷺ) كما يؤمنون بما يشاهدونه بأعينهم أو أكثر. يقول: فرصدته.

فجاء فجعل يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله (ﷺ) فاشتكى شكايته الأولى أنه محتاج وذو عيال، فرحمه (رضي الله عنه) مع أن الرسول (ﷺ) قال: «**كذبك**»؛ لأن أبا هريرة يعلم حلم النبي (ﷺ) وسعة صدره

وأنه لن يؤنبه فلما أصبح وجاء إلى النبي (ﷺ) وأخبره قال: «**إنه كذبك وسيعود**». وفي المرة الثالثة جعل يترقبه وجاء يأكل من الطعام، فقلت: لأرفعن أمرك إلى رسول الله (ﷺ) في هذه المرة؛ لأنك قلت لن تعود ثلاث مرات وعدت.

فقال: دعني وإني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، قال: وما هن؟ قال: آية الكرسي: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. إذا أويت إلى فراشك للنوم فاقرأها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ فلا يقربك شيطان حتى تصبح، كلمات يسيرة تحفظك، لو جعلت مائة حارس ما استطاعوا أن يمنعوا عنك الشياطين، ولكن هذه كلمات يسيرة يحفظك الله بها، فلما أصبح غدا إلى النبي (ﷺ)، وقال له الخبر، فقال: «**إنه صدقك وهو كذوب** - يعني هذه المرة ما قاله لك صادق فيه وهو كذوب - **أتدري من تخاطب منذ ثلاث ليال؟**» قلت: يا رسول الله! لا أعلم.

قال: «**ذاك شيطان متلبس في صورة آدمي**».

فهذا الحديث فيه فوائد عظيمة منها:

إن النبي (ﷺ) وكَّل أبا هريرة (رضي الله عنه) على صدقة الفطر، وصدقة الفطر هي التي تخرج من الطعام في آخر شهر رمضان قبل الفطر بيومين أو ثلاثة.

هذه الصدقة لابد أن تكون من الطعام - يعني مما يأكل الناس - من التمر أو البر أو الأرز أو غيرها - ولا تصح من غير ما يطعمه الناس، يعني لو أن الإنسان أخرج بدلاً من صاع البر خمسة أو ستة أثواب من القماش للفقراء ما أجزأ، لا بد أن تكون من الطعام.

وكّل النبي (ﷺ) أبا هريرة على صدقة الفطر. وفي يوم من الأيام أتى إليه شخص متمثل بصورة الآدمي فـأخذ من الصدقة بدون استئذان، وبدون أن يصرف له أبـو هريرة شيئًـا، فأمـسكه، وقال: لأرفعـنك إلى رسول الله (ﷺ). فـخاف هـذا الشخص وادعى أنـه صاحب عـائلة وأنه في حاجـة فرحـمه أبو هريرة، وأطلقه، فلمـا أصبح وأتى إلى النبي (ﷺ) وإذا الوحي قد جاءه من الله -عـز وجل- في هـذه القصة -فـقال له- أي لأبي هريرة: «**وما فعل أسيـرك البارحة؟**»، يعني الذي أمسكته فـقال: يا رسول الله! إنه ادعى أنه ذو حاجـة وذو عيال فرحـمته وأطلقتـه، قال: «**أمـا إنه كـذبك وسـيـعـود**»، يقول: فعلمـت أن هـذا الشخص سيعـود لقول النبي (ﷺ) فرصـده - يعني ترصد له - في الليلة الـثانية، فـجاءه وفعل كـالليلة الأولى واعتذر بما اعـتذر به في الليلة الأولى، فرحمه أبو هريرة وأطلقـه، ثم أخبر النبي (ﷺ) فـقال: «**إنه كذبك وسـيعود**»، فعاد في المرة الثالثة، ولكنَّ أبا هريرة أمـسكه وقال: لا بد أن أرفـعك إلى النبي (ﷺ) فقـال: إني أعلمك كلمات يـنفعك الله بهن، قلت: ومـا هن؟ قال: آية الكرسي، فقـال النبي (ﷺ): «**أما إنه صـدقك وهو كذوب**»، أي: أخبرك بالـصدق وهو كذوب غرور كذب عـلى أبينا آدم، وقال له وهو في الجنة: ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**﴾ [طه: ١٢٠].

هـذه الشجـرة قال الله لآدم وحواء: ﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ**﴾.

فجـاء الشيطان إلى آدم وحـواء وغرهمـا وأقسم لهمـا إنه ناصح وهو كاذب غاش فهو كـذوب، وأقره (ﷺ) أن من قرأ هـذه الآية «آية الكرسي» لم يزل عليه حافظ ولم يقربه شيطان حتى يصبح.

هذه القصة منها فوائد:

١- إنه لا بأس أن الناس يخرجون صدقات الفطر إلى ولي الأمر -السلطان أو نائبه- فلو شكلت لجنة تجمع زكاة الفطر من الناس فإن الإنسان إذا دفعها إلى هذه اللجنة برئت ذمته.

٢- جواز تصرف الوكيل فيما وكل فيه إذا وافق على ذلك الموكل، لأن أبا هريرة تصرف هذا التصرف وأعطى هذا الرجل أو الشخص أقول الرجل أو الشخص لأن الجن يسمون رجالاً، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ [الجن: ٦].

٣- إن الشيطان قد يتمثل بصورة الإنسان، ويتمثل بصورة الكلاب حتى قال بعض العلماء في قول الرسول (ﷺ): «**الكلب الأسود شيطان**».

«أحمد ومسلم»

أي: أن الشياطين تتمثل فتكون كلابًا سوداء.

ولكن الصحيح: إن معنى الحديث أن الكلب الأسود شيطان، يعني هو شيطان الكلاب -وأخبثها وأشدها ضررًا وتمردًا وتتمثل الشياطين بالحيوانات مثل القط وتتمثل أيضًا بالحية، كما في الحديث الصحيح: إن رجلاً من الأنصار شابًا تزوج حديثًا فلما جاء إلى بيته وجد زوجته على الباب، فسألها لماذا؟ قالت: ادخل. فلما دخل وجد على الفراش حية، فأخذ الرمح فوخذها فماتت، ولما ماتت مات هو في الحال، فلا يدري أيهما أسرع موتًا الحية أم هذا الرجل؟ لأن هذه الحية صارت جنية، فلما قتلها، قتله أهلها في الحال.

ولهذا نهى النبي (ﷺ) عن قتل الحيات التي في البيوت، فلا يجوز

للإنسان أن يقتل الحية إذا رآها في بيته، ولكن حَـرِّجْ عليها ثلاثة أيام: قل لها: أنت مني في حرج، لا تقعدي في بيتي، إذا جـاءت بعد الثالثة اقتلها؛ لأنها إن كانت جنيـة فهي إذا خرجت لا تأتي وإن كانت غيـر ذلك فإنها لا تدري فتأتي بعد الثالثة وحينئذ تقتل إلا أن الرسول (ﷺ) استثنى نوعين من هذه الدواب تقتل ولو في البيوت، وهما: الأبتر وذو الطفيتين.

والأبتر قصير الذنب: وهو نوع من الحيات فهو يقتل ولو في البيت.

وذو الطفيتين: يقول العلماء: إنهما خطان أبيضان على ظهر الحية هذه تقتل ولو في البيوت لأنهما كما قال النبي (ﷺ): «**يخطفان البصر من شدة قبحهما، ويدفعان ما في بطون النساء من حمل**».

«متفق عليه»

فلهذا أمر النبي (ﷺ) بقتل هذين النوعين ولو في البيوت.

الشـاهد من هذا أن الشـيطان والجن يتصـوران بصور غـير صـورهم الأصلية.

٤- إنه يجـوز تقديم زكاة الفـطر قبل العيـد ولو بأكثـر من يومين إذا كانـت تدفع إلى ولي الأمر، وولي الأمـر يجب عليه ألا يخـرجهـا إلا في وقتها.

٥- آية من آيات الرسول (ﷺ) وهو علمه بما جرى مع أنه لم يطلع - لكن جاءه الوحي من الله (عز وجل).

٦- ينبغي للإنسان كلما جـاء إلى فراشه للنوم أن يقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها، وليس منها قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾، هذه آية خارجة عنها، آخر آية الكرسي ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾.

فتقرأها كلما أويت إلى فراشك حتى لا يقربك الشيطان حتى تصبح ولم يزل عليك من الله حافظ.

وحدثني جد هذا الرجل الذي يتولى الآذان معنا الآن أنه كان يقرؤها كل ليلة، وأنه نسيها ليلة من الليالي فلدغته عقرب؛ لأن رسول الله (ﷺ) قال: «**لم يزل عليه من الله حافظ**» وهو نسي أن يقرأها فلم يوجد الحافظ، إذًا فاحرص على قراءتها كل ليلة وخصوصًا إذا أويت إلى فراشك.

٧- قبول الحق -ولو جاء من أي إنسان- حتى ولو كان شيطانًا أو مشركًا، حتى لو كان يهوديًا أو نصرانيًا.

فإن الله قبل الحق من المشركين، والنبي (ﷺ) قبل الحق من اليهودي، وأقر الحق من الشيطان كما في هذا الحديث، أما قبول الله من المشركين: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا**﴾ [الأعراف: ٢٨].

فتعللوا بعلتين: الأولى: أنهم وجدوا عليها آباءهم.

والثانية: أن الله أمرهم بها، فقال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [الأعراف: ٢٨].

وسكت عن قولهم: ﴿**وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا**﴾ ولأنه حق صحيح وجدوا آباءهم على هذه الفاحشة، لكن الله لم يأمرهم بها، وأما قبول النبي (ﷺ) من اليهودي: حبر من أحبار اليهود قال: إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، وذكر تمام الحديث.

«رواه البخاري ومسلم»

فضحك النبي (ﷺ) حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول هذا اليهودي

الحبـر، ثم قرأ (ﷺ): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمـــر: ٦٧].

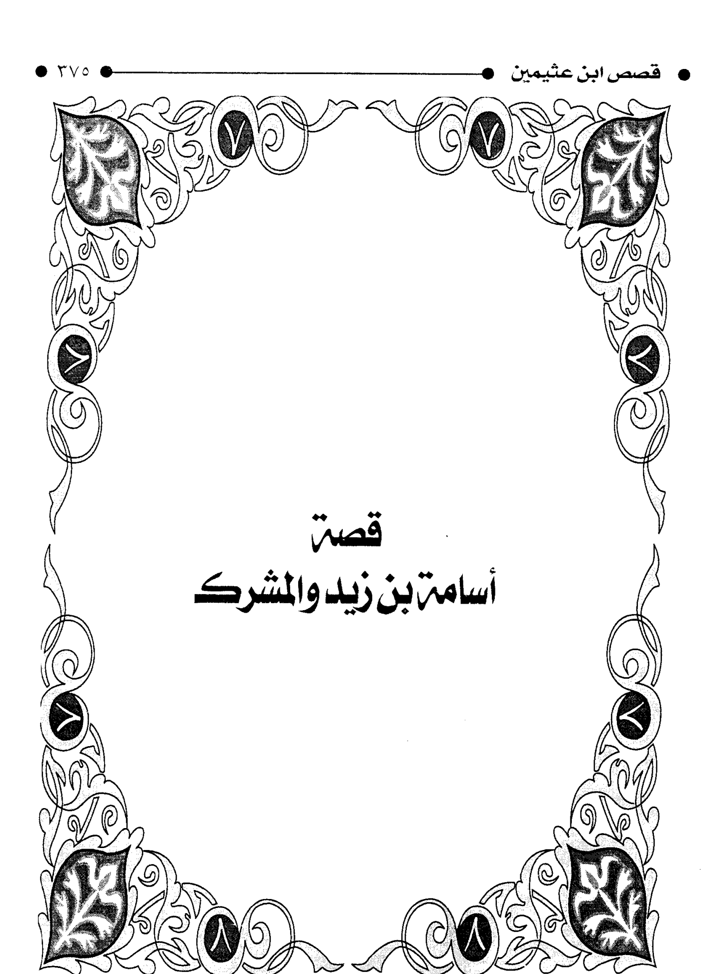
وأقر الحق الذي قال به الشيطان كما في هٰذا الحديث.

فعليك أن تقبل الحق من أي إنسان وأن ترد الباطل من أي إنسان.

ولهٰذا كـان من الكلمات المأثورة عند العلماء: الرجال يعـرفون بالحق والحق لا يعرف بالرجال.

يعني: لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجل وصحيح أن العالم أقرب إلى الصواب ولكن قد يخطئ وقد يصيب.





قصة
أسامة بن زيد والمشرك

عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) قال: بعثنا رسول الله (ﷺ) إلى الحرقة من جهينة، فصبحنا القوم على مياههم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا المدينة، بلغ ذلك النبي (ﷺ) فقال لي: «**يا أسامة! أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**» قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوذًا فقال: «**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!**» فمازال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. **«متفق عليه»**

وفي رواية: فقال رسول الله (ﷺ): «**أقال :لا إله إلا الله وقتلته؟!**»، قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: «**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!**»، فمازال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ.

«الحرقة» بضم الحاء المهملة وفتح الراء: بطن من جهينة القبيلة المعروفة.

وقوله متعوذًا: أي معتصمًا بها من القتل لا معتقدًا لها.

الشرح:

بعث النبي (ﷺ) أسامة بن زيد في سرية إلى الحرقة من جهينة، فلما وصلوا إلى القوم وغشوهم هرب من المشركين رجل، فلحقه أسامة ورجل من الأنصار يتبعانه يريدان قتله.

فلما أدركاه قال: لاإله إلا الله، أما الأنصاري فكان أفقه من أسامة فكف عنه، تركه لما قال: لا إله إلا الله، وأما أسامة فقتله، فلما رجعوا إلى المدينة، وبلغ ذلك النبي (ﷺ) قال لأسامة: «**أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟**».

قال: نعم يا رسول **الله!** إنما قال ذلك يتعوذ من القتل يستجير بها من القتل.

قال: «**أقتلته بعد أن قال: لا إلـه إلا الله؟**».

قال: نعم قالها يتعوذ من القتل. كرر ذلك عليه، حتى قال له في رواية لمسلم: «**ما تصنع بلا إلـه إلا الله إذا جاءتك يوم القيامة؟!**»، يقول أسامة (ﷺ): حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل هذا اليوم، لأنه لو كان كافرًا ثم أسلم عفا الله عنه، لكن الآن فعل هذا الفعل وهو مسلم، فهذا مشكل جدًا على أسامة.

والرسول (ﷺ) يكرر: «**أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟**»، «**ما تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءتك يوم القيامة؟!**»، مع العلم بأن الذي يغلب على الظن ما فهمه أسامة، أنه قالها متعوذًا من القتل، يستجير بها من القتل، لكن مع ذلك إذا قال لا إله إلا الله انتهى الأمر ويجب الكف عنه، ويعصم بذلك دمه وماله.

وإن كان قالها متعوذًا أو قالها نفاقًا حسابه على الله.

فهذا: دليل على أننا نحمل الناس في الدنيا على ظواهرهم أما ما في القلوب فموعده يوم القيامة، تنكشف السرائر، ويحصل ما في الضمائر، ولهذا علينا ـ أيها الأخوة ـ أن نطهر قلوبنا قبل كل شيء ثم جوارحنا.

أما بالنسبة لمعاملتنا لغيرنا: فعلينا أن نعامل غيرنا بالظاهر واسمع إلى قول الرسول (ﷺ): «**إنكم تختصمون إلي**».

«متفق عليه»

يعني تخاصمون مخاصمات بينكم.

«ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض»، يعني أفصح وأقوى دعوى.

«فأقضي له بنحو ما أسمعه، فمن اقتطعت له من حق أخيه شيئًا فإنما أقتطع له جمرة من نار فليستقل أو ليستكثر».

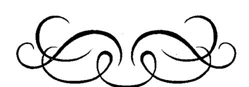
فحمل النبي (ﷺ) الأمر في الخصومة على الظاهر، لكن وراءك النار إذا كنت كاذبًا في دعواك، وأنك أخذت القاضي بلسانك وبشهادة الزور، فإنما يقتطع لك جمرة من النار فاستقل أو استكثر.

وخلاصة ما تقدم: إن الإنسان يعامل في الدنيا على الظاهر وأما يوم القيامة فعلى الباطن.

فعلينا ـ نحن ـ أن نعامل غيرنا بما يظهر لنا من حاله، وأمره إلى الله وعلينا ـ نحن ـ أنفسنا أن نطهر قلوبنا، لا يكون فيها شيء، لا يكون فيها بلاء: حسد، شرك، شك.

نسأل الله أن يعيذنا من هذه الأخلاق، فإن هذا خطير جدًا.

نسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال، ولا يهدي لأحسنها إلا هو وأن يجنبنا سيئات الأخلاق والأعمال لا يجنبنا إياها إلا هو.





قصة
المقداد بن الأسود

عن أبي معبد المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) قال: قلت لرسول الله (ﷺ): أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: «**لا تقتله**».

فقلت: يا رسول الله قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها؟ فقال: «**لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

«متفق عليه»

معنى «**إنه بمنزلتك**»: أي: معصوم الدم محكوم بإسلامه.

معنى «**إنك بمنزلته**»: أي: مباح الدم بالقصاص لورثته لا لأنه بمنزلته بالكفر. الله أعلم.

الشرح:

حديث المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله! إن لقيت رجلاً من المشركين فقاتلته، فضربني بالسيف حتى قطع يدي، ثم لاذ مني بشجرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. أفأقتله؟، قال: «**لاتقتله**». وهو مشرك قطع يد رجل مسلم، ولاذ بالشجرة.

وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال أأقتله؟

قال: «**لا تقتله**»؛ فإن قتلته فأنت مثله قبل أن يقول هذه الكلمة، يعني تكون كافرًا.

مع العلم بأني أنا وأنتم، نظن أن هذا الرجل قال: أشهد أن لا إله إلا الله خوفًا من القتل، ومع ذلك يقول: لا تقتله فعصم دمه وماله.

وفي هذا الحديث أيضًا:

دليل أن ما أتلفه الكفار من أموال المسلمين وما جنوه على المسلمين غير مضمـون، يعني الكافر لو أتلف شيئًا للمسلمين أو قتل نفسًا لا يضمن إذا أسلم، فالإسلام يمحو ما قبله.





قصة الدجال

عن النواس بن سمعان (رضي الله عنه) قال: ذكر رسول الله (ﷺ) الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم؟**»، قلنا: يا رسول الله! ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافية، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا**»

«**رواه مسلم**»

قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**».

قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كالسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟

قال: «**لا، اقدروا له قدره**».

قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرى وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه، كنوزها كيعا سيب النخل، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله (تعالى) المسيح ابن مريم (عليه السلام)، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين**

مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه، قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ... ...».

قوله: «**خلة بين الشام والعراق**»: أي: طريقًا بينهما.

وقوله: «**عاث**» بالعين المهملة والثاء المثلثة، والعيث: أشد الفساد.

«**والذرى**»: بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسمنة، وهو جمع ذورة بضم الذال وكسرها.

و«**اليعاسيب**»: ذكور النحل، و«**جزلتين**» أي: قطعتين.

و«**الغرض**» الهدف الذي يرمى إليه بالنشاب، أي يرميه رمية كرمي النشاب إلى الهدف.

و«**المهرودة**»: بالدال المهملة المعجمة، وهي الثوب المصبوغ.

الدجال: مبالغة من الدجل وهو الكذب، والدجال: يعني كثير الكذب الذي لا يتصف إلا بالكذب.

الشرح:

حديث النواس بن سمعان (ﷺ) الطويل وفيه أن النبي (ﷺ) ذكر الدجال ذات غداة يعني ذات صبح في يوم من الأيام فخفض فيه ورفع يعني أنه يتكلم بكلام طويل، حتى ظنوا أنه في طائفة النخل يعني ظنوا أنه ذكر في المدينة وأنه قد جاء ولكن الأمر لم يكن كذلك ثم أن النبي (ﷺ) عرف ذلك منهم فسألهم فقالوا: إنك ذكرت الدجال الغداة وخفضت فيه ورفعت فظننا أنه في النخل.

فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم**» يعني أخاف عليكم شيئًا أشد من

الدجال ومن ذلك الرياء حيث ثبت عنه (ﷺ) أنه قال : «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه فقال: «**إن الإنسان يرائي في عباداته: يصلي لأجل الناس، يتصدق لأجل الناس، يحسن الخلق لأجل الناس**... فهذا رياء - والعياذ بالله - والمرائي حابط عمله، والرياء من صفات المنافقين» كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ١٤٢]، واعلم أيها المرائي أن الله سيفضحك عن قرب لأن النبي (ﷺ) قال: «**من راءىٰ راءىٰ الله به**» يعني أظهر مراءاته وعيوبه عند الناس، ومن سَمَّعَ سمَّع الله به.

ثم قال (ﷺ): «**إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم**»، يعني لو خرج الدجال وأنا موجود فأنا أكفيكم إياه وإن يخرج يعني وليس فيهم امرؤ حجيج نفسه، يعني كل إنسان يحاج عن نفسه، «**والله خليفتي على كل مؤمن**» فاستخلف ربه عز وجل أن يكون مؤيدًا للمؤمنين واقيًا لهم من فتن الدجال الذي ليس بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أشد منها، نسأل الله أن يقينا وإياكم فتنته.

«**إنه شاب قطط عينه طافية**» شاب: من بني آدم.

«**قطط**»: يعني: مجتمع الخلق.

«عينه طافية» يعني: أنه لا يبصر بها كأنها عنبة طافية كما قال النبي (ﷺ): «**فهو أعور خبيث لكن الله (عز وجل) يرسله فتنة للناس فيأتي إليهم يدعوهم ويدعي أنه رب، وقد مكن الله له، فكان يأتي القوم يدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت يشاهدون ذلك بأعينهم، يقول: أيتها السماء أمطري فتمطر، أيتها الأرض أنبتي فتنبت**

ولكن ليس بقـدرته وقـوته بل بإرادة الله (عـز وجل) لكن الله مكن له ابتـلاءً وامتحانًا (فيصبحـون تروح عليهم سارحتهم)». يعني الغنم والإبل أكثـر ما يكون ذروعًـا، وأوفر مـا تكون ذرة وأمـدها خواصـر تمتلئ بطونهـا وتمتلئ ضروعها ويكون عليها الشحم ويأتي القوم فيدعوهم فلا يستجيبون له يردونه فينصرف، فـيصبحون ممحلين ليس لهـم من أموالهم شيء، الأرض خربت والسمـاء لا تمطر والمال يمور، ولكن هؤلاء هم الذين لهم الأجـر والثواب، وعاقبتهم حميدة، أما الأولون الذين آمنوا به وأمطرت السماء وأنبتت الأرض فهم خاسـرون وإن ظنوا أنهم رابحون، ويأتي إلى الخربة أرض خـربة ما بها بناء وما بها أناس فيقول: أيتهـا الأرض! أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها وما بها من معادن، من ذهب،وفضة، وغير ذلك، فتـتبعه كيعاسيب النحل، ثم إنه يبقى في الأرض أربعين يومًـا: اليوم الأول سنة... كم شهرًا؟ اثنـا عشر شهـرًا (٣٦٠) يومًا، هـذا اليوم الأول، واليـوم الثاني مقداره شـهرًا (٣٠) يومًا، والثالث مقدار جمعـة يعني أسبوعًا، وباقي الأيام وهي سبعة وثلاثون يومًا كالأيام المعتادة، ولكن رسول الله (ﷺ) نـبه الصحابة، قالوا: يا رسول الله! هـذا اليوم الذي كسنة تكفينا فيـه صلاة واحدة؟ فيكون عليهم في هـذا اليوم كم؟ خمس صلوات قال لهم: «**لا، اقدروا له قدره**» يعني صلوا صلاة السنة كاملة في يوم واحد وهـذا مما يؤخذ به يقال: إنسان وجب عليه صلاة سنة كاملة في يوم واحد، وأيضًا يؤخذ به من جهة أخرى: وجبت زكاة ماله في يوم واحد، وأيضًا فيقـال: يصوم رمضان بعض يوم يعني جزءًا من اثني عشر جزءًا من هـذا اليوم نقول: هـذا يوم الدجال وسبحان الله الحكيم الذي أكـمل لنا الدين قبل أن يموت سـيـد المرسلين (ﷺ) أنطق الله الصحـابة أن يسألوا عن هـذا اليوم: هل تكفي فـيه صلاة واحـدة أم لا؟ يوجد الآن في الأرض من يومهم ستة أشـهر، وليلتهم ستة أشهـر عند المدار القطبي، ستة

أشهر والشمس عليهم، وستة أشهر أخرى والشمس لا يرونها.

فكيف يصلي هؤلاء؟

يصلون صلاة يوم وليل فقط أو يقدرون لها قدرها، نقول: يقدرون لها قدرها كيوم الدجال تمامًا.

اليوم الثاني من أيام الدجال كشهر، كيف تكون فيه الصلاة؟... يصلون صلاة شهر، واليوم الثالث يصلون صلاة أسبوع، واليوم الرابع وما بقي كالعادي.

ثم سأله الصحابة (ﷺ) عن سيره في الأرض هل هو كالسير المعتاد كسير الإبل أو سير الأرجل؟ قال: «**يسير كالغيث اجتذبته الريح**» والله أعلم، كيف كان إسراعه هل يحدث الله له آلات. طائرات أم غيرها؟

ما ندري لكنه هذا الذي أخبر به النبي (ﷺ) أنه يكون كالغيث سنة وشهر وأربعة وأربعون يومًا ثم ينزل عيسى ابن مريم (ﷺ) فيقتله.

وسبق أن الدجال ذو الدجل والكذب والتمويه والتغرير وأنه كافر وأنه يخرج في خلة بين الشام والعراق -يعني يخرج من طريق بين الشام والعراق- من قبل إيران، ويتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفًا، وكأنهم - والله أعلم - يجتمعون هناك ليتبعوا الدجال لأن اليهود أهل دجل وكذب وغدر وخيانة لا يؤمنون.

وسبق أنه يأتي القوم ويدعوهم ، من أجابوه منهم حصل لهم القسط والرخاء ومن عصاه حصل لهم عكس ذلك.

ثم ذكر من فتنته أنه يأتيه شاب ممتلئ شبابًا، من المسلمين فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه النبي (ﷺ) فيقطعه نصفين بالسيف

ويجعل واحدة بعيدة عن الأخرى ثم يدعـوه بعد أن قطعه: يا فلان! فيجمع النصفين ببعضـهم البعض ويقوم ويقبل على الدجال يتـهلل وجهه وكأنه لم يفعل شيئًا ثم يقول له: والله أشهد أنك أنت المسيح الدجال، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة فيـقتله للمرة الثانية ويقطعه نصفين ثم يدعـوه فيأتي ووجهه يتهلل، ثم يأتي الثالثة فيعجز أن يقتله. هـكذا من فتنة الدجال.

والإنسان إذا رأى هـذا يغتـر بلا شك، ثم إن الله (تعالى) ينزل عيسى ابن مريم رسول الله (ﷺ) ينـزل يداه على أجنحة ملكين، لأن الملائكة أولو أجنحة ينزلان بـه من السماء، لأن عـيسى الآن حي في السـماء، ينزل عند قيام الساعة ليقتل الدجـال سينزل وكأنه والله أعلم قد اغتسل بماء طيب، إذا طأطأ رأسه قطر ماء، وإذا رفعه تحدر منه مثل الجـمان، فيحتمل أن هـذا ماء ويحتمل أنه عرق والله أعلم.

ثم إنه يطلبه أي يـطلب الدجال الخبـيث الماكر الأعور فـلا يحل لكافر يجد ريح عـيسى إلا مات -سـبحان الله- نفس عيـسى يقتل الكافر ونفـسه ينتهي حيث ينتهي طرفه وهـذا أيضًا من آيات الله يعني أنفاسنا نحن لا تعدو إلا شبرًا أو نحوه، لكن نفس عيسى ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ومعنى ذلك أنه يقتل أناسًـا كثيرين من الكفار، لأن هـذا النفس يطير في الهواء، ولا يحل لكافـر يجد نفسـه إلا مات، ينزل عند المنارة البيـضاء شرقـي دمشق، هـكذا وصـفه النبي (ﷺ) وهي لا بد أن توجـد عند نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام) فيبلغ الدجال فيدركه عند باب اللد، واللد الآن في فلسطين استعمرها اليهود عليهم لعائن الله إلى يوم القيامة استعمروها، يدرك عيـسى المسيح الدجـال فيقـتله هناك، وبهـذا انتهى المسيح الـدجال، وبقي المسيح رسول الله عيسى (عليه السلام). **والله الموفق.**



قصة
الشفاعة الكبرى

عن أبي هـريرة (رضي الله عنه) قال: كنا مع رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مما ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعـيد واحد فينظرهم الناظر، ويسـمـعـهم الداعي وتدنو منهم الشـمس، فـيبـلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتـملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟

فيقول بعض الناس لبـعض: أبوكم آدم، ويأتونه فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشـر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحـه، وأمر الملائكة فسـجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشـفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى مـا نحن فيـه، وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب غضبًـا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهـاني عن الشجرة، فعـصيت، نفسي نفسي نفـسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح! أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمـاك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى مـا نحن فيه، ألا تـرى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربـك؟ فيقول: إن ربـي غضب اليوم غـضبًا لم يغـضب قبله مثـله، ولن يغضب بعـده مثله، وإنه قـد كانت لي دعـوة دعوت بهـا على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إلى إبراهيم فـيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا عند ربك؟ ألا ترى ما نحن فيـه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كـذبات، نفسي نفسي نفـسي، اذهبوا إلى غيـري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون إلى موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد (ﷺ)، فيأتون محمدًا (ﷺ).

وفي رواية: «فيأتوني فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله عليَّ من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك ، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب ، فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب».

ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، و كما بين مكة وبصرى».

«متفق عليه»

الشرح:

عن أبي هـريرة (رضي الله عنه)، أنهم كانوا مع النبي (ﷺ) في دعـوة فقدمت إليه الذراع، فنهس منها نهسة وكـانت تعجبه، «الذراع»: يعني ذراع الشاة، وكانت تعـجب النبي (ﷺ) لأن لحمـها أطيب ما في الجـسم من لحم، لين وسريع الهـضم ومفيد، وكـانت تعجب النبي (ﷺ) فنهس منها نهـسة، ثم حدثهم بهذا الحديث العجيب الطويل، فقال: «**أنا سيد ولد آدم وأشرف بني الإنسان عند الله** (تبـارك وتعالى) **أتدرون مما ذاك؟**» قالوا: لا يا رسول الله، فسـاق لهم بيان شـرفه وفضـله (ﷺ) على جميع بنـي آدم، ذكر أن الناس يحشرون يوم القيامة في صعيـد واحد أولهم وآخرهم كما قال (عز وجل): ﴿**قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ**﴾، يجمعون في صعيد واحد والأرض يومئذ ممدودة ليست كـهيئتها اليوم كروية لا ترى - إذا مددت بصرك - لا ترى إلا ما يواجهك من ظهرها فقط، أما يوم القيامة فإن الأرض تمد مد الجلد وليس فيها جـبال ولا أودية ولا أنهار ولا بحار تمد مدًا واحدًا والعالم فيها يسمعهم الداعي وينفذهم البصر - يعني لو تكلم الإنسان يسمـعهم آخر واحد - والبـصر ينفذهم؛ يراهم؛ لأنه ليس بهـا تكوير حتى يغيب بعض عن بعض ولكن كـلهم في صعيد واحـد، في ذلك اليوم تدنو الشـمس من الخلائق علـى قدر مـيل، ويلحقـهم من الهم والكرب مـا لا يطيقون، ولا يـحتملون فتضـيق بهم الأرض، ويطلبون الشفـاعة لعل أحدًا يشفع لهم عند الله (جل وعلا) وينقذهم من هذا الموقف العظيم على الأقل، ويلهمـهم الله (عز وجل) أن يأتوا إلى آدم أبي البـشر فـيأتون إليه ويـبينون فضله؛ لعله يشفع لهم عند الله (عز وجل) يقولون له: أنت آدم أبو البشر - كل البشـر من بني آدم - الذكور والإناث إلى يوم القيامـة (خلقك الله بيده) كمـا قال الله (تعـالى) منكرًا على إبليس: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ**

بِيَدَيَّ﴾ خلقه الله بيده ، وخلق بقية البشر بكلمة : ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أما آدم فخلقه (جل وعلا) بيده يقولون: «خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته» «وعلمك أسماء كل شيء» قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، «ونفخ فيك من روحه»، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، كل هذا يعلمه الخلق ولاسيما أمة محمد الذين أعطاهم الله (تعالى) من العلوم مالم يعط أحدًا من الأمم فيعتذر ويقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب مثله قط، ثم يذكر خطيئته: أن الله سبحانه وتعالى نهاه عن أن يأكل من شجرة فأكل قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]،

الشجرة في الجنة لا ندري ما هذه الشجرة ولا نوعها ولا كبرها ولا صغرها، شجرة أبهمها الله، فعلينا أن نؤمن بها مبهمة، نهى آدم أن يأكل منها، وبين له أنه لو أكل منها هو وزوجته فإنهما يكونان من الظالمين، ولكن عدوهما الشيطان، دلاهما بغرور ووسوس لهما: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، فغرهما ونسي آدم ما عهده إلى الله (عز وجل): ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

نسي وأكل من الشجرة، فعوقب بأن خرج من الجنة إلى الأرض بحكمة يريدها الله (عز وجل) فيذكر معصيته ويقول: نفسي نفسي نفسي، يعني عسى أن أنقذ نفسي، ويؤكد ذلك ويكرره ثلاث مرات: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. ونوح هو الأب الثاني للبشرية؛ لأن الله أغرق جميع أهل الأرض الذين كذبوا نوحًا: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وكان نوح هو الأب الثاني للبشر، اذهبوا إلى نوح فيأتون إلى نوح

لأنهم في شدة وضيق، فيأتونه ويذكرون نعم الله عليه، وأنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأن الله سماه عبدًا شكورًا، ولكنه يقول كما قال آدم في غضب الله (عز وجل): «**إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله قط ولن يغضب مثله**»، ثم يذكر دعوته التي دعاها على قومه: ﴿**رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾[نوح: ٢٦]. .

وفي رواية: أنه يذكر دعوته التي دعا بها لابنه: ﴿**فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: ٤٥ ، ٤٦].

يذكر ذنبه، والشافع لا يشفع إلا إذا كان ليس بينه وبين المشفوع عنده ما يوجب الوحشة والمعصية، بين العبد وربه، توجب الوحشة بينهما وخجله منه، فيذكر معصيته ويقول: نفسي نفسي نفسي، ويحيلهم إلى إبراهيم (ﷺ) فيأتي الناس إليه ويقولون: أنت خليل الله في الأرض، ويذكرون من صفاته، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند ربه فيعتذر، ويقول إنه كذب ثلاث كذبات، ويقول نفسي نفسي نفسي،

والكذبات هي: قوله: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: ٨٩]، وهو ليس بسقيم، لكنه قال متحديًا لقومه الذين يعبدون الكواكب.

والثانية: قوله للملك الكافر: (هذه أختي) يعني زوجته ليسلم من شره وهي ليست كذلك.

والثالثة قوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾ [الأنبياء: ٦٣]، أي الأصنام؛ لأن إبراهيم (ﷺ) ذهب إلى أصنامهم وكسرها، فلما رجعوا وجدوها مكسورة، قالوا: ﴿**مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا**﴾ [الأنبياء: ٥٩]، فقالوا: فعله فتى يقال له

إبراهيم وجرى بينهم وبين إبراهيم ما جرى، وقال لهم: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ [الأنبياء:٦٣]، وهو ما فعل، وإنما الذي فعله هو إبراهيم (عليه السلام) لكن ذكر هذا على سبيل التحدي لهؤلاء الذين يعبدون الأوثان.

هذه كذبات في ظاهر الأمر لكنها في الحقيقة وبمناسبة تأويله (ﷺ) لم تكن كذبات، لكنه لشدة ورعه وحيائه من الله (تبارك وتعالى) اعتبرها من الإثم ويقول: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون إلى موسى، ويذكرون من صفاته وأن الله (تعالى) كلمه تكليمًا واصطفاه على الأرض، برسالاته وكلامه، فيذكر ذنبًا ويعتذر، يذكر أنه قتل نفسًا قبل أن يؤذن له في قتلها، وهو القبطي الذي كان في خصام مع رجل من بني إسرائيل (ﷺ) وموسى والقبطي من أهل فرعون: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [القصص: ١٥]، دون أن يؤمر بقتله، فرأى (ﷺ) أن هذا يحول مما بينه وبين الشفاعة للخلق حيث قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها، وقال: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

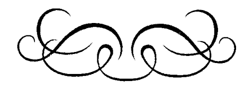
فيأتون إلى عيسى، ويذكرون له منة الله عليه، أنه نفخ فيه من روحه وأنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

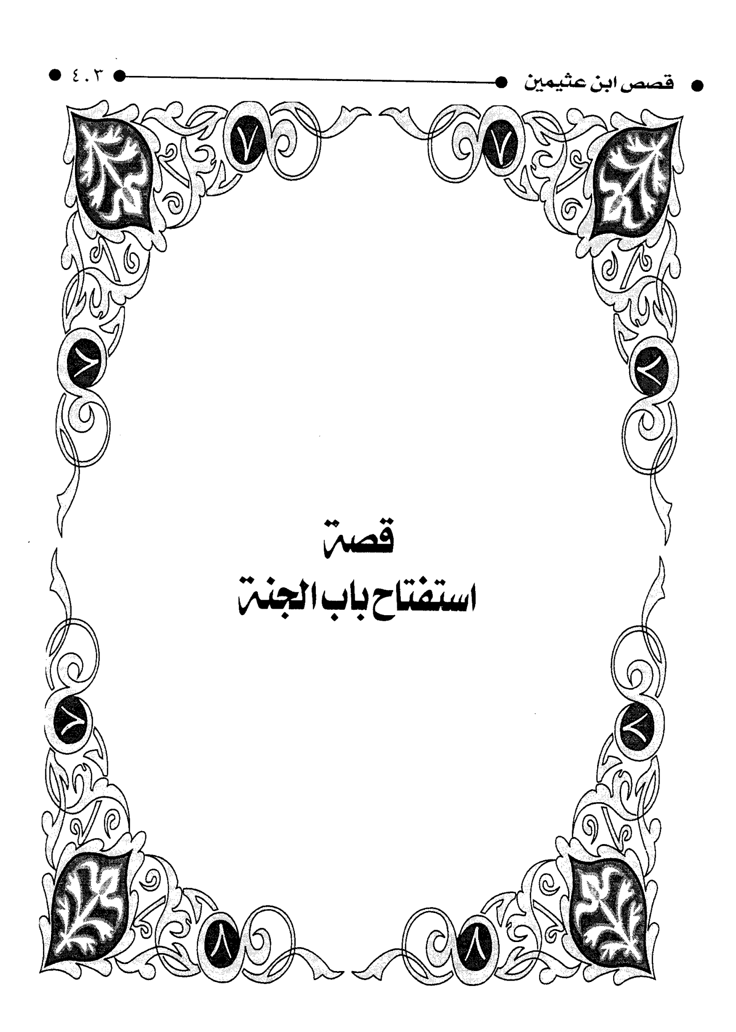
لأن (عيسى) خلق بلا أب، فلا يذكر ذنبًا، ولكنه يحيلهم إلى محمد (ﷺ) وهذا شرف عظيم لرسول الله (ﷺ) حيث كان أربعة من الأنبياء يعتذرون بذكر ما فعلوه، وواحد لا يعتذر بشيء ولكن يرى أن محمدًا (ﷺ) أولى منه فيأتون إلى رسول الله (ﷺ) فيقبل ذلك، ويجلس تحت العرش، ويفتح الله عليه من المحامد والثناء على الله مالم يفتحه على أحد

غيره ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع».

فيشفع (ﷺ) يقول: «يارب أمتي أمتي» فيقبل الله شفاعته ويقال له: أدخل أمتك من الباب الأيمن من الجنة وهم شركاء مع الناس في بقية الأبواب.

وهذه فيها دلالة ظاهرة على أن النبي (ﷺ) أشرف الرسل، والرسل هم أفضل الخلق كما قال (عز وجل): ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩]، هؤلاء هم الأصناف الأربعة الذين هم أفضل، والنبي (ﷺ) أفضلهم.





قصة
استفتاح باب الجنة

عن حذيفة وأبي هريرة (رضي الله عنهما) قالا: قال رسول الله (ﷺ) «يجمع الله - تبارك وتعالى - الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم صلوات الله عليه، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم! لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال: فيأتون إبراهيم، فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليمًا. فيأتون موسى فيقول موسى: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمدًا (ﷺ) فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق» قلت: بأبي وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: «ألم تروا كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير؟ وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل لا يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكردس في النار»، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعرها لسبعون خريفًا.

«رواه مسلم»

وقوله: «وراء وراء» هو بالفتح فيهما وقيل: بالضم لا تنوين معناه: لست بهذه الدرجة الرفيعة، وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع، وقد بسطت معناها في: «شرح صحيح مسلم»، والله أعلم

الشرح:

عن حذيفة وأبي هريرة (رضي الله عنهما) في حديث الشفاعة، وذلك كأن النبي

(ﷺ) وعده ربه أن يبعثه مقامًا محمودًا.

فقال الله (جل وعلا): ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وإذا جاءت (عسى) من الله فهي واجبة، بخلاف عسى من الخلق فإنها للترجي فإذا قلت: عسى الله أن يهديني، عسى الله أن يغفر لي، عسى الله أن يرحمني، فهذا رجاء، أما إذا قال الله (عسى) فهذا وعد، لذلك قالوا: «عسى من الله واجبة».

مثل قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٩٩].

وقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة: ٥٢].

وما أشبه ذلك.

فالله (عز وجل) وعد نبيه (ﷺ) أن يبعثه مقامًا محمودًا أي مقامًا يحمده فيه الأولون والآخرون، وذلك من عدة أوجه منها حديث الشفاعة، فإن الناس يبعثون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً: حفاة لا يلبسون النعال، وعراة ليس عليهم ثياب، وغرلاً أي غير مختونين، ويعني أن ما قطع منهم في الدنيا أثناء الختان سيعود إليهم يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

فيجمع الله الخلائق، والشمس فوقهم قدر ميل، أهوال عظيمة، يشهدون الجبال تمر مر السحاب تكون هباءً منثورا فيلحقهم من الهم والغم ما لا يطيقون، فيقول بعضهم لبعض: ألا تطلبون من يشفع لنا عند الله؟! فيذهبون إلى آدم ويطلبونه للشفاعة، فيذكر خطيئته التي وقعت منه.

والخطيئة التي وقعت منه أن الله (سبحانه وتعالى) قال له ولزوجه،

حين أسكنهما الجنة: ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

شجرة عينها الله (عز وجل) وليس لنا في معرفة نوعها كبير فائدة. ولهذا فنحن لا نعرف نوع هذه الشجرة، هل هي من شجر الزيتون، أم من الحنطة، أم من العنب، أم من النخل، لا ندري، فالواجب أن نبهمها كما أبهمها الله (عز وجل)، ولو كان لنا في تعيينها فائدة لبينها الله (عز وجل)، فقال (عز وجل) لآدم وحواء: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

فأتاهما الشيطان فوسوس لهما، ودلاهما بغرور وقاسمهما إني لكم لمن الناصحين، وهكذا يفعل في بني آدم، يغرهم ويوسوس لهم ويقسم لهم إني ناصح وهو كذوب.

فالشاهد من حديثنا أن آدم (عليه السلام) يذكر خطيئته هو وزوجته وهي أكلهما من الشجرة التي حظرها الله عليهما، ولكنه تاب إلى الله (تعالى) من ذلك، فأمر الله سبحانه أن يهبط هو وزوجته إلى الأرض فهبطا وكانت منهما الذرية، فمنهم الشهداء والرسل الأنبياء والصالحون، ومنهم غير ذلك من أهل الفساد والكفر والنفاق والإلحاد والضلال.

فعندما يذهب الناس إلى آدم (عليه السلام) في هذا الموقف العظيم يوم القيامة يعتذر عن مساعدتهم ويتذكر خطيئته والتي أخرجته من الجنة.

أما القصة التي تروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في سبب خروج آدم وحواء من الجنة وأن حواء حملت فجاءها الشيطان فقال: سميا الولد عبد الحارث، أو لأجعلن له قرنًا فيخرج من بطنك فيشقه. فأبيا أن يطيعا، فجاءهم في المرة الثانية، فأبيا أن يطيعا، فجاءهم في المرة الثالثة فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث، وجعل ذلك تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ

الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠].

فإن هذه القصة قصة مكذوبة، ليست بصحيحة، وحتى إن صحت عن ابن عباس فإنه (ﷺ) ممن عرفوا بالأخذ من بني إسرائيل، فتكون هذة القصة من الإسرائليات.

فنحن نعلم من خلال حديث الشفاعة وما تقرر من عصمة الأنبياء أن هذا الفعل لا يصح من آدم أبدًا، لأنه شرك والشرك لا يقع من الأنبياء.

يعتذر آدم عن الشفاعة فيأتي الناس نوحًا (عليه السلام) وهو أول رسول أرسله الله إلى الأرض فيخاطبه الناس بهذه المنقبة فيقولون له: أنت أول رسول بعثه الله إلى الأرض اشفع لنا عند ربك.

فيعتذر لأنه سأل ربه ما ليس به علم وذلك حين قال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥].

وكان لنوح ولد كافر به، ولد رسول، ولكنه كفر بالرسول ـ والعياذ بالله ـ؛ لأن النسب لا ينفع الإنسان، فابن العالم لا يأتي عالمًا، بل قد يكون جاهلاً، وكذلك ابن العابد لا يأتي عابدًا، قد يكون فاسقًا فاجرًا، ابن الرسول لا يكون مؤمنًا، بل هذا ابن نوح (عليه السلام) أحد أبنائه كان كافرًا، كان أبوه يقول: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾[هود: ٤٢]، فيجيب قائلاً: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[هود: ٤٣].

فيعتذر نوح أنه سأل ما ليس له به علم. لأن الشافع إذا كان بينه وبين المشفوع إليه جفوة، فكيف يكون شافعًا، الشافع لابد أن يكون بينه وبين المشفوع إليه صلة قوية لا يخدشها شيء.

مع أن نوحًا (عليه السلام) غفر الله له، وآدم غفر الله له، واجتباه ربه فتاب، فغفر الله له، ولكن لكمال مرتبتهم وعلو مقامهم، جعلوا هذا الذنب الذي غفر لهم مانعًا من الشفاعة، كل هذا تعظيمًا لله (عز وجل)، وحياء منه وخجلاً منه.

ثم يأتون إلى إبراهيم خليل الله (عز وجل) فيعتذر ويقول: إنه كذب في ذات الله ثلاث كذبات، وهذه الكذبات التي كذبها ليس كذبًا في الواقع، لأنه (ﷺ)، قد تأول فيها، والتأويل ليس بكذب، لكن لشدة تعظيمه لله (عز وجل) رأى أن هذا مانع للشفاعة، أي من أن يتقدم للشفاعة أحد.

ثم يأتون موسى، ويقولون له: إن الله كلمك وكتب لك التوراة بيده فيعتذر بأنه قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها، وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام، كان من أشد الرجال وأقواهم، فمر ذات يوم برجلين يقتتلان، هذا من شيعته يعني من بني إسرائيل، وهذا من عدوه، يعني من آل فرعون، من القبط، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، يعني طلب منه أن يغيثه وأن يعينه على هذا الرجل، فوكزه موسى وكز الذي من عدوه فقضى عليه أي أهلكه ومات بوكزة واحدة لأنه كان قويًا شديدًا (ﷺ)، فقال: ﴿ **هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ** ﴾ [القصص: ١٥]،

وفي الصباح وجد صاحبه الذي كان بالأمس يتنازع مع شخص آخر قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ [القصص: ١٨].

يعني بالأمس كنت تنازع رجلاً واليوم تنازع آخر فهم موسى أن يبطش بالذي هو عدو لهما فقال له الإسرائيلي: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩].

وكان الناس يبحثون من الذي قتل الرجل بالأمس، ففطن لذلك الفرعوني، فأخبر الناس أن موسى قاتله.

فالشاهد من ذلك أن موسى (ﷺ)، يعتذر إلى الخلق يوم القيامة لأنه قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها.

ثم يذهبون إلى عيسى ويقولون له: أنت كلمة الله وروحه.

كلمة الله: يعني أنك خلقت بكلمة الله وروحه، أي: إنك روح من الله (عز وجل)، التي خلقها، فيعتذر ولكنه لا يذكر ذنبًا، أو لا يذكر شيئًا يعتذر به، فيحيلهم إلى النبي (ﷺ).

فيقول: اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون إلى النبي (ﷺ) فيقوم فيؤذن له، فيشفع، يشفع الناس حتى يقضي بينهم.

وفي هذا الحديث:

إن الأمانة، والرحم تقفان على جانبي الصراط والصراط: جسر ممدود على متن جهنم، واختلف العلماء في هذا الجسر هل هذا جسر واسع أم هو جسر ضيق، ففي بعض الروايات أنه أدق من الشعر وأحد من السيف.

ولكن الناس يعبرون عليه، والله على كل شيء قدير.

وعلى هذا الجسر كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن الناس من يخطف فيلقى في النار، ومنهم من يمر سريعًا كلمح البرق، ومنهم من يمر

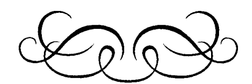
كراكب الإبل، أو كالريح، حسب درجاتهم وأعمالهم تجري بهم أعمالهم كل من كان في هذه الدنيا، أسرع إلى التزام صراط الله كان متباطئًا عن الشرع في الدنيا، كان سيره هناك بطيئًا .

ودعاء الرسل يومئذ «اللهم سلم سلم»، كل يخاف على نفسه، لأن الأمر ليس بهين، الأمر شديد، الناس فيه أشد ما يكون خوفًا ووجلاً حتى يعبر المسلمون هذا الصراط إلى الجنة، ومن الناس من يكردس في نار جهنم ويعذب على حساب علمه.

أما الكفار الخلص فإنهم لا يصعدون هذا الصراط ولا يمرون عليه، بل يذهب بهم إلى جهنم قبل أن يصعدوا هذا الصراط، ويذهب بهم إلى جهنم قبل وردًا، إنما يصعده المؤمنون فقط.

لكن من كان له ذنوب لم تغفر فإنه قد يقع في نار جهنم، ويعذب بحسب أعماله.

والله أعلم.




الفهرست